

مَدَامَنَا سَيِّدَ الْأَدْنَانِ

بِسِيرَةِ بِلَادِ الْعَجْرِ وَالسُّورَانِ

لِمَوْلَانِ الْأَخِ الصِّدِّيقِ

مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ

عَمْرِ التُّونِسِيِّ

ابْنِ سَلِيمَانَ

عَفَا
عَدُوَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
يا من سير أقدام الأنام بأرادته السنية وجعل رحلة
الشتاء والصيف بحكمته البهية لحمدك حمد من تلذذ بجلاوة
الراحة بعد مرار من شقة السفر ونشكرك تشكر من تنعم
بالإقامة بعد كد الرحلة والكدر ونسئلك يا مالك الأملاك
بما قدرت من سير الكواكب في الأفلاك ان تهطل بنا بيب
رحمتك ورضوانك وتنزل غيث صلاتك وسلامك
على أفضل من ارتحل وأقام وسافر من مكة إلى الشام سيدنا
ومولانا محمد الشفيع يوم العرض في المذنبين الذي
انزلت عليه قل سوا في الأرض ثم انظروا حين كاش عاقبة
المكذبين وعلى الله الذين رحلوا من أوطانهم في حبه واصحابه

الذين هاجروا المدينة رغبة في قرية وسلم تسليما كثيرا وبعد
فيقول الفقير الى رحمة ربه الهان محمد بن السيد عمر التونسي بن
سليمان لما وفقني الله تعالى لقراءة علوم العربية واترع كاسي
من بينها بالفنون الادبية حسبت من بني الادب وذويه
وعشيرته اناخ الدهر بكل كلة على ما بيدي من العين فغاد
اثر ابعدين وكانت همتي اذ ذاك مصروفة بتحصيل العلوم
وجمع المنثور منها والمنظوم وحين شاهدت معاندة
الزمان لمقتى تمثلت بقول العلامة الصفتي

هبطت ثريا الشارقات همتي وصعدت في العرفان كراسيها
وفهمت غيري في العلوم وانما بيني وبين المال كل تناسي
فجئت اذ عقيد اللوا الجاهل والفتوح عمائم الفتها
وصفرت الراحة وقرعت العصاحة ومال المال وحال الحال
وغار المنبع ونبا المربع انشدت من مقال على شرح
حلي شعرا

ما حيلتي ولذا الزمان متاعب يوذى الشربق وللوضيع بصوت
زمن له حرب على اهل التقى بازايا حرب البسوس يكون
فتراه يرفع كل غمر جاهل ونيسي كل مهذب ويهين

من الكامل

من الكامل

وتمثلت بقول القائل
 تبيت الأسد في الغابات جوعاً ولحم الضان يلقي للكلاب
 وخنزير ينام على حرير وذى علم ينام على التراب
 ثم ناجتني القرونة ان اسئل من بعض الناس المعونة فتذكرت
 ان ليس كل احمر لحمه ولا كل ابيض شحمه وزها يريق الانسان
 ماء وجهه ولا يحظى بقصده وان اراقه ماء الحياة ذوا راقه
 ماء الحميا سيما اذا وقع التعس والنكس وكان الطلب
 من نحس قال الشاعر

من النهج

لقلع ضرس وضنك نحس ونزع نفس وورد رمس
 ولفع نار وحمل عار وبيع دار بربع فلس
 وفرد قرد وفرط برد وديع جلد بغير شمس
 ونقد الزوضيق نحس وضرب الف بالف فلس
 اهون من وقفه لحر يرجوانوالا يباب نحس

مجزو الرجز

لا سيما وقد وجد على بعض الاحجار بقلم قدرة العزيز الجبار
 كل من كد يمينك وعرق جبينك وان ضعف يمينك اسئل
 الله يعينك فدخلت في خدمة من تزيت بلطائفه صفحت
 الايام ونارت بعوارفه حوالك الظلام ظل الله الظليل على

البلاد والامصار حامى ذمار الاسلام وقامع الفجار من انا لاننا
في وار فحلمه واحانه واذا قهم حلاوة الامن بنجدته وامانه
ملك ما جد حليم كريم جوده ناسخ لكل الوجود
ناشر العدل وهو للجور طاو واقف في الاحكام عند الحدود
صالح الفعل صادق القول واق بوفاء العهد منجز للوعود
هه القطع للفساد واصلاح جميع البلاد والتمهيد
نحن من روض امن دولته خفض عينه و ظل مديد
ايها المالك الذي يحتنى عن حد او صافه العلاء بحدود
انت من حصن ربنا في امك من جيون العدا وكيد الحسود
الا وهو فاتح الحرمين الشريفين بجيشه المنصور ومالك الاقطار
الشامية براهيمه البطل الغضنفر المشهور امير المؤمنين
الحاج محمد علي باشا ولي النعم اعلا الله سرادق عز دولته وابد
ملكه بجدته وصولته وكان اول خدمتي بوظيفة واعظ في الآلات
الثامن من المشاة وسافرت معه الى المورة وكابدت المشقة
وكنت قبل ذلك سافرت الى بلاد السودان ورايت فيها من
العجائب ما اذا سطر يكون كزهر بستان ثم استخدمت في
مدرسة ابي زعبل لتصحيح الكتب الطبية وخصت منها

من الحقيق

بتصحيح كتب الاجزاجية ومكثت على ذلك حتى اجتمعت
باربع اهل زمانه حذاقة وفهما واذكى اهل عصره صناعة
وعلما معلم الكيمياء الحكيم بيرون الفرنساوى وقرأ على كتاب
كليله ودمنه باللغة العربية فذكرت له بعض ما عاينته في
اسفارى من العجايب البهية فحلمنى على ان ازين وجه الدفتر
بايضاح ما تشاهدته من العجايب واختبره بما حصل لى في
تلك الاسفار من الغرائب فامتثلت امره لما له على من اليد
البيضا ورايت ان ذلك اجمالى ايضا لقول صاحب المقصورة
انما المرء حديث بعده فكن حديثنا حسنا من وعى
فشرعت فى ابراز فزايدها من صدق الازدهان وكشف
حجاب خزائدها الحسان الى العيان وضممت لذلك من
النوادير ما سمعته من الثقات او نقلته من الكتب على سبيل
الاستطراد للمناسبات لتكون هذه الرحلة روضة يانعة
الازهار لمن تأمل فيها وحديقة دائية الثمار لمن تصحح معانيها
ولمزال جهدا فى ايضاح معانيها للتاملين ولم اتعمق فى غريب
اللغة ليسهل فهمها على السامعين وربتها على مقدمة ومقصد
وخاتمة وفي كل منها ابواب كما من النهرسة وسميتها تشبيذ

من الرجز

الاذهان بسيرة بلاد العرب و السودان و الله اسئل ان ينشر
عليها حلة القبول و يقيها شر حاسد يطعن فيما فيها من
المقول وكم من عائب قولا صحيحا و افته من الذهن السقيم على
اني و ان اتقنتها و هذبتها و في احسن قالب سبكتها لا
اقول انها عارية عن الخلل بزينة من الزلل لاني انما انا بشر من
الانسان محل الخطا و الزلل و النسيان لكن انما اعود من
خمرير مقها بعين المسد و يندد بانها من الخرافات عند كل
احد و هبتني قلت هذا الصبح لير انعمي المعالمون عن الضيا
فرحم الله امرأه راي الزلل فستره و نذاهد الخلل فحجرة ان يند
عبدا فسد الخلل اجل من لا عيب فيه و علو و بالله استمد
التوفيق الى اقرب طريق و هو حسبي و نعم الوكيل نعم الهوى
و نعم النصير المقدمة و فيها ثلاثة ابواب الباب
الاول في السبب الباعث لاجلتي لبلاد السودان حتى
الي و الذي عليه سحاب الرحمة و الرضوان ان جده كان
من عظماء اهل تونس و كبر من طرف سلطان المغرب
الهوى الاكمل الملك المظفر العادل المرحوم الشريف محمد
الحسني فاجتمع له بذلك مال جزيل حتى صار من اغني اهل

زمانه ولما مات كان قد خلف من الولد ثلاثة بنين فتنارعوا
تراث ابيهم وباعوا دارهم التي كانت تاويهم وسكن كل منهم
على حدته باولاده وزوجته فاتفق ان اباه كان من اهل العلم
جيد الخط ينسخ الكتاب فيبيعه بضعف ما يبيع به غيره وكان
يعرف صباغة الثياب بالالوان فكان ارفه اخوته معاشا وحسبهم
ارتياشا فاتفق له انه اشتاق لرؤية البيت الحرام وزيارة قبر
نبيه عليه السلام فباع بعض عقار كان له وتأهب للسفر وشرى
معه احزمة وطرايش واعطاه الناس اموالا كثيرة يتجرلهم فيها
لما يعلمون من صدقه وامانته حتى انه وسق من السفينة
حانبا عظيما وحين توجه ودعه اخوانه حتى وصل الى السفينة
فركبها واقلعت بهم بريح طيبة ثم اختلفت الرياح على السفينة
حتى انهم اخذوا طريقا غير طريقهم وذلك انهم جاوا على طريق
رودس وبيناهم امنين مطمئنين اذ هب عليهم قاصف ريح
وكانوا اذ ذاك بجانب رودس فتلاطمت عليهم امواج البحر
وبذل الصنوب الكدر على حد قول الشاعر شعر
حسننت ظنك بالايام مذحسننت ولتحقق رسوا ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي واعترت بها وعند صنوب الليالي حد الكدر

من البسيط

وكان بسفينتهم خذل فلما تلاطمت عليها الأمواج وسطت
عليها سطوة الحجاج تحلل تركيبها وفسدت ترتيبها وتفرقت
أجزاؤها وانفصلت أفلاذها وغرق من فيها ولم ينج إلا القليل
من ركبها وكان ممن نجا معه جدي المذكور فخلص بعد غص
المرقى إلى البلد المذكور

من الهول

إذا سلمت هام الرجال من الردي فما المال لا مثل قص الأظافر
فكث في رودس مدة ونفعه فيها هيمان كان في وسطه فيه
بعض ذهب فكان ينفق منه مدة إقامته ثم اشترى زادا
وركب في سفينة إلى تغراسكندرية وكان ذلك إبان الحج
والذهاب إلى العجم والشج فتوجه في الحال من غير أهال إلى ان
وصل إلى تلك البقاع وبلغ مأموله جهده ما استطاع وكان
لسان حاله يقول قبل بلوغ المأمول

أبرك الأيام يوم قيل لي هذه طيبة هذي الكشب
هذه روضة طه المصطفى هذه الزرقا لذيكم فاشربوا
واليا في هذي بدل عن الها وما قضى ما رجب عليه وتملى
بزيارة الحبيب وصاحبيه افاق من دهشتته رفاة إلى
سكينته وافتكر في ضياع ماله وتشتت حاله وافتضح من

من الرجز

دخوله الى تونس ذاع سر وفاقه بعد ان كان ذا سر وفاقه
وكيف يصبر بعد الرفاهية على الكد وبراه على هذه الحالة
اهل البلد وما تذكر ما قد حدث انشد على وجه الجدل
العبت

من القول

سأضرب في الافاق شرقا وغربا واكسب مالا او اموت غربا
فان تلفت نفسي فله ردها وان سلمت كان الرجوع قريبا
ومن المعلوم انه يسهل على المرء ان يعيش في تعب ونصب
وكذا في بلد لا يعرفه فيه احد خصوصا في هذا الزمن الذي
يكرم به اليهودي كمانه ويهان الشريفة فقيرة وسوء حاله ورحم
الله القائل

يغدو الفقير وكل شئ ضده والاربع تغلق دونه ابوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا شرة مالت اليه وحركت اناهبها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا نبحت عليه وكشرت نياهبها
ولذا قال الامام علي كرم الله وجهه الفقر اذا دوا له ارادته
فضحى وان كتمناه قتلنى وقد قيل اذا افتقر الانسان خونه
من كان يامنه وانما فيه النض من كان يحسنه وابعده من

من ارجز

كان بقرينه وماله من كان يحبه شعر
ان قل مالي فلا خير يساعده وان غنيت فكل الناس خلفي
وليت الانسان اذا افتقر يترك هو وثنائه ولا يحتقر لا والله
بل يكذب في المقال وان كان صرايا ويهان وان لم يكن عابا
شعر

من البسمة

من كان يملك درهمين تعلمت
وتقدم الاخوان واستجوا له
لو اذراه في كيسة
ان الضي اذا تكلم بالخطا
واذا الفقير اصاب قالوا اكفهم
وقالت يا هذا وقلت ضللا
ان الدرهم في المواضع كلها
وهي اللسان لمن اراد فصحة
واذا كان كذلك فالهوت خير لذوي الاحساب من ان
تلتصق ايديهم بالتراب شعر

من الكامل

الموت خير للفتى من ان يعيثن بغير مال
والموت خير للكريم من التضرع والسؤال
والاعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان الفقير يهان بعد

من بحر
الرجز

الاکرام ویدل بعد العز والاحترام قال اکرموا عزیز قوم ذل وغنی
قوم افتقر کن کل ذلك بحسب ما سطر فی ام الکتاب وقدره
فی علمه العزیز الوهاب والاکرم من فقیر اسعفته الاقدار
وکم من غنی اصبح لا یملک ربع دینار ومن ذلک ما حکى ان
الوزیر المهلبی کان فی اول امره فقیرا لا یملک نقیرا واتفق انه
سافر رجلا من بغداد الی مکه فی قافلة وقد اضربه الجوع واحرقه
الجموع فانشد یقول

الاموتایباع فاشتریه فهذا العیش ما لا خیر فیہ

الارحم المهین روح عبدی تصدق بالوفاة علی اخیه

فسمعه احد التجار فاعطاه رغیفا ودرهما ثم تغیرت الاحوال
فترقی المهلبی الی الوزارة وافتقر التاجر حتی صار لا یملک قوت یومه
وبلغه ان المهلبی ترقی للوزارة فذهب الیه وکتب له فی رقعة
ما صورته

الاقول للوزیر فداته نفسی مقالا مذکرا ما قد نسیه

اتذکر اذ تقول لضعف عیش الاموتایباع فاشتریه

وارسلها له مع بعض خدمه فلما قراها بکی واستعبر وتذکر ما قد
سلف وامر له بعز وسبعائة درهم وکتب له علی رقعة مثل الذین

ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنبل
 وكل سنبل مائة حبة الآية فعلم من ذلك انه ينبغي أكرام
 من افتقر بعد غناه وذل بعد ان بلغ في العز منتهاه واذ
 عدت للانسان حاجة واراد يسئل فيها الناس فان كان
 عاقلا لا يسئل الا من كان ذا فضل ومروءة ولا يسئل من
 تمول بعد فقرة وعز بعد ذله قال الشاعر

سل الفضل اهل الفضل قدما ولا تسئل غنيا ربي في الفقر ثم تمولا
 ثم ان المال تميل الى صاحبه القلوب وتنضم عليه ازار الجيوب
 به تتم الارادات وتقضى جميع الحاجات ولقد اجاد الحريري في
 مدح الدينار حيث قال

أكرم به اصفر رافت صفرته
 ما ثورة سمعته وشهرته
 وقارنت لبح المساعي خطرته
 وان تفانت وتوانت عشرته
 وحبذا مغناة ونضرتة
 ومترف لولاه دامت حسرته
 وبدرهم انزلته يدرته
 جواب افاق ترامت سفرته
 قد اودعت سر الغنى أسرته
 وحببت الى الانام عشرته
 يا حبذا نضاره ونضرتة
 كم امر به استبنت امرته
 وجيشهم هزمتهم كرتة
 ومستنيط تلطى جمرته

من الطويل

من مشطور
الرجز

اسر حيواه فلانت شترته وكم اسير اسلمته أسرته
انقذه حتى صفت مسرته وحق مولى ابدعته فطرته
لو لا التقي لقلت جلّت قدرته

ولقد شهده ان الالكس اذا استغنى يصير فصيحاً والاعمش
اذا تمول يعود بصره صحيحاً ومصداق ذلك اني رايت في سفر قريظ
رجلاً يسمى محمد المكنى وكان خادماً على باب بوسن باشا صاحب
طرابلس الغرب وكان اعمش العينين فسلق الجفنين ترشح
دموعه ويقل هجوعه ودام كذلك الى ان تولي حاكماً على اقليم فربان
فبرى عمشته ونبت رمشاه وذهب وجعه وبطل دمعه وصار
اجل اهل عصره واوجه اهل قطره قلت ولعل الامراض انما تعتر
الفقراء لما يرونه من الذل والمسكنة والعري والمسغبة
فيهتمون لضيق معاشهم وعدم ارتياشهم فتندشوش اذهانهم
وتسقم ابدانهم والغني ليس كذلك نعم وان كانت له هموم
لكنها من جهة اخرى تشعر

ومن يحد الدنيا لشي يسره فسوف لعري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على الرعمرة وان اقبلت كانت كثير همومها
لكن الغني اذا بذل الدينار يبلغ الاوطار ومن ذلك ما حكى

من الصواب

ان علي باشا الاول صاحب تونس كان قبل ولايته فارسا بالجزائر
مستجيرا بجاكيتها ان يمده بعساكر ليأخذها من ابن عمه حسين
باشا وكان صاحب الجزائر يعدة بذلك والاخبار ترد على
حسين باشا بذلك فكان يعلم اذا سمع شيئا من ذلك لما
يعلم مما يطرأ عليه من الخطا يشانه وذهاب ملكه وسلطانه
فاتفق ان ورد عليه خبر اقلته واهله واحزته واعمله فركب
وهو ضيق الصدر كثير الفكر وشفق في وسط تونس بموكبه
وكان احد وزيرائه محاربا له يتحدث معه فراه على تلك الحالة
فسأله عن سبب تغيره فخبره بما سمع من الخبر فقال الوزير
أي الله مولانا ونصره اللهم بامر لا أصل له على ان اقول انك ما
دمت موحود لا تقوم به فائمة والتفت عن عيونه وكانا محل
يسمى سوق البلاد فرأى ساق شجرة يابساً ملقى على الارض
فقال له ان كان هذا الساق يعود شجرة خضرا يملك علي
باشا تونس ويصير حاكما علينا واراد بذلك اطمئنان صاحبه
فأضرت الايام قلدا حتى جاء علي باشا ببغيش كثير من الجزائر
وقتل حسين باشا واستوزر الوزير المذكور مدة حتى تمهدت
له الامور فاتفق له ركب يوما في موكبه ودخل تونس والوزير

المذكور محاديا له كما كان محاديا الحسين باشا فتاديا في سيره واجتهاد
 وصل الى سوق البلاط فالتفت على باشا فراى ساق الشجرة ملقى
 بمكانه فقال للوزير ان عاده هذا الساق شجرة خضر يعود على
 باشا كما عني تونس وكان بعض اعداء الوزير القى اليه ذلك
 فاسره في نفسه الى ذلك الوقت ثم اعرض عنه ولم يجادته بعد
 ذلك فعلم الوزير انه مقتول لا محالة لما يعلم من اخلاق على
 باشا لانه كان رسفا كما للدما حتى انه كان يتنزل على الهفوة الصغيرة
 فضلا عن مثل هذه وتناديا على ذلك حتى وصل الباشا الى محل
 سلطنته وايوان ابنته فتقدم اليه الوزير قبل ان يامر فيه بامر
 وقال ايده الله مولانا ان ابن عمك حسين باشا حين سمع بقدرتك
 اودع عندي اموالا جمة خبايتها في محل لا يعرفه غيري وانا محقق
 انك قاتلي واخاف ان انا مت وهي بمكانها لا ينتفع بها مولاي فان
 راى سيدنا ان يسر حتى لا تيه بها فليفعل ففرح على باشا واطمن
 صدقه وامره بالتوجه وان تصحبه عشرة حوائب والحوائب
 ولغة تونس هم القوا ص بلغة اهل مصر وقبل توجههم قال
 للحوائب ان فر منكم قتلتم اجمعين فتوجهوا معه حتى
 وصل لداره فاوقفهم اسفل الدار وصعد ليعبد الحرم عن الطريق

فوقفوا وحال صعوده لم يكن له هم إلا انه قصد خزانة امواله فلما
منها جيبه ذهباً واخذ معه صندوقاً صغيراً يسمى في عرف
اهل تونس بالفنيق مملوئاً ذهباً ايضا وصعد على السطح ^{تسول}
من دار اخرى وخرج الى الشارع وتوجه الى دار قونصل الاجليز
فدخل عليه واخبره انه مستجير به واعلمه بالقصة واعطاه
الصندوق بما فيه وقال له اريد ان تامر باحدى سفائيك
يتوجه بي وهذه الساعة الى الجلاطية فكتب له القونصل
في الحال كتابا الى احد قورداناته ان يسافر الى الاجلاطية حال
حلول جوابنا هذا اليك ولا تتأخر دقيقة واحدة واعطاه
الكتاب ورافقه بترجمانه ونزلا البحر حتى وصلا الى السفينة
فحين قرأ مدير السفينة كتاب القونصل اقلع عن المرسي
واطلق مدفعا علامة للقونصل بتوجهه واستبطاء الحوا
فنادوا يا فلان انزل فقال الحرير انه نزل من وقت صعود
فكذبوهن وهجوا الدار فلم يروا فيها احدا وعلم على باشا
بافلاته فاغتاظ وعرف انها حيلة وتمت عليه فانظر رحمة الله
الى هذه القضية ترى ان هذا الوزير لو لم يبذل هذه الدنا
اكان يبلغ مائته لا والله بل كان يقتل ويؤخذ ماله ولا ينفعه

بشيء لان الدرهم والدينار اذا لم يبدل لم ينفعا ولا تقضى
لصاحبهما حاجة بل ان كان واليا عزل وان كان تاجرا احتقر
وفي هذا المعنى انشد شيخ مشايخنا العلامة الشيخ محمد الامير
الكبير حين عزل خورشيد باشا والى مصر سابقا وتولاها صاحب

السعادة لعدم اعطاء مرتبات العساكر شعرا

عزلوك لما قلت ما أعطى وولوا من بدل

او ما علمت بانما حرو يكف عن العمل

ولقد اجاد ابو القاسم الحريري في ذم الدينار من حيث انه لا ينفع

صاحبه الا اذا فر من يده حيث قال

وشتر ما فيه من الخلائق ان ليس يغني عنك والمضائق

الا اذا فر فرار الابقب واهامن يقذفه من حالق

ومن اذا نجاه تجوى الوامق قال له قول المحقق الصادق

لا ارى في واصلك لي ففارق

وفي الامثال التونسية اذا وضعت الدينار على فم البلا اسكتته

وفي الامثال المصرية حبيب ماله حبيب ماله اي من احب

ماله وخرزته لا حبيب له ومن هذا القبيل حكاية وقعت

بتونس وهرات المرحوم الامجد ابو محمد حمودة باشا برد الله

من محزو
الكامل

من محزو
الرجز

تراه كان له وزير يسمى يوسف صاحب الطابع ومعناه الهوداز
اي الذي في يده الخاتم الذي تختم به الاوامر وكان يوسف
المذكور قبل ذلك مملوكا لقايد صفاقس المسمى محمد الجلولي وكان
من الجمال والادب والحيا فنبى خبره الى الباشا فارسل الى الجلولي
يقول له انه قد بلغني ان عندك مملوكا صفته كذا واسمه يوسف
فاذا وصلت كتابي هذا ارسله صحبة حامله والسلام فلما قرأ
الجلولي الكتاب لم يجد بدا من ارساله فلما صار في خيابة الباشا
اعجبه حسنه ودكاؤه وفطنته وصدقه وامانته واتفقات
بعض المماليك اتفقوا على قتل الباشا ودخلوا عليه وهو نائم
ووضعوا الشفرة على مذبحة فاستغاث منهم ولجحت يوسف
المذكور كان خلاص الباشا منهم على يده فنزل عنده منزلة
عظيمة واحله محل ولده وقلده الولايات العظيمة وصارت
الالوية تخفق على راسه حتى صار يشار اليه باطراف البنات
وكان يوسف المذكور سعيد الطالع جيد التدبير مظفر في
الحروب ميمون الحركة سخي الكف يجذب القلوب بلطفه حتى ان
الباشا جعله رئيسا على العساكر البرية في محاربة صراط وهي
محاربة وقعت بين حاكم تونس وصاحب الجزائر فيمن صاحب

الطابع كانت الدائرة على اهل الجزائر واغتمت عسكر تونس اخبية
المعسكر الجزائري وخيله وابله وسلاحه وأسر من عسكر الجزائر
وهذه الواقعة جم غفير ثم صار مدبر الجيوش البرية والبحرية بخلق
الواد وذلك قدم أسطول الجزائر لمحاربة تونس ايضا فكان مقيما
ببرج خلق الواد يدبر امر الجيوش والسفن والشواني والعيس
على الشاطى وكانت اكابر تونس تاتي اليه لقضاء اشغالهم بخلق
الواد لان زمام الامور كلها بيده وكان من جملة من يجسر ديوانه
محمد الجلولى ابن سيده سابقا لكن كان ياتي بتيه وخفر مع عدا
سلوك طريقة الادب اللائقة بامثاله وكان صاحب الطابع يتر
منه ذلك ويتغافل عنه حتى ان اكابر ديوانه تكلموا معه في
شأن ذلك وذكروا له امورا كثيرة حتى قالوا انه يراك الى اللان
ملوك ابيه وقد صرح بهذا مرارا فنقم ذلك عليه وتخييل في
طريق الانتقام منه فاخبر انه يدخل داره راكبا ولا ينزل خارج
الدار كبقية الامراء وان سايسه ياخذ بغلته ويربطها في
مربط دوابه فدعى برئيس السياس وقال له قد بلغني ان
سايس الجلولى يربط بغلته في مربط دوابي ان بلغني انه ربطها
في مربط خيلي بعد اليوم لا تلومن الا نفسك فقال سمعوا وطاعة

ثم ان الجلوي جاء ونزل على عادته واخذ سايسه البغلة وربطها
كالعادة والسايس كان غائبا وصعد هو الى مجلس صاحب
الطابع وجلس وبينما هو جالس اذ سمع هياضة وصياحا ف نظر
من احد الشبابيك فرأى بغلته تركض عائرة وسائسه مضروبا
والدم ينبع من راسه فانزعج ونزل فاخبره سايسه ان كبير
السايسر جاء ووجد البغلة مربوطة فاطلقها وضربها فخر^{جت}
عائرة فسمعت بذلك فقلت له لِمَ تطلق بغلة سيدي
فشتمني وشتمك فرددت عليه فضربني وترك حالي كما
ترى فرجع الجلوي الى صاحب الطابع وهو مغضب وقال له اطلق
بغلتى ويضرب خادمي وانت موجود فلم يلتفت اليه ولم يرد عليه
جوابا فزاد حنقه وعلم ان الخادم لا يفعل مثل هذا الفعل الا بان
سيده فنزل وركب من ساعته وتوجه الى الحضرة ودخل على
الرجوم حموده باشا وشكى له جميع ما قد جرى عليه من صاحب
الطابع فاشتكاه ولا التفت اليه فكاد يتميز من الغيظ ونزل
من الحضرة وتوجه لداره كئيبا حزينا لا يدري ماذا يصنع فاجتمع
عليه بعض اصحابه وراه على تلك الحالة فسأله عن سبب حزنه
فلخبره الخبر فلام عليه فيما صنع لاسيما في شكواه للباشا وقال

له اما تعلم ان صاحب الطابع هو المقبول وكلمته هي المسموعة
 تريد ان تعاديه وتشكوه للبائنا ويسمح لك عليه دعوى
 بيضا فعلت وساء ما توهمت ادرك نفسك وتلاف امرك ولا
 حل بك ما يحل بك من التلف وانت المذموم اما سمعت قول الشاكر
 واذا العناية صادفت عبد الشرا تمشى على ساداته احكامه
 فقال الجلولي والخروج من هذا الامر والحيلة في الخلاص منه قال له صا
 اعلم ان المال اذا لم يبدله صاحبه في مثل هذا المهم كان هجارة
 الدار سواء والحيلة تحتفل في هدية سنوية وتقدمها بين يدي
 صاحب الطابع وتتوسل اليه باعز احبابه عليه كحضرة ابن ابي
 الضياف وقاسم البواب وصالح ابي غدير واضرابهم وتبذل لهم
 من المال ما يرضيهم وينشطهم للشفاعة لان المال لا يطلب
 الا مثل هذا المهم فاخذ الجلولي نصيحتة بقبول واحتفل في هدية
 عظيمة منها سيق لا يقوم بمال الحسن جوهره وخاتم من الماس
 عظيم لا يقوم ايضا وخنجر مرصع بماس وياقوت وعلبة نشرف
 وساعة مرصعتين وعشرة الاف محبوبا واخذ ما لا يجزىلا غير
 هذا وتلطف حتى اجتمع باصحاب صاحب الطابع واخبرهم انه
 متوسل بهم اليه ان يتوسلوا له في العفو وبذل لهم ما رضاهم

من الكامل

وسلمهم الهدية فاخذوها وذهبوا الى صاحبهم واخبروه ان
الجلولي جاء معتذرا يطلب عفو سعادته واطلعه على الهدية
وزينوا له امر الصلح والعفو عنه وترك الانتقام منه الا ان عاد
لمثلها فشرهت نفسه الهدية وقبلها وعفاه عنه وامرهم باحضار
وان يبالغو في وصيته على سلوك طريق الادب وان يترك ما
كان عليه من التكبر ولا يرى لنفسه على غيره فضلا بل يقو على
قدم العبودية لانه هو واحد القواد عندنا على حد سواء وان
عاد الى مثلها لا يلوم الا نفسه فامثلوا امره واحضروه
وبالغو في وصيته ثم ادخلوه على صاحب الطابع فلما رآه بشئ
في وجهه وامره بالجلوس واجل مجلسه واعتنى به ولم يفاوضه
في شئ مما كان ثم ان صاحب الطابع كتب الى مخدومه الباشا
واعلمه بما وقع من الجلولي ومنه وان الجلولي استرضاه بهدية
وانه رضى عنه وارسل الهدية صحبة الكتاب فلما وصله الكتاب
قراه واحضر الهدية ونظرها ثم ردها اليه وكتب له ما صورته
قد بلغنا كتابك وفهمنا ما انطوى عليه ووقعت منا الهدية
احسن موقع لكننا راينا كل ما فيها يصلح لك لانا فقد ردنا
عليك وسامحناك فيها لانك شاب وتحب الزينة ونحن بمعمل

عن ذلك وأما العشرة الاف فاصرفها في مصالح العسكرو قد
رضينا عن الجلولي لرضاك عنه والسلام ولما كان من الغد دخل
الجلولي على الباشا فاعظم ملقاؤه ورجب به و اضاف له عملا على ما
بيده من الاعمال وصار في احسن حال فتامل رحمتك الله في
هذه القضية بعين الاعتبار ترى ان الجلولي لو لم يبذل هذا
المال كان يرجع لحاله الاول لا والله بل تؤخذ من يده الاعمال و
قتل في الحال واذ قد انجز الكلام الى سيرة المرحوم حموده باشا
ووزيره المرحوم يوسف صاحب الطابع فلنذكر نبذة من سيرتهما
لان المقصد ان لا تخلو رحلتنا عن الفوائد الجميلة ولا اجمل من
ذكر الملوك العادلين الذين حسنت سيرتهم فتنتجت بهم
رعيتهم ونبدأ بذكر الباشا فنقول هو المولى الاجل الفاضل العادل
اللفظ الحازم ابو محمد حموده باشا بن علي باشا بن حسين باشا
ابن علي ولد ليلة السبت الثامنة عشر من ربيع الثاني ١١٧٣
وبويع له يوم وفاة ابيه ١١٩١ وتوفي ليلة عيد الفطر ١٢٢٩
كان من الحزم وحسن الراي والعدل بمكان شجاعا مهابا عفيفا
النفس على الهمة انتشا بستان منوبة المشهور الآن الذي
اخفى ذكر بستان ابو فهر الذي قال فيه ابو عبد الله محمد الورغي

وَقَفَ هُنَا بَابِي فَهَرَّ الْجَبَلُ فَقَدْ مَضَتْ بِهِ دَوْلَةُ التَّمَّعَرَانِينَ
 تَرَى الْخَنَائِيَا كَسَطَرَ النَّخْلَ مَدْبِهِ بَعْضُ لِبَعْضٍ بِحَنَى الْعَرَّاجِينَ
 أَوْخَرْدَ نَهَضَتْ لِلرَّقْصِ قَاعَتُنْقَتَ كِي لَابْتَجَى بِرَقْصِ غَيْرِ موزُون
 وَسُورَ عَلَى تُونِسِ السُّورِ الْعَظِيمِ وَحَصَّنَهَا بِالْأَبْرَاجِ وَالْمَدَافِعِ وَشَنَّ
 الْأَبْرَاجَ بِالْعَسْكَرِ وَرَفَعَ التَّلَالُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ تُونِسِ وَالْبَحِيرَةِ وَقَدْ
 كَانَتْ مِثْلَ الْجِبَالِ الْعَظِيمَةِ مَانِعَةً لِحُدُودِ الْهَوَايِخِشِيِّ عَلَى الْبَلَدِ مِنْهَا وَهِيَ
 مِنْ مَدَّةِ دَوْلَةِ بَنِي حَفْصٍ فَاجْتَهَدَ فِي نَقْلِهَا فِي مَدَّةِ سَبْعِ سِنِينَ
 حَتَّى تَرَكَ مَحَلَّهَا مَرْعَةً عَظِيمَةً وَكَشَفَ بِذَلِكَ عَمَّةَ أَهْلِ تُونِسِ
 وَأَنْشَأَ مَحَلًّا لِأَنْشَاءِ الْمَدَافِعِ الْعَظِيمَةِ وَحَصَّنَ حُلُقَ الْوَادِ بِالْأَبْرَاجِ
 وَالْأَبْنِيَةِ الْعَجِيبَةِ بِحَيْثُ صَارَ لَا تَدْخُلُهُ فُلُوكَةُ الْإِوِيغِ فَتُفْتَحُ لَهَا بَابَانِ
 وَبَنَى قَلْعَةَ الْكَافِ وَأَخْرَجَ تُونِسَ وَأَعْمَالَهَا مِنْ رِبْقَةِ الرُّقِ مِنْ
 أَهْلِ الْجَزَائِرِ إِلَى الْحَرِّيَّةِ الْمَطْلُوقَةِ وَكَانَ مَظْفَرًا مِيمُونًا لَا يُعَادِيهِ أَحَدٌ
 إِلَّا خُذِلَ فَلَمْ تَقْدِرْ لَهُ أَهْلُ الْجَزَائِرِ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ سَعَادَتِهِ أَنَّهُ
 اسْتَوَزَرَ يَوْسُفَ صَاحِبَ الطَّابِعِ الْمَذْكُورِ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي جَمِيعِ
 الْأُمُورِ كَمَا قَدَّمَ نَاهِ فَكَانَ يَوْسُفُ الْمَذْكُورُ جَيِّدَ الرَّأْيِ حَسَنَ النَّظَرِ
 عَالِي الْهِمَّةِ مَحْبَابًا لِلْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْفَضْلِ مَجْبُولًا عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ جَوَادًا مَهَابًا
 بَنَى الْجَامِعَ الْمَشْهُورَ بِهِ الْآنَ بِسُوقِ الْحَلْفَاوِيِّينَ بِتُونِسِ وَبَنَى

بازايه مدرسة عظيمة لطلب العلم ورتب فيها وفي الجامع
 رواتب جليلة منها انه جعل نظر المدرسة لاوحد اهل زمانه
 علما وديانة المولى الاجل الاديب البارع سيدي الشيخ ابراهيم
 الرياحي شيخنا وشيخ المشايخ الاث بتونس وشرط عليه قراءة
 درسين في كل يوم درس في الفقه ودرس في التفسير وزاد الشيخ
 من نفسه درسا في الحديث ودرسا في النحو وصرف صاحب الطائفة
 على بناية الجامع والمدرسة المذكورين ما لا جزيل حتى ان جامعه
 الاث في احسن والاتقان اعظم جامع يوجد بتونس بل يمكن
 ان لا يوجد اتقن منه ولا اعجب منه وان كان صغيرا الا فيما لم
 نشاهده ولقد رايت عدة جوامع بالقاهرة وبطرابلس الغرب
 وبالمورة والحجاز فلم ارا تقن منه اللهم الا ان يقال ان الجامع الاموي
 بدمشق او جامع القرويين بفاس او جامع ايا صوفيا بقسطنطينية
 اعظم منه وبنى امام الجامع سوقا عظيما للتجار وبنى فوقه سرابية
 عظيمة لجلوسه وانتشا عدة مكاتب وموارد في جملة مواضع ولقد
 رايت احد الموارد التي انتشاها مكتوب عليها تاريخا لشيخنا العلام

الشيخ ابراهيم الرياحي وصورة

ذا مورد جاد به راجي ثواب ربه

من مشهور
الرجز

يوسف خوجة الرضی صاحب طابع البهی
فخر العلا حمودة بانثا وذا من سبیه
یا واردا ادع وقل تاریخه بشریه

۱۲۰۹

وهو على طريقة أيقشر أو طريقة حساب المغاربة قلت وهذا
التاريخ اعني قوله بشريه غير بليغ اي ليس فيه من المعنى شي حسن
واين من تاريخ الاديب البارع المولى الشيخ محمد شهاب الدين المصرى
في السبيل الذى انشاه محمود افندى بالحموسه الكائن بين
الازهر والمقام الحسينى وصورته

يا واردا سلسيل اراق منهلله اشرب هنيئا فبهذا العذب مورود
وانظر الى حسنه والسعداثة سبيله عاطف للخير محمود

۹۸ ۸۷۰ ۱۶۰ ۱۱۷
۱۲۳۵

ومن بعض تواريخ اديب زمانه الشيخ على الدرويش وكسوة البيت
الحرام ونصه

يا نور ناظر كسوة يزهبها خز وبرز
بشري خليل ناظرأ فله بها سعد جز
والسعد قال مؤرخا ستر لبيت الله عز

۷۷ ۶۶ ۴۴۲ ۶۶۰
۱۲۴۵

من البسيط

من مجز
الجز

واين هذا التاريخ من تاريخي الذين نظمتها للمرحوم السيد محمد
المحروقي حين انشأ الزاوية التي تجاه زاوية الشيخ العفيفي بالغرا
الصغرى والمورد الذي انشأه ببركة الرطلي بالمحروسة ونص الاول

انظر لزاوية تكامل حسنها وصبا اليها لب كل مشوق
وبدت باتقان فاعجز وصفها ذا النطق بالمفهوم والنطق
وقد استضات بالسيادة ارحوا ملية بنور السيد المحروقي

من الكامل

٢٨٠ ٢٥٨ ١٠٤ ٣٩٥

١٢٣٨

ونص الثاني

تأمل لما شادت يد العز والبهيا ترى مورداً بالطف والحسن قد رهي
وقد شاده من نسل اكرم مرسل همام له مجد على ذروة السها
محمد المحروقي انشأه راجيا ثواب اله حده ماله انتها
ومد تم قال السعد للشتر ارحوا زلال شفاؤه جيد وهو منشأ

٦٨ ٣٨١ ١٧ ٧٥٥

١٢٣٨

توفي المرحوم يوسف خوجة صاحب الطابع في شهر صفر سنة ١٢٤٠
ومات قتيلا وطيق بشلوه يجرف الاسواق بعد ان كان البصر
يخشى ان يمتد اليه فسبحان المعز المذل ورثاه شيخنا العلامة
الشيخ ابراهيم الرياحي بابيات كتبت على قبره وهي هذه
لله قد وجب الدوام وسواه نهى للحمام

من محزور
الكامل

سيان في تغيثه	عالٍ ومنخفض المقام
اين الملوك واين من	كانت لهم ترعى الذمام
لم يظفروا بسوى الذى	مملوه من خير فدام
هذا الذى بصنيعه	قد رماه هذا الهمام
من فعل خير عزان	يعنى الانام من الغمام
وجوامع ومكاتب	وموارد تسقى الاوام
الله يرحم يوسفنا	حتم الكرام بلا كلام
لاغزوات ارحته	بماته يتم الكرام

٤٨٨ ٤٥٠ ٢٩٢

١٢٣٠

ولنرجع الى ما نحن بصدده ثم ان جدى خرج من مكة المشرفة الى بندراى مرسى جدة ومكث ينسخ الكتب بالاجرة وكان جميل الخط كما قدمنا فاتفق انه اجتمع في تلك المدرة باناس من اهل جزيرة سنار وتودد اليه بعضهم وارتبطت بينهم صحبة فساله من اى البلاد انت فقال من تونس فساله عن سبب اقامته بجدة فاخبره بقصته وما جرى عليه ففأله السنارى لا تتوجه معنا الى مدينة سنار ويحصل لك العز والافتخار لان مكناى ملكنا رجل مبسوط اليد لا يباى ببحرين

ولا عسجد يجب الفضل واهله ويحل كل منهم محله وينيل الاشراف
 بما يقدر عليه من الاستعاف وانا ضامن لك ان ذهبت معانات
 يجبر كسرك ويسد خللك وتصبح ذامال ونوال ورقيق وجمال
 قطع جدى في نوال الملك المذكور وتوجه معهم يامل الفرج والسرو
 وحين وصل معهم الى جزيرة سنار قابلوا به الملك واعلموا انه رجل
 من اهل العالم غريب الديار قد انكسرت سفينته وضاع ما كان
 حيلته فرحب به واعظم لقاءه وبنثره باليسر وهناه وانزله
 دار اكرامه وامر له بجزيل انعامه فكان فيما انعم عليه به جارية مكاتبه
 بهية سنينة غالية القيمة تسمى حليلة فتسراها جدى لجمالها
 نجأت بسلام وجارية مثالها واجرى عليه رزقا فاستقر جدى
 بسنار ونسى اهله بتونس واولاده الصغار وكان حين خروجه
 من تونس ترك ثلاثة اولاد بع امهم اكبرهم عمى الرجوم السيد محمد
 كان عمره تسع سنين واوسطهم المغفور له والدى وكان
 عمره ست سنين واصغرهم عمى الرجوم السيد محمد ظاهر وعمره
 ثلاثة سنين هكذا سمعت من والدى وجدى عليهما سلام
 الرحمة والعهد عليهما فاخفى عليهم خالهم المولى الاجل الاكمل الامثل
 الفقيه المحدث العالم الفاضل السيد احمد بن العلامة الرخل

السند السيد سليمان الازهرى صاحب التصانيف العديدة والتأليف
المفيدة كان السيد احمد عالما فاضلا ثقة حجة في المنقول عرض عليه
منصب القضا بتونس فامتنع منه وكان مشتغلا بالتدريس وولّى
وظيفة التدريس بمدرسة علي باننا الاول فلازمها وأصيب في آخر
امره بداءً أزمته فكان يقرأ الدروس في داره وتحضره أكبر طلبة
العلم والفضلاء ولم يزل كذلك حتى شب والدى وبلغ مبلغ الرجال
وكان حفظ القرآن وحضر بعض دروس في العلم على خاله وغيره وبينما
هو كذلك اذ تحرك شوقه الى الحج فاستشار خاله في السفر فتحرك شوقه
هو ايضا فجهز للسفر معا وركبا البحر من تونس الى اسكندرية ومنها
الى مصر ومن مصر توجهوا الى القصير وكان ذلك قبل اشهر الحج وبينما
هما سائران في القافلة اذ عرضت لهما قافلة قادمة من سنار فناداهما
مناديا ايها الغاربة هل فيكم احد من تونس فقال ابي نعم نحن منها
فقال هل تعرفون السيد احمد بن سليمان فقال ابي نعم نعرفه
ومن انت قال انا سيب احمد قد خرجت من تونس منذ كذا وكذا
وتركت اولادى واهلى ولادارى اهم احياء ام اموات وكان خالي ابي
في شبرية مرخى عليها ستر فسمع ذلك كله فقال لابي يا عمر سلم
على ابيك فاكب والدي يسلم على ابيه ويقبل يده واعلمه ان خاله

في الشبرية فجا جدي وسلم على نسبيه وبعد انقضاء السلام
 قال ابو لولده ايسوع لك ان تتركنا هذه المدة بدون نفقة ونحن
 صغار ولو ان الله سخر لنا خالنا كنا ضايعين فقال والدي صاحب
 والقضاء والقدر جريان على وفق الارادة العلية مفرد
 ان المقدركاين لا ينهي ولك الامان من الذي ما قدرنا
 فقال ابى لوالده المريان لك ان ترجع الى بلدك وتقرأ عيننا برويتك
 فقال يكون ذلك ان شئنا الله قال له والدي متى قال انا الامتوجه
 الى القاهرة ابيع ما معي من الرقيق وارجع الى سنار واخذ متاعى
 واولادى والى الى القاهرة وانما تتوجهان للحج وترجعان الى
 القاهرة فنجتمع هناك وكل من سبق صاحبه انتظره هناك ثم
 ودعهما وتوجه كل منهم الى سبيله على حد قول الشاعر
 لم استتم سلامة لقدميه حتى ابتدأت سلامة لوداعه
 فتوجه والدى وخاله الى الحج وتوجه جدى الى المحروسة اما جدى
 فباع رقيقه وتسوق ورجع الى سنار واما والدى وخاله فتوجهما
 الى الحجاز ومكثا بالطائفة حتى جاء وقت الحج فقدم مكة وحجا وبعد
 انقضاء الحج ترفى خاله في مكة المشرفة ودفن بباب المعلا ثم
 رجع والدى الى القاهرة فاجدا باه فاقام ينتظره مدة فلم يات

من الكامل

من الكامل

وكان ابي و هذه المدة يحضر العلوم بالجامع الازهر و لا اعياء الانتظار
توجه الى سنار مع قافلة انت فلما وصل اليه وجد قارافي داره معتبطا
باولاده و عياله لا يستل عن غيرهم ولا يخطر له السفر على االه فساله
عن سبب خلو الوعد و لم جعل الهزل مكان الجذ فاعتذر بعذر ساقط
لا يجده لا قط فقال له يا بني ان لديونا على بعض الناس ما طلوبوني في
دفعها ولا يمكنني الارتحال الا بعد خلاصها على كل حال ليستقيم بها
اودي و يقوى في السفر عضدي فكثت معه نحو ستة اشهر و بعد
ذلك تجهزت قافلة الى الاقطار المصرية فسال ابي والده في احد
امرين بان قال له هذه القافلة متوجهة تماما ان توجه بنا صحبتها او
تاذن لي بالتوجه معها فابى عليه فيها و قل اما الذهاب فلا سبيل
اليه لما علي في تونس من الاموال لاسيما وقد اخبرت بان املك
تزوجت و اما الاذن لك فيكون لكن في قافلة اخرى ان شاء الله
تعالى حتى اجمع لك ما نسافر به من الرقيق و الجمال و الذهب و الاحمال
بحيث انك لا تعود الا مجبور الخاطر فابى و الذي المكث و استطل
اللبث و قال ازمشتاق اطلب العلم و في اقامتي هنا ضياع زمن
بغير فائدة فاختلفت رايهما و حصلت بينهما و حشنة فخرج و الذي
مغضبا و توجه مع القافلة لا يملك شيئا فالحقه والده بعد ثلاثة

ايام بثلاثة جمال واربع جوارى وعبدين وعلى الجمال أهبة السفر من
مؤونة وماء وعلى احد الجمال حمل صمغ فاخذها والدى وسار صحبة
القافلة وبيناهم سائرون اذ ضلوا عن الطريق وادركهم العطش
وطال عليهم الامد فمات الرقيق والجمال ورجع الى مصرفير كما كان

مفرد

اذا اقبلت كانت تُقاد بشعرة وان ادبرت كانت تُقاد بالسلاسل
فمن لطف الله عز وجل مرض خبير القافلة بصداع احرمه الجوع وعجز
عن شفاؤه الجوع وبلغ والدى هذا الخبر فكتب رقعة واخذها
الخبير باعتقاد ووضعها محل الالم فبرى لوقته فاعتقد في والدى
الصالح وامر ان يُحمل ويحمل له عدل صمغ على ابله فوصل والدى
الى القاهرة بعد غص الريق وباع عدل الصمغ بخمسة وسبعين
فندقلى ودخل الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج والدتى اذ
ذلك ومكث معها نحو سنتين جاءت منه بولد سماه احمد عاش
سنة وثلاثة اشهر ثم مات فحزن عليه وتمثل بقول الشاعر مفرد
لقد خانت الايام فيك فقربت يوم الردى من ليلة الميلاد
وبقول الاخر
عجبا المولود قضي من قبل ان يقضى لا يام الصبا ميقاتا

من الطويل

من الطويل

من الكامل

فكانه من نسكه وصلاحه وهب الحياة لوالديه وماتا
وبقول التهامي في ولده

يا كوكبا ما كان اقصر عمره وكذا تكون كوكب الاسحار

من الكامل

ثم ان والدي توجه الى تونس واخذ امي وامها معه وكنت اذ ذاك
حلا فلما وصل الى تونس نزل بدار اخيه المرحوم السيد محمد وكان
من مشاهير المعلمين بسوق الشواشية اي طرابلسية فولدت
بعد ذلك بخمسة اشهر في الساعة الثالثة من يوم الجمعة منتصف
في القعدة سنة ١٢٢٥ ومكث بعد ذلك نحو ثلاث سنين ثم حصلت
بينه وبين اخويه وحنينه فقلنا الى القاهرة سنة ١٢٤٧ فصار يطلب
العلم في الازهر وتحضر درس العلامة المرحوم الشيخ عرفة الدسوقي
الالكبي وشيخ مشايخنا العالم الاوحد المرحوم الشيخ محمد
الامير الكبير وتولى تقيبا برواق لسادة المغاربة وكان في عيشة
متوسط وما زال كذلك الى ان دخلت سنة ١٢٤٨ ورد عليه كتاب
من اخيه لابييه من سنار مع القايلة مضمونه بعد السلام ان
والدنا توفي الى عفو الله تعالى وترك جملة من الكتب فسرقها
من ارجل يسمى باحمد البترزقي امانه على بيتنا لانه ادعى القرابة
لوالدنا وبقينا في حالة تسر العدو وتسيب الصديق فاذا وصلت

كتاب هذا مجل بالقدوم علينا لتأخذنا معك نعيش بما تعيش
به والسلام فلما قرأ الكتاب بكى واستعبر وأخذته الشفقة
على أخويه فتعجل وسافر إليهما وكنت اذ ذاك ابن سبع سنين
قد ختمت القرآن بدايةً ووصلت في العبادة لخرال عمران
وكان لي اخ عمره اربع سنين وتركت لنا نفقة تكفينا ستة اشهر
فكثنا سنة باعت فيها والدتي اشيا كثيرة من نحاس وحلى
ثم جاء عمي الصغير السمي بالطاهر فأنحنا علينا يربينا وكان قد جاء
للمحج والتجارة ومعه ولد كالشمس الضاحية في السماء الصاحبة
اسمه محمد وكان اسن منى بنحو سنة ونصف فكان يذهب
معي الى المكتب لقراءة القرآن حتى سافرت به والدته الى الحج اخر
سنة ١٢١٢ ثم دخلت الفرنسيين القاهرة وملكوها في اول سنة ١٢١٤
وكان عمي اذ ذاك مع المحجاج فهربت الغزوة وتمزقوا كل ممزق ودخل
المحجاج فوجدوا الفرنسيين في مصر واعمالها ومكثوا كذلك
الى اول سنة ١٢١٦ جاء الوزير بالعساكر وخرجت فرنسا ويمن
وكان ابن عمي المذكور قد حفظ القرآن وابتدأ يحضر دروس العلم
وكان من الحياء والادب بمكان فوقع في تلك السنة امراض
وبائية واثبت بابن عمي المذكور فاخرجته من القصور الى القبور

بل للملاعبة مع الحور و ثما قضى عليه حزن عليه والده اشتد الحزن
حتى كاد يهلك اسفاً ويدخل رسمه توجعا ولها ورحم الله القائل

الناس للموت كحيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

من النسخ

وكره المقام بمصر لخلوها من ولده و فلذة كبده و فذلك قلت
اذا رحل الحبيب من الديار كرهت بعده تلك الديار

من النوافر

فاراد ان يبرد نارة و يوارى اواره نوح بيت الله الحرام و روية قبر
نبيه عليه الصلاة والسلام و لله در من قال

نقل فوادك حيث شئتني الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
و في هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام اذا اُصيب احدكم بمصيبة

من الكلل

فليذكر مصيبتة في فانها اعظم الصائب

اصبر لكل مصيبة و تجلّد و اعلم بان المرء غير محلّد
و اذا اصبحت بفقد من احبته فاذكر مصابك بالنبي محمد

من الكامل

فتوجه الى الحجاز و تركني بمصر لطلب العلم بالازهر و ابقى و نفقت
تكنينا اربعة اشهر و مكث هو اكثر من ذلك فنفدت و ضاق

ذرعى لذلك و انا اذ ذاك و شرخ الشباب فبقيت متخيرا لا
ادري ما اصنع و استنكفت ان اترك طلب العلم و اتعلم اتخذ

الصناع وبينما انا متحير في طلب العاش وضيق الصدر لعدم الارتياح
اذ بلغني ان قافلة وردت من بلاد السودان من دار فور وكان
قبل ذلك بلغنا ان والدي توجه من سنار اليها صحبة اخيه فلما
استقرت بوكالة الجلاية توجهت اليها لاستئصال عن ابي اهوحي
يتوقع ام اودع اللحد البلقع فلقيت على سبيل المصادفة رجلا من
اهل القافلة مسنأا هيبه ووقار يسمى السيد احمد بدوي
فقبلت يده ووقفت امامه برهة فسالني بلطف وقال لي ماذا
تريد قلت استئصال عن رجل غائب لي في بلدكم لعل يعرفه منكم احد
يدلني عليه فقال من هو وما اسمه فقلت اسمه السيد عمر التومسي
وهو رجل من اهل العلم فقال علي الخبير به سقطت هو صاحبي وانا
اعرف الناس به واري بك شبهاله فكن ابنه فقلت انا هو علي
تغير حالى وتبلبل بالى فقال يا بني ما يتعدك عن اللماق بابيك لترى
عنده ما يهنيك قلت قلة ذات يدي واعتدادى وعددى
فقال ان اباك من اعظم الناس عند السلطان وكرمهم عليه دون
اهل الديوان وان اردت التوجه اليه فانا على مؤونتك وركوبك
وراحتك حتى تصل اليه وتقوين يديه فقلت احق ما تقول
فقال اى وحياة الرسول لان اباك فعل معي معروفا لا اقدر على

مكافاته فيه ولو بذلت جميع ما تملكه يدي وتحويه فقلت انا اطوع
لك من نعلك واتبع لك من ظلك فعاهدته على ذلك واستوثقت
منه هنالك وجعلت اتردد عليه حتى تأهب وقال لي السفر غدا
فان شئت بت عندنا لنصبح على السفر مبكرين فقلت على
الراس والعين فبت عنده في الذعيش واهناه واحسن حال
واصفاء الى ان لاح ابن الذكا والتحف الجو بالضيانهضنا للمكتوبة
فادينها وبرزنا المحول واخرجناها ورجح بالجمال وحملت عليها
الاحمال فما ذرقت الغزاة الا وقد تم التحميل واخذت العيس في
الذميل ولا زالت كذلك حتى اُنِجَتْ بالنسقاط على شاطئ النيل
وابتدا في شحن الفلك بها حتى تمت كلها ثم صبرنا حتى صلينا الجمعة
خلف الامام ونزلنا الفلك وودعنا مصر بسلام الباب الثاني
من المقدمة لما امتطينا الدها لهذا السفر العظيم قلنا بسم
الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ولما اقلعنا عن ساحل
النسقاط ناويين البعد والانتطاط تذكرت متاعب الاسفار وما
يحصل فيها من الاخطار خصوصا لمن كان حاله كحالي في الفقر المدقع
والعسر المصقع وتوسوس مدري والترجح ويقيت في مشقة
وخرج لاسيما وقد وجدت نفسي مع غير ابنا جنسي بل بين

اقوام لا اعرف من حديثهم الا القليل ولا ارى فيهم وجهها صبيحا
جميل فقلت ودمعي يادي

من الفرج

فجسمك مع ثيابك والحيا سواد في سواد في سواد
وندمت على تغريبي بنفسي مع ابنا حام وتذكرت ما بينهم من
العداوة لابنا سام فداخني من الهلع ما لا اقدر على وصفه حتى
كدت ان اطلب الرجوع الى الربوع ثم ادركني الطاف الله الخفية
وتذكرت ما مدحت به الاسفار على السنة البلغاء الادبية خصوصا
ماورد في الاثر عن خالق البشر سا فواحدث لك رزقا جديدا وان
افضل الانام سافر من مكة الى الشام وقد قالت العلماء ان
السفر يسفر عن اخلاق الرجال وهو الميز للذكور عن ربات المجال
وقد قيل ان الدر لولم ينقل من معدنه لما رصعت به التيجان ولو
لم يسر البدر لكان في غاية النقصان قال الشاعر

سافر تلب الكارم والاعلا فالدر سار فصار في التيجان
والبدر لولا سيره في افقه ما كان الا زايد النقصان
وقال الاخر

من الكامل

تعربت عن الاوطان فطلب العلا وسافر ففي الاسفار خمس فوايد
تفرج همم واكتساب معيشة وعلم و آداب وصحبة ماجد

من الطويل

وان قيل في الاسفار ذل وغربة وتشتيت شمل وار تكب شدايد

فموت الفتي خير له من حياته بارض هوان بين واش وحاسد

ولله در الطغرائي حيث يقول

ان العلي حدثني وهي صادقة فيما تحدث ان العز في النقل

من البسيط

لو كان في شرف الماوى بلوغ مئتي لم تبرح الشمس يوما ذرة الحمل

على ان لو كنت اقيمت بالقاهرة فهذا الحال ما كنت اري فيها الا

الوبال ووح تمثلت بقول الطغرائي المفضل حيث قال

فيهم الإقامة بالزوراء لا سكني فيها ولا ناقتي فيها ولا جلي

من البسيط

وبقول الاخر

ارحل بنفسك من ارض تهان بها ولا تكن من فراق الاهل في حرق

من البسيط

الم تر التبر تريا في معادنه وفي التغرب محمولا على العنق

فوطنت نفسي على الاسفار ولو كنت اكوى بالنار وكنا قد قلنا

بريح طيب ظل معنا يومه وسفينتنا تيمس به عجبا وتمايل

بحسنه طريا وقد ملا شراعها واطال في السير باعها وعلى ذكر

السفينة ووصف سيرها تذكرت لغزي الذي كنت سألت

فيه العلامة الشيخ مصطفى كساب شيخ مدرسة الطب

البيطري التي انشاها صاحب السعادة بازاء مدرسة الطب

البشرى باب زعبل وهو هذا

من الطويل

امولى يا كساب للعلم والتقى
سالتك عن شئ ثلاث اعراف
لقد جاء في التنزيل والامر واضح
وايضا له اسم خماسى قذاف
يهم به المضنى وتجري دموعه
كذلك له اسم شهير لدى الورى
مسمى الذى قد قلت يا جبر واحد
معليه عزير الاذن دهماء قد انت
واوصا وما قد قلت اضمحت شميرة
تميس متى تكسى ويكثر سعيها
وتحمل ما يعسر على الناس حمله
وفي سعيها تمشى على حر ظهرها
تطيع الهوى تخشى اشتداد عصفه
وحسبك توضيح فها جوابه
فاحاب حفظه الله بما نصه
ايا عالمها بالعلم منه وبالنهى

من الطويل

وباجر عرفان لدى الناس يعذب
به كلف قلب السقى معذب
ومثلكم يتلوه دوما ويكتب
مونت لفظ للبرية يعجب
ومادته يشتق منها الهذب
رابعى حروفى وهو منها مركب
وانت لبيب ليس ذاعنك يحب
اليك فريد العصر والحل اطلب
كجارية حسنا لللب نسلب
وان جردت للسعى تخشى وترهب
وبحولة يا قوم منها تعجب
وارجلها للبطش قد تتجنب
وكزبه تزهو وتلهو وتلعب
فلا زلت يا مفضل للحل تطلب
وبالفضل عند العالمين محبب

وَمَنْ حَذَقَهُ قَدْ شَاعَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
 وَلَمْ يَلَا وَقَدْ جَازَ الْفَرِيضَ بِأَسْرَةٍ
 وَأَنَّى لُقُتْ وَأَمْرٌ الْقَيْسِ مِثْلَهُ
 أَتَيْتَ بِشَعْرٍ كَالنَّسِيمِ لَطَافَةً
 وَالغَزْتَ فِي اسْمِ عَمٍّ فِي الْبَحْرِ نَفْعَهُ
 وَنُوحٌ تَوْلَاهُ وَأَبْدَعَ صِنْعَهُ
 وَقَالَ أَرَكِبُوا فِيهَا فَبِاللَّهِ عَجْرَاهَا
 وَقَدْ حَلَّ لَغَزِ التُّونِسِيِّ مُحَمَّدٍ
 فَلَا زَالَ يُبْدِي مِنْ نَتَائِجِ فِكْرِهِ
 وَقَدْ الْغَزْتُ فِي لَفْظِ بَحْرِ فَقَلْبْتِ

الْإِقْلُ لِتَحْرِيرِ الْعُلُومِ وَمِنْ عَدَا
 فَدَيْتِكَ مَا اسْمٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ
 وَفِي قَلْبِهِ مَعْنَى اتِّسَاعٍ لِمَنْ أَنْتَ
 وَأَوَّلُ حَرْفٍ مِنْهُ أَنْ كُنْتَ حَادِقًا
 بِتَشْوِيثِهِ تَبَدُّو مَعَانٍ ثَلَاثَةً
 أَمَامَ عُلُومٍ وَالْمَدَادُ وَثَالِثُ الْـ
 وَأَنْ تَحْذِفَ الثَّانِي فُضِّلَ اسْمُهُ

من الطويل

وَمَنْ هُوَ بِالشَّعْرِ الْهُدَّابِ يُغْرِبُ
 وَطَاوَعَهُ مَا قَدْ يَضِلُّ وَيَعْرَبُ
 كَلَامٌ يَثِيرُ الْعَاشِقِينَ وَيَطْرِبُ
 فَمَنْ يَدَّعِيهِ فَهَلْ لَاشْكُ كَاذِبُ
 وَيَجْمَلُ اثْقَالًا تَكُلُّ وَتَتَعَبُ
 وَنُجَى مِنَ الطُّوفَانِ وَالْمَرْجِ لَاعِبُ
 كَذَلِكَ مَرَسَاهَا فَلَا تَتْرَسِبُ
 أَمَامَ لَهُ الْعُلْيَا تَنْمِي وَتَنْسَبُ
 نَفَائِسٍ دَرْتَبْتُ عَنْهَا الْمَطَالِبُ
 لَهُ الْغَزْ طَوْعًا قَدْ يَزُولُ نِقَابُهُ
 مَسْمَاهُ يَسْطُو بِالْأَنَامِ عُبَابُهُ
 وَأَنْ شَنَّتْ فَعَلَامَ ضِيَالَتِهَا
 فَسَمِّ بِضَدِّ الْبُرْدِ وَهُوَ انْقِلَابُهُ
 تَامِلْ لَهَا فَهُوَ الْعَجِيبُ عَجَابُهُ
 مَعَانِي أَمْرًا لَا يَسُرُّ مَصْبَابُهُ
 يَصِيرُ فَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ جَوَابُهُ

من الطويل

وقلت ملغزا في مصباح
الاقل لمن حاز البلاغة والفهما
فذاك ابو الماسم خماسي احرف
صغير كاملة اذا قست جسمه
اذا ما نسيم هب مال صباية
فريد باوصاف حسان سماها
وبمرضها طال يا صاح انفه
ويزهو متى حل البهيم وان راى
ومن اسمه حروف شئ محجب
وباقية فعل ما فركن متفطنا
واول حرف منه فاخذ وتري الذي
وحسبي لقد اوضحتها جوابه
وقلت ملغزا في السماء

يا من رقى لسما العلم والحكم
بين لنا ما اسم شئ راق منظره
لكنه ذو ارتفاع لا يحل به الا
منه الصابيح تبدو وهي زاهية
وفضله قد غدا ينهل كالديم
وحسنه قد بدأ للعرب والعجم
الذين حبوا من بارى النسيم
بها الهداية في داج لنا بهم

من البسيط

وحسنه الباهر الزاهي نقر به لانه جاء في التنزيل ذي الحكم
مركب من حروف اربع رسمت في النظم كفاها للنظم والكلم
قد تم ارجو اباشنا في احسننا لا رلت يا حبر في عال من الهمم
وقد تذكرت بهذه الالغاز ما للغزبه خاتمة المحققين الامام ابن
حجر الشافعي رحمه الله في لفظه مُدام ونصه

وما شئ حشاه فيه داء واوله واخره سواء
اذا ما زال اخره بجمع يكون الحذف كذا المعناه
وان اهلمت اوله ففعل له بالرفع والنصب اعتناء

من الفرج

ولنمسك عنان القلم عن جرية في هذا الميدان اذ لو تتبعت ما
قلته من الاشعار والالغاز لطال الحال وجلب اللال ونرجع الى
ما نحن بصدد فنقول وعند المساء سكن الهوى وبطل هبويه
وقد شماله وجنوبه وقد جينا مقابل البنية وكان فيها جماعة من
الغز الذين ابتز الله منهم حلة العز فاخذونا بالقوة والقهر واملوا
سفينتنا الى جانب البر وكان معسكرهم مخبيا في عرض البلد على
النيل وكانوا مقيمين هناك لنهب السفار المارين فغرموا صا
جملة من المال وبعد الخلاص اقلعنا عنهم والحال وفي اليوم الثالث
حللنا منفلوط فاخذنا منها ما احتاجنا اليه ثم اقلعنا حتى دخلنا

بنى عدي فاقمنا فيها ريثما تاهبت القافلة وخرزوا اسقيتهم
 وصنعوا زادهم ثم جرى بالطي فحملت احمالها وخرجنا مهمها قفرا
 حتى وصلنا الى الخارجة وعشية اليوم الخامس فوجدناها قد
 دار بها النخيل دورة الخلال بالساق والتفاويدي العاشق
 على معاطف العشوق للعناق وفيها من التمر ما تشتهي الانفس
 وتلذبه الاعين مع رخص الاسعار وحسن تلك التمر فاقمنا
 بها مدة خمسة ايام وفي صبيحة اليوم السادس ارتحلنا وسرنا نحو
 يومين وفي اليوم الثالث حللنا بلدة يقال لها ابيريس وهي بلد قد
 استولر عليها الخراب من ظلم الحكام وتمزق شمل اهلها بعد الانتظام
 ففسد ما به من النخيل وذهب رونقه بعد ان كان جميل فاقمنا
 بها يومين حتى افاقت دوابنا وزال عنها العناء ثم سافرنا يومين
 ونزلنا في ثالثهما بلدة يقال لها بولاق وهو من الساكن في املق
 قد درست معالم اكثرها وتصعد بناء اقومها واشهرها ومن
 العجائب ان نخلها في غاية القصر وهو حامل للتمر لا يتكلف جانيه
 للقيام بل يتناول منه ولو في هيئة النيام فتذكرت باسمها بولاق
 مصر المحمية حرسها الله من كل آفة وبلية فانهملت دموعي
 وهاج وجدى وولوعي فانشدت اقول شعرا

تذكرت بولاقا ومصر واهلها وادكر في هذي التي تدعى بولاقا
فبالله يا عيني اسعفيني يادع عسي يبرد القلب الذي زاد احراقا
ثم سافرنا مجددين من غير لبس حتى نزلنا عشية النهار على بلد يسمى
النفس مفرد

من حوزة

وبلدة ليس بها انيس الا اليخافير والا العيس
قيل ان هذا البلد كان امر من كل بلد فاخني عليه الذي اخني
على لبْد وتمزق شمل اهله ولم يبق به احد وليس به من الاشجار
الا ما قل وهو بعض اثل ومبل فاخنا فيها يومين وملانا القرب
وارتحلنا ولمفازة الحقيقية دخلنا فكننا خمسة ايام في مهبه
قفرا وببدا غير ليس فيها من الكشائش الا ما قول قليل كما لا يوجد
بها شجر يصلح للمقيل وكان يطبخ لنا في تلك المدة بما تلتقطه الخدم
من بعير الابل الجاف لقله الوقود الذي يحصل به الاسعاف وفي
عشية اليوم الخامس وردنا محلا يقال له الشب وهو محل بين
غرود من الرمل عليه ربح الوحشة قد هب فارحنا فيه يومين
وارتحلنا ولمفازة الثانية دخلنا فقطعناها عنقا وذملا في
مدة اربعة ايام نزلنا في ضحى خامسها ببئر يقال له سلية وهذا
البئر رسوم ابنة قديمة وهو في عرض جبل مسمى بهذا الاسم ايضا

من الرجز

فكثنا فيه يومين حتى قضينا منه غرضا ومن خواض هذا المحلان
الحال به يستانس به ولا يستوحش منه ومن العجايب ان الشبان
من اهل القافلة يصعدون على الجبل الذي هناك ويضربون
الحجارة بعصى صغار كما يضربون الطبول فيسمع لها صوت كالطبل
ولا يعرف سبب ذلك اهو تجاوب في الحجر اوهي موضوعة على خلوص
فسيحان من يعلم حقيقة ذلك واخبرني اهل القافلة ان في بعض
الليالي واظنهم قالوا في ليلة كل جمعة يسمع من الجبل اصوات طبول
وكانه عرس ولا يعرفون حقيقة ثم ارتحلنا صبيحة اليوم الثالث
بعد ملئ ادوات الماء ودخلنا مفازة سافرنا فيها خمسة ايام وصلنا
في ضحى سادسها الى محل يقال له لقيية فوجدنا هناك ابارا محاطة بالرمل
وماوها عذب زلال وقبل وصولنا لهذا المحل عرضت لنا قافلة
صادرة من بئر النطرون المسمى بالزغاوي واهلها من عرب
يقال لهم العمائم فقابلونا بالسلام ثم انصرفوا عنا بسلام فكثنا
في لقيية يومين وفي صبيحة اليوم الثالث ارتحلنا للزغاوي قاصدين
واذ بهجان اقبل من ناحية دارفور يخبر بوفاة المرحوم الملك العادل
المجيد السلطان عبد الرحمن الرشيد ملك دارفور وما والاها
وسلطان اقصاها وادناها وانه ذاهب الى مصر لتجديد الخاتم

الذي تختم به الاوامر السلطانية لعدم من يتقنه هناك لابنه
السلطان محمد فضل وذلك لليال مضت من رجب الفرد سنة ١٢١٨
فحزن اهل القافلة على موت سلطانهم وخافوا من وقوع الغتن
في اوطانهم لانه كان سلطانا عادلا كريما محبا للعلم وذو به مبعضا
للجهل ومن يليه وسنتكلم على عدله واحكامه فيما ياتي با بسط
عبارة ان ثنا الله تعالى ثم سافرنا من هناك ثم سافرنا خمسة ايام
الخنافي سادسها بئر الرغاوي وهو بئر النطرون وبينه وبين
دارفور مسيرة عشرة ايام كاملة فاتقنا به احدى عشر يوما
نصلح شئونا ونرتاح وترعى دوابنا للتقوى على قطع هذه المفازة
الدهماء ونحرت في اقامتنا تلك عدة جُرر وفرق لحما على اهل
القافلة واجتمعنا هناك باعراب البادية من دارفور واتونا
بلبن الابل وسمنها فاشترينا منهم ما احتجنا اليه وكانوا اتوا
لهذا البئر لياخذون منه ملحاً ونظرونا لدارفور لان النطرون
واكثر الملح لا يجلب لها الا من هناك وكنا قبل حلولنا بالرغاوي
ارسلت اهل قافلتنا حجنا لدارفور باوراق الدولة والى اهلهم
تعليمهم بالجيئ وانهم قد قفلوا سالمين وكنت قد كتبت معهم
كتابا بالودي ونصه الى حضرة والدي واعز الناس عندي

السيد عمر التونسي ابقاه الله امين بعد تقبيل ايديه الشريفة
 اني قد اتيت مع قافلة الخبير فرج الله صحبة السيد احمد بدوي
 صاحبكم وحبيبكم وفعل معنا من المعروف من اجل خاطركم
 ما لا تقدر على وصفه لسعادتكم والسلام كاتبه ولدكم محمد عمر
 ابن سليمان فاخذها الهجان وارحل من وقته ولما رافى
 اسفارى التي سافرتها اهون منها لان كنت فيها في غاية الرأ^{حة}
 وذلك ان حال خروجنا من بني عدي امر السيد احمد بدوي
 عبيدة ان يضعوا الخيمة على اهدى جمل وان يوطئوها للركوب
 توطئة حسنة ففعلوا واخذ بيدي الى ان سلمني خطام الجمل
 وامران يا تو ابر مزمية ملائمة ماء فحيث وعلقت على الجمل
 وقال هذا جملك تركيه مهما اردت وتنزل عنه مهما اردت
 وهذه الزمزية تشرب منها كلما احتجت الى الشرب وكلما
 فرغت من احد العبيد يملأوها لك وامر جميع العبيد الخدمة
 بطاعتى في ذلك وكان معه من العبيد الكبار سبعة وعبد
 صغير وثمانية من الخدمة ومعه من الجمال ثمانية وستون
 جملا قد اعد منها ثمانية للماء واربعة للزاد وفي وقت الدخول
 الى المفازة كان يعلق على كل جمل قريتين وكان معه من السرار

خمسة وسادستها ابنة عمه السيدة جمال وكانت من اجمل نسائه
وكان معه حصان دنقلاوى اسود لا يقوم بهال كسنته وعليه
سرج غشاوه قطيفة خضرايقوده عبد خاص به وكان السيد
احمد يلاطفنى ملاطفة الوالد لولده فكنت اذا نزلت القافلة ربما
نمت من تعب الركوب وهز الجمل وحر الشمس فكان يدثرنى واذا
جئى بالعشاء يوقظنى بلطف ويطلب ماءً ويغسل وجهى ويدي
ويامرنى بالضمضة لافيق من النوم وياخذ يدي ويضعها في الاثاء
وربما اخذ الطعام ووضعها فيى ولم يزل هذا دأبه معى حتى
وصلنا بالسلامة ثم ارتحلنا من بئر الزغاوى سافرا عشرة ايام
سفر المجد ناخذ من اول الليل قطعةً ومن اخره دلجة حتى وصلنا
ضحى حادى عشرها الى المزروب وهو بئر في اول اعمال دارفور
وقبله بنحو ثلاث ساعات او اربع جاءتنا اعراب يقرب من الماء اللبن
فاستبشرنا بالسلامة ثم نزلنا البئر المذكور فاقمنا فيه يومنا وفي
صبيحته ارتحلنا نحو اربع ساعات ووردنا بئر ايقال له السنوية
وهناك قابلنا قائد الولاية وحاكمها وكان يسمى الملك محمد بن حنق
وهو قائد الزغاوة وهى قبيلة عظيمة من السودان واهل السودان
يسمون القائد ملكا ومعهم جيش كثير اظنه نحو خمسمائة فارس

فسلم على اهل القافلة وهنام بالسلامة فاقمنا في هذا المحل يومين
 ثم ارتحلنا وتفردت الناس فكل اناس اخذوا طريق بلادهم لان
 اهل القافلة كلهم ليسوا من بلدة واحدة فكثرهم من بلادهم المشهور
 السمي كونيي وبعضهم من كباية وبعضهم كالسيد احمد بدوي
 صاحبي من سرف والدجاج وبعضهم من الشعيرية وبعضهم من
 جديد كزيو وبعضهم من جديد السيل فذهب كل منهم في
 مذهبه واخذنا طريق سرف والدجاج فسافرنا سفرا هينا نحو
 ثلاثة ايام ونزلنا في رابعها قرب الظهر في ظل جبل يقرب بئر
 فقلنا هناك وجاءت اناس كثيرون يهنوننا بالقدم وجاء هناك
 بدوي ابن السيد احمد ومعه عبيد وخدم باطعمة كثيرة فسلم
 على والده وهناه بالسلامة وتغدينا واقنا حتى انهر النهار واخذ
 الشمس الطفل والاصفر ارحلت الاحملا ورفعت الاثقال فلم يات
 المغرب الا ونحن على ظهر مقلون على الجادة سائرون فدخلنا
 سرف والدجاج بعد العشاء مفرد
 فالقتر عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر
 وبتنا تلك الليلة فمنتقة من كثرة السيلين وازدحام الآ
 والخارجين ومع ذلك لم يتهاون السيد احمد بامري ولا شغلته

من الطويل

ما هو فيه عنى بل افردي حجرة وجعل فيها من الفرش والاية ما
احتاج اليه وانا اعلم ذلك بل حين طال على السهر دخلت عليه
وقلت له اين انا فنادى باحد العبيد وقال له ارى سيدك
حجرته فاخذني وادخلني حجرة رايت فيها سريرا وفرشا وانية بل
وجميع ما احتاج اليه وبت بانعم ليلة حتى اذا أصبحت لبست
ثيابي ودخلت عليه فوجدته جالسا في ابهة عظيمة بين خدامه
وجواريه واولاده قارا سارا كانه لم يكن مسافرا فرحب بي
واكرمني فقبلت يده وجلست معه ثم قال لي ان ابن اخي
السيد احمد الصغير قد صنع في هذا النهار وليمة القدوم والتمس
منى ان تتوجه اليه وتشرف مجلسه بحضورك فان رايت بك
نشطا واردت جبر خاطره فذاك اليك وما اريد ان اثنق عليك
فقلت سمعا وطاعة لكني لا اعرف منزله فامر احد غلمانه ان يعرفني
منزله فذهبت وحضرت ضيافته فاعظم ملقاي ورحب بي
وكان يوما عظيما ثم ان جميع اهل القافلة صاروا يصنعون
الولائم فتوالت وكل وليمة يدعونني فاحضرها حتى جاءني وتو^{جئت}
صحبتة الى والدي وذلك اني كنت في ضيافة بعض الاصحاب
واقيت قرب المساء فدخلت الحجرة المعدة لي فرأيت فيها رجلين

وعبدین اما الرجلان فاحدهما اسم تصیر ذوهیئة حسنة
جمیل البرزة یقرب لونه من لون الحبشة والاخر اسود رث
الهیئة فسلمت علیهما فردا علی السلام وجلست متعجا
کیو دخلا فی حجری بغیر اذنی فرایتما یتغامزان ویقول احدهما
للاخر اهو هو فیقول الاخر نعم هو ولا اعرف علی م یقولان ذلك
ثم سألنی الرجل الاول وقال لی انت من هنا فقلت لا انا من
مصر جئت ملتسلا الی فقال ومن ابوک فقلت ابی السید عمر
التونسی فقال لی السودی سلم علی عمک السید احمد زرروق
فسلمت علیه ح وبعده السلام اخرج لی مکتوبا فیه بعد
السلام انه قد جاءنا کتاب من ولدنا السید محمد اخبرنا فیه
انه قدم صحبتک وفعلت معه من المعروف ما انت اهله
فجزاک الله عنا خیرا وهذه منة لا اکاد اقوم بشکرها وصیغته
لا قدر علی مکافاتھا ومن العلوم ان السهادات سنة من اول
الزمان وقد قبل الهدیة سنید ولد عدنان ولذا قال علیه صلا
ربنا المنان تهادوا و اجابوا وتذهب الشحنة من قلوبکم وقد ارسلت
لحضرتک صحبة اخی السید احمد زرروق عبدین سدا سیین
ومهر احرار من سعادتکم قبولهم وهم علی قدر مقامی لا

على قدر مقامك ولله القائل شعرا

جاءت سليمان يوم العرض هدية اتت له بجراد كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته لكان قيمتك الدنيا وما فيها
ومنا السلام عليكم وعلى اولادكم واهل منزلكم ومن يجوبه مجلسكم
السعيد وقال لي خذ هذا الكتاب واقراءه على عمك السيد احمد
فذهبت به وقراته عليه واحضرت الهدية فراءها وبارك فيها
ثم قال اني قبلتها ووهبتها لابني هذا يعني فالحمت عليه انا و
في قبولها فابى الا ذلك وقال اني لو افنيت اموال كلها في مرضا^{ته}
لما كان ذلك جزاء له بما صنع معي من العروف فجاشرت عليه
حينئذ وسالته بالله العظيم لاما اخبرني عن هذا العروف
الذي صنعه معه فقال لي اعلم يا ولدي ان اعداي وشواجي
الى حضرة السلطان باي ابيع الاحرارى وزخرفوا له القول
حتى استقر في ذهنه ان الامر صحيح فغضب لذلك وقال تاجر مثل
هذا في عنائه يفعل هذا الفعل الفقراولى به فاحضرنى من دارى
على غير صورة وحين دخلت عليه وتحنى وقرعنى بالكلام المولم
وطلبت تحقيق ما قيل في فلم اتمكن من ذلك ولا سمع لي قول

من البسيط

بل امر بالقبض عليّ وان توضع الاغلال في عنقي ويضيق عليّ
في الحبس وكان من لطف الله تعالى ان اباك حاضر بالمجلس
فلم يتجاسر احد يستنفع لي عنده لما قام به من الغضب وحين
راى والدك ذلك تقدم وتحنح وذكر احاديث في العفو عن
الجاني وتلى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
ثم شنع في فشنعه السلطان وامر باطلاقى وبعد ذلك
ظهرت له برائتي ولكن لو لم يسخره الله لي في تلك الساعة
لذهبت نفسي واموالي كلها فاي جيل اكبر من هذا او صنع
اعظم من هذا ومع ذلك كله فاجر ابيك فيما فعله معي على
الله واني طالما كنت اترقب له حاجة تاتي على يدي فاقضيها
له لم يتيسر لي الا هذه الخدمة وعسى ان يكون فيها قضاء
بعض ما وجب علي ولا اظن ذلك ثم اراد عني ان يسافر صبح
ذلك النهار فابي السيد احمد فكثنا بعد ذلك ثلاثاً وفي صبيحة
اليوم الرابع دخلت عليه لاودعه فاعطاني خرزاً كثيراً يضعه
نساء السودان في اوساطهن من قبيل الزينة يسمي عندهن
رُقَاد الفاقة ومعناه نوم الراحة واعطاني خرزاً اخر غالي الثمن
يجعلنه في اجيادهن وهو على انواع منه ما يسمي بالريش وهو

خرز ابيض مستطيل فيه بعض خطوط سمر معروف بهذا الاسم
في مصر ايضا ومنه ما يسمى بالمنصور وهو خرز اصفر من
كهربان مستدير مفرطح ومنه خرز كروي الشكل احمر غير ناصع
يسمى بالعقيق فاعطاني منها ما يزيد على عقدين وثمنه ينوف
عن ثلاثة روس من الرقيق واعطاني عمامة خضراء من الشاش
جديدة وسنبلا ومحلبا وصندا كثيرا وهذه الثلاثة من
العطريات يتطيبن بها نساء السودان وقال فرق هذه الاشياء
بين نساء ابيك وذبح لنا شاة وحندها وبلغتهم يقال لها نصيب
زودناها وودعنا وركبنا وكان مع عمي عبد احر كبير فركبت الفرس
وركب عمي هجينا وركب الرجل حمارا فارها وسعت العبيد لماننا
وسرنا قاصدين محل ابي وكان بمحل يقال له ابو الجدول وبينه
وبين سرف الدجاج ستة ايام سفر فخرجنا من سرف الدجاج وورنا
بالبلد السمي بكباية وهي بلاد انشبه ببلاد ريف مصر الا انها اعمر
منها واخصب لانها آهلة بالسكان مغتصة بالقطن واهلها
تجار اغنيا وعندهم من الرقيق ما لا يحصى كثرة ولهم نخيل وارض
واسع فيها ابار قريبة الماء يزرعون بها انواع الخضراوات والبقول
من بامية وملوخية وقرع وبادنجان وفقوس وقتنا وصل حلبة

وكمون وفلفل وحب ريشاد وكله كما نعهد الا الفلفل فانه حب
 رفيع اغلظ من الشعير بقليل وعندهم بعض شجر اللبون الحامض
 وبقربهم جبل يقال له مرة وهو جبل يشق اقليم الفور من اوله
 الى اخره مع الاستقامة وله عدة طرق تصعد الناس منها اليه
 ولكل قطعة منه اسم خاص به غير اسم العام والفور يسكنون
 في اعلاه ولا يالفون الوهاد بل يرون ان ذلك اصون لهم ولا يرون
 وسياتي لهذا مزيد توضيح وحين مرورنا بكينكاية وجدنا سورا
 عامرا فاخذنا منه ما احتجنا اليه ثم توجهنا فسا فرنا ثلاثة ايام
 في عرض جبل مرة وصرنا نبني بيلاذ اقوام مستوحشين يكرهون
 الضيوف خصوصا ان كانوا من اولاد العرب فاصابتنا منهم مشقة
 عظيمة حتى صرنا لا نبيت عندهم الا كرها عليهم مع ان معان اولادنا
 ولا يحتاج لهم في شئ فكانوا ينفرون منا بالطبع وبعد ذلك خرجنا
 الى السهل فبتنا ليلة واحدة بمحل يقال له تارنية فاكرمونا هناك
 وصنعوا لنا ضيافة عظيمة وفي ضحى اليوم السادس دخلنا البلدة
 التي فيها والدي السماة بجلة جوثو وهي من جملة حلال ابو الجدول
 فراينا على باب دار والدي خيلا وحميرا وخداما لاضيا وكانوا عنده
 فدخلنا الدار وعرضنا جوارى وعبيد يسلمون علينا ويهنون

بالسلامة ثم جاء والذي بعد ان ركب اضيافه وسلم عليه فقلت
وقبلت يده ووقفت امامه خدما له فامرني بالجلوس فجلست
فسالني ما الحرفة التي تعلمتها فقلت له القران وشي من العلم
فسر لذلك وصنع ثاني يوم مجي وليمة ذبح فيها عدة شياه
وبقر ودعى الناس فجاء خلق كثير فاكلوا وكان يوم سرور ثم انه بعد
ثلاثة ايام جهزني وعمي السيد احمد الى الاعتاب السلطانية بهذا
من عنده الى حضرة السلطان ووزيره الاعظم اذ ذاك الشيخ محمد
كرا والفقيه مالك الفتاوى وهو وكيل ابي وحوالجه التي تعرض
للدولة كلها على يده وهو من قبيلة تسمى الفلان واهل دارفور
يسمونها الفلانة وفلاتا بالالف في الاخر اصح والفقيه مالك المذكور
اعظم الوزراء من اولاد العرب وكان يومئذ السلطان محمد فضل
ابن الرحوم السلطان عبد الرحمن صغيرا وكان زمام الامور كلها
بيد الشيخ محمد كرا ومعناه بالفوراوية الطويل لانه هو الذي
عضد السلطان محمد فضل بعد موت ابيه واجلسه على سرير
ملكه وناب عنه في الاحكام وتدير المملكة لصغر سنه وقد شاع
على السنة الناس اهل دار فورانه من عبيد السلطان وليس
كذلك بل هو حرم خدم السلطان واغني وخدمته وقام بعباء

الامور حتى ترقى للوزارة العظمى بحسن تدبيره وتصرفه في مملكة
 دارفور حتى كان لا تعلق على كلمته كلمة غير السلطان وكان رحمه
 الله فيه دهاء ومكر وشجاعة واقدام وحيل على الامور حتى سيفذ
 اغراضه وستاتي سيرته وسيرة السلطان عبد الرحمن وابنه
 السلطان محمد فضل واخيه السلطان محمد تيراب مفصلة
 ان شاء الله تعالى فركبنا من ابي الجدول التي تندرني وهو مقر السلطان
 في اول شعبان سنة ١٢١٨هـ ويسمى بلغتهم الفاشر وكل محل سكنه
 السلطان يسمى عندهم فاشر افسا فرائين من سفر اغير شريط
 ودخلناه ضحوة الثالث فوجدنا بلدا يهوج بالسكان ويرتج
 بالقاضن ما بين ركب وماشي وجالس وغاشي وطبول ترعد
 وخيول تركض فدخلنا دار الفقيه مالك فوجدناه جالس بين
 خدم وحشم وارباب الخواج محتفون به فدخلنا عليه فسلم عليه
 عمي فاعظم ملقاؤه ورحب به فعرفه عمي فسلم على وبش
 في وجهي ورحب بي ثم ان عمي اعطاه الكتاب الذي له والكتب
 التي للدولة فقرأ كتابه ورحب وافرد لنا محلا وضعنا فيه متاعنا
 ثم اخذنا في الحال الى دار الشيخ محمد كرا فرائنا دار اعل بابها من
 الخيل والدواب مالا يحصى كثرة ودخلنا فرائنا جالس في

مجلس حفل وارباب الدولة محتفون به فسلم علينا ولم يعلم من
انا ثم سال وقال من هذا فقال له الفقيه مالك هذا ابن الشريفي
عمر التونسي العالم المقيم بابي الجداول وقد ارسله صحبة عمه ليسلم
على سعادتك وهذا كتاب ابيه فاخذ الكتاب وفتحه ولما علم ما فيه
صار يلاطفني ويحييني اكراما للوالدي وقد منته له الهدية فقبلها
وامر بادخالها الى خزانته واقبل يلاطفني بالتحية اكراما للوالدي ثم امر
الفقيه مالك ان يبقينا عنده حتى ياذن لنا في التوجه فبقينا عند
الفقيه مالك ثلاثة ايام ونحن في اكرم ضيافة والذاتنا وف
اليوم الرابع دعانا الشيخ محمد كرا على يد الفقيه مالك وكسا كثيرا
اخضر وجبة خضرا وقفطانا من القطن الهندي وامر لوجاريتين
وعبد وكتب لابي كتابا قرانه بعد ذلك عند ابي وصورته من
حضرة من اكرمه الكريم ولا يفارقه الخير والنعيم الوزير الاعظم
المتوكل على من يسمع ويرى الاب الشيخ محمد كرا الى حضرة الاستاذ
الاعظم والملاذ الاظم علامة الزمان ونخبة سلالة سيد ولد
عدنان السيد الشريف عمر التونسي دام مجده امين اما بعد
انه قد حضر لدينا بخلكم المكرم صحبة اخيكم المحترم الاعظم بما
اهديتوه لنا حسبما هو مشروح في جوابكم ففرحنا غاية الفرح

بامرین الاول اجتماع شملک بقرة عينک والثاني باننا نرمل
اقامتک في بلدنا وهذا هو المقصود الاعظم لتحصل لنا البركة
بکم اهل البيت وقد اتحفنا بما صحبه ونرجوان يكون مقبولا
له يکم ولولا ما نحن فيه من الاشتغال لكان الامر ابغ من
ذلك فالعذرة اليک وامل ان لا تنساني من صالح دعواتک
والسلام عليك ورحمة الله وبرکاته ثم ان الفقيه مالک قدم
لوجارية ناهدا وجوابا قرانه بعد ذلك ايضا مضمونه بعدم
السلام انه قد ورد علينا کتابکم صحبة نجلکم واخيکم وقدمنا
الى حضرة الشيخ محمد کرا وقد دخل عليه من السرور ما لا
يعلمه الا الله بقدم نجلک كما ينصح لك كتابه عن ذلك ونحن
اشد فرحانه لما بيننا من المودة وما اهداه الشيخ محمد کرا
لنجلک يتلى عليك ويصل بين يديک وها نحن قد اتحفنا
نجلک الکریم بجارية كوعبة مثرية اراد هنا كاعبة واما قوله مثرية
لا معنا له هنا وذلك من جهل الفقيه وهذا اي كاعبة ومثرية
مذكور في القران في وصف الحور واراد الفقيه انه يدعى عالما
فانه غلط وقال هنا قولا بدون معنى واسمها حميدة عسى
ان تلمح بالقبول كما هو المامول والسلام فاخذنا جميع

ذلك وتوجهنا لو الذي فرحين مسرورين ففرح بقدم منا ثم اقتنا
جميعا مدة شهر رمضان وحين انقضاءه توجه ابي الوفاشر
للسلام وقابل الاب الشيخ محمد كرا وطلب منه الاذن في
التوجه الى تونس ليري امه واخويه ويجمع بهم قبل وفاة امه
واعلمه انه سينركني في بيته وبلاده لان البلد التي كان فيها
اقطاع له اقطعها له المرحوم السلطان عبد الرحمن قبل وفاته
وكان قبل ذلك اقطعه بلادا في المحل المسمى بقرى فابى والذي
الاقامة فيه لهجة لسان اهله وعدم معرفتهم العرب فنقله الى
هذه البلد وهذا الاقطاع يشتمل على ثلاثة بلاد حلة جولة
فيه بيتنا والديبة وام بعوضنة فاتفق مع الشيخ محمد كرا ان يتركني
في هذه البلاد اجمع خراجها وانتفع بزراعتها فاخذ عليه الموائيق
بالعود واذن له وكتب له عدة اوامر الى العمال الذين بطريقه ان
يعطوه جميع ما يحتاج اليه وان يرسلوا معه جندا يوصله الى محل
الامن وودعه ورجع اليها مهتما بامر السفر فجهز نفسه في اقرب
وقت وذلك انه باع ما عنده من القطن وكان عنده قطن كثير
ينوف عن مائة قنطار لانه كان زارعا قطعة ارض تزيد عن عشرين
فداناً من افدنة بر مصر قطناً وكانت هذه القطعة يجمع منها وقت

هجوم القطن في كل يوم اربع عشرة ريكة والريكة في عرف اهل
دار فور كالقفة في عرف اهل مصر وهي رُبما لوصبت فيها غلال
يسع نحو خمسة ارباع بالربع المصري فباع كل ذلك وباع مراح
غنم كان عنده وكذا اباع البقر والحير واخذ جواريه وعبيده وما
حصل لي من السيد احمد بدوي ومن الاب الشيخ محمد كرا ولم
يترك لي الاجارية بعينيها بياض تسمى فرحانة وعبددين وامراتيهما
وجارا وهجينا ضعيفا وترك لي احدى نسائه تسمى زهرة وامرأة
اخيه وكل منها معها بنت وباع مطاير الغلال ولم يبق لي الا
مطورا واحدا واعطاني وثيقة الاقطاع التي كتبها له الهجوم السلطان
عبد الرحمن حين اقطعه الارض المذكورة ونصها من حضرة السلطان
الاعظم والملاد الاغثم سلطان العرب والعجم ومالك رقب الامم سلطان
البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين الواثق بعناية الملك
المهدي المعيد السلطان عبد الرحمن الرشيد الى حضرة الملوك
والحكام والشراقي والرمالج واولاد السلاطين والجبايين واهل
دولة السلطان من العرب والسودان اما بعد فان السلطان
المذكور المبرور المؤيد المظفر المنصور تفضل واهد بمعونته واعطى
العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الارض كائنة بابي

الجدول حاوية لثلاث حلل من حلة جُولتو والدبة وأمر بعوضه
بجدودها المعروفة واتهامها الموصوفة حسبما حدده الملك جوهر
للملك خميس عرفان لا يعارضه فيها معارض ولا ينازعه
منار من اهل المملكة خصوصاً جبابي العيش يتصرف فيها
بأي نوع من وجوه التصرفات شاء هبة لوجه الله تعالى وطلباً للتواضع
في دار المآب والحذر ثم الحذر من الخلاف والتعرض من الخاص
او العام ثم ان والدي حل اثقاله واخذ رقيقه وسريته واخاه وتو^{حط}
وابقاني في المحلة وفي شهر رجب سنة قتل الاب الشيخ محمد كرا
في حرب عظيم وقع بينه وبين السلطان محمد فضل وسببه ان
اعداء الاب الشيخ محمد كرا دخلوا بالفتنة والسعاية بينه وبين
السلطان وقالوا للسلطان ان الاب يريد نزع المملكة من يدك
ويولي عليها اخاه باسي عوض الله فاظلم الجوب بينهما واحتال السلطان
وجامعته في القبض عليه فلم يتيسر له ذلك وانعزل الاب بجماعته
في بيت اخر كان له بتندلتي عن بيت السلطان وارسله السلطان
ان ياتي اليه فابى فلما لم يجد السلطان وجماعته حيلة للقبض
عليه وامتنع عنهم منعوه الماء فمكث ثلاثة ايام يستقي من
جديد السيل ثم لما اشتد العطش بجماعته قالوا له انا قد

عطلشنا وليس عندنا من الدواب والقرب ما ياتي لنا بالماء الذي
يكفيننا فارجل بنا الى محل اخر نشرب منه الماء او دبر لنا حيلة
فركب ح هو وعسكره وتوجه للرهد وهو غدير الماء بتندلتي
فوجد عليه حارسا من دولة السلطان مع عسكر كثير يمنع
جماعته وهو الملك محمد ذلك ابن عمه السلطان محمد فضل
فقتله وقتل جماعته قتلا ذريعا وسمع بذلك جماعة السلطان
فخرجوا عليه ونشب الحرب بينهما فانكشفت جماعة السلطان
وكان ظهر يوم الخميس وخاف السلطان على نفسه ففر الى
جديد السيل وكان يوم اعلى السلطان وجماعته لا لهم وما
زال الحرب بينهم حتى امسى المساء فنزل الشيخ محمد كرا بجماعته
في عرض الغدير ونزل جماعة السلطان قبالتهم من الجانب
الاخر حتى اصبح الصباح وكان الاب اقتقد بالليل جماعته فوجد
اخاه باسى عوض الله قد قتل في الحرب فحزن لذلك وقال لمن اقاتل
وقدمت اخي واعز الناس عندي وكان قد اخرج معه باسى
طاهر بن السلطان احمد بكر عم السلطان محمد فضل وبايعه
على السلطنة وتلك حيلة عملها لئلا تنفر منه اهل دار فورلان
من عاداتهم ان لا يتولى عليهم الا من كان من اولاد الملوك من

بيت سلطانتهم ولما علم بقتل اخيه قال لمن حوله اني قد
كرهت الحياة ففي غد اياكم ان تقاتلوا بل ادخلوني في الحرب
وانجوا انتم بانفسكم فحين نشاع عنه ذلك فرت جميع عساكره
الا باعد ولم يبق معه الا ذوو قرابته في نفر يسير تبلغ عدتهم
الفاو اكثر بتليل فلما اصبح ضربت طبول الحرب وركبت
جماعة السلطان وركب هو ايضا في جماعته وادخلوه في
الحرب والتعم القتال وغاص الاب في جماعة السلطان واختر
الصفوف حتى لم يبق بينه وبين السلطان احد ولو اراد قتله
لفعل ولكن تذكر معروف ابيه فمنع يده عنه ووقف امامه برهة
وقال له يا ابن الفاعلة اتسمع في كلام الناس ويكون هذا
جزاى معك وخاف السلطان ح على نفسه منه وازدان
يفرونادى قد جاء ليقتلني فانطبقت عليه الغاس من
كل جانب وداروا به كالحاتم بالاصبع ولم يجد معينا ولا مساعدا
فقاتل حسب طاقته وقتل عدة ابطال وجرح جراحات
غير بالغة فلم يكثرث بها وخافوا ان يدركه احد من جماعته
فينخلص من ايديهم مع ان جماعته كلها انكشفت عنه
وبقى فيهم وحده فصار يقاتلهم نحو ساعة ثم لما عجزوا عنه

عقروا جواده فوق على الارض فما استطاع النهوض لتقله لانه
كان لابسا درعين من الحديد فتكاثروا وتكالبوا عليه بالرمح
والسيوف حتى قتل رحمة الله عليه ولقد جرد بعد موته فوجد
فيه ما ينوف عن مائة جرح من ضربة سيف وطعنة رمح ورجع ابن
زوجته محمد شيلفوت ظنا منه ان يحده حيا فينقذه من ايديهم
فوجده قد قتل فجرده سيفه وغاص فيهم فقتل منهم عدة ابطال
وهو ينادى يا لثارات الشيخ محمد كرا واخيرا تكالبوا عليه وقتل
هو الاخر بعد ان قتل اكثر من عشرين من العدو دين واذا قد
ذكرنا مقتل الاب الشيخ محمد كرا فلنذكر مبداء امره وكيف ترقى
به الحال وتعرض لسلاطين دارفور حسبما علمنا من ثقاتهم
واخبرني به اجم الغفير من مسنيهم فاقول ان السلطان
محمد فضل هو ابن السلطان عبد الرحمن بن السلطان احمد بكر
قيل ان السلطان احمد بكر كان له من الولد سبعة بنين وهم
عمر و ابو القاسم و ريز و ريفا و تيراب و طاهر و عبد الرحمن وهو المذكور
باليتيم لان اياه مات وتركه حملا فلما حضرته الوفاة جمع ارباب
دولته وجعل ولاية العهد لجميع اولاده يتولاها كلهم الاكابر
فالاكابر وشرط ان لا يتولى هذا الامر احد من اولادهم الا بعد

انقراضهم فلما توفي تولى ابراهيم المسمى بعمر فمكث في الملك سبع
سنين ثم قتل في حرب كان بينه وبين السلطان جوده سلطان
دار صليح السماة بدار وداى و بدار برقوم ثم تولى بعده اخوه
ابو القاسم فمكث ثمان سنين وقتل في الحرب مع سلطان
برقوم ايضا ثم تولى بعده السلطان محمد تيراب ففكر في الحرب واقام
في بلده آمرا فهاهي سلطانا ثلاثا وثلاثين سنة انما سمي تيراب
ارض الشام لان الفور يسمعون ان ارض الشام مخصبة
وانها من ارض الجنة سيما وفيها المحشر وهي عش الا نبيا
فلقبوه بهذا اللقب لصدور الافعال الجميلة منه كما ان
ارض الشام نباتها كلها جميل ومعنى تيراب لغتهم المحبوب
التي تزرع في التراب التي يعبر عنها اهل مصر بالتقاوى واهل
المغرب بالزريعة ولقبوه بذلك لانه كان رجلا كريما حلما
واسع الصدر جيد التدبير شفيقا على المساكين وكان اناة
وكان يحب الزينة وانواع الملاهي وكانت ايامه كلها خصبا
ودعة ورخاء اسعرا لان اخر امره كرهته الناس لظلم اولاده
لان له ما ينفق عن ثلاثين ولد ذكر غير الاناث فصاروا يكرهون
ويجوسون خلال البلاد وكلما سمعوا بشيء جميل اخذوه من

صاحبه ويكفون الرعية ما لا تطيق حتى كان فيهم ابن له يقال
له مساعد كان من عتوه وتجبره ياتي ان يركب الخيل بل كان
يركب ظهور الادميين فلما وجد شتابا امر بالقبض عليه
وركبه حتى اعياه وربما سافر السفر البعيد لا يركب فيه جوادا
ولا حمارا بل ينتقل على الناس حتى ينتهي سفره واذا لم يجد غريبا
ركب من جماعته وكانت الرعية ترفع شكائهم لابيهم فكان
لايشكوهم ولا يقبل منهم بل ربما غضب وقال ان هذا لهو
العجب اقليم مثل هذا لا يتحمل لولادي وكما عملوا صغيرا يشكون
الي فلما راي الناس ذلك ابطلت الشكوى ورفعت امها الي
الله عز وجل وكان قد ولي المناصب الجليلة لا قارب ازواجه
فكانت جميع وزرائه اقارب زوجاته وكان اكبر لولاده اسمها
المسمى بالخليفة كان اسحاق المذكور شجاعا مهابا ذا رأي وحرص
الا انه كان فيه نوع ظلم وجور وسبب تسميته بالخليفة
ان اباة جعله خليفة بعده ولقبه بهذا الاسم وجعله دولة
كدولته ووزراء كوزرائه فكل وزير كبير له ولد كان السلطان
يامره ان ياتي بابنه للخليفة ليكون عنده بمنزلة ابيه عند
السلطان ومكث على ذلك مدة حتى سافر السلطان تيراب

الوكورد قال وابقاه خليفة في دار فور كما ياتي بيانه ان شاء الله تعالى
وكان السلطان تيراب يحب الخلعة والانبساط حتى كانت
الفتيات تلعب مع البنات امامه اي يرقص البنات والشباب
وهو ينظر اليهم فما اتفق ان جاءت امامه طائفة من البرقودوم
قبيلة من السودان لهم رقص معلوم يسمى تندكة ومن عادتهم
اذا تعبوا من الرقص تجلس كل فتاة وشباب معا على حدة فلعبوا
حتى تعبوا وتفرقوا وجلسوا على عادتهم فقال الشاب للفتاة اتر
ان اكون لك زوجا فقالت نعم ما الذي تعطيني من المهر فقال
لها انا رجل فقير ولا اجد شيئا اعز من المقابل لنا هذا وانت اري
السلطان وكان السلطان جالسا على كرسي مقابل لها فقالت
الفتاة قدر ضييت ونظر السلطان لا يثارتها له فدعى بها فلما
مثلا بين يديه سألها عن ذلك فقال الشاب اني سالت
عجوبتي هذه في ان تزوجني فرضييت وطلبت مني المهر فقلت
لا املك شيئا اعز من هذا المقابل وانت اشرى اليك فانبسط
لقوله وقال ارضييت بي مهرها قال نعم فقال السلطان
اترضيني بالفداء وانا افدى نفسي قالت نعم ارضى فدعا بيها
وخطبها منه وعقد له عليها وامرها جاريتين واعطى الرجل

عبدوا و امر لهما برزق يعيشنان فيه وهذا نهاية مكارم الاخلاق
اذ لا نشي اعظم من جمع بين متحابين في الحلال ومن ذلك ما
حكى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان في ايام خلافته
يطوف في المدينة المنورة بالليل ليقف على احوال الناس ويعلم
مظلوميهم من ظالمينها هو في طوافه اذ سمع جارية تغني
وتقول شعرا

وهويته من قبل قطع تيمتي متمايس مثل القضيب الناعم
فكأت نور البدر يشبه وجهه يعيب ويبدو من ذواية هاشم
فطرق رضي الله عنه الباب وقال لهما من هويت فقالت اليك
عني فقال لا بد وان تعلميني فقالت له بحق صاحب القبر الاما
انصرفيت عني فقال والله لست بزائل من مكان هذا حتى
تعلميني فتتنفس الصدأ وقالت وانا التي قرح الغرام يقبلها
فتنتجج محمد بن القاسم فقال لها احرة انت فقالت لا بل
مملوكة فقال لمن قالت لفلان سمته له فتوجه رضي الله عنه
ولما اصبح سال عن محمد بن القاسم فوجده عازيا بالعراق ^{سل}
الى مولاهما واشترها منه وارسلها الى محمد بن القاسم بالعراق
وكتب له القصة ثم قال واعلم يا بني انه كم مات بهن سقيم

من الكامل

وعطب بهن سليم ومن ذلك ما حكى ان سليمان بن عبد الملك
 ابن مروان كان غيورا على النساء جدا حتى انه ربما سفك دمه من
 ظن انه نظر لبعض محاطيه نظر عشق فاتفق له ان احضر مغنيا
 في بعض الايام وكان في النهار فاجلس المغني تحت السرير وامره
 ان يغني واستلقى على ظهره على السرير وكانت معه جارية تروح عليه
 من شدة الحر فاخذته النوم فرفع المغني راسه على حين غفلة فرأى
 الخليفة قد نام والجارية تروح عليه فتاملها فوجدها كالشمس
 في رابعة النهار فاقتن بها ولم يقدر على التكلم خوفا من الخليفة
 فانهمرت دموعه وهاج ولوعه فاخذ قرطاسا وكتب فيه شعر
 انى رايتك في المنام ضيقتى مستر شفا من ريق فيك البارد
 وكاننا وكاننا وكاننا بتنا جميعا في فراش واحد
 ثم القاه عليها فاخذته وقراته وكتبت له فيه
 خير رايت وكما املتة ستناله مني برغم الحاسد
 وتبيت بين خلاخلى ودمالحي وتحل بين مرانثني وسواعدي
 ونكون اول صاحبين تلاقيا رغم الزمان بلا مخافة حاسد
 ورمت القرطاس اليه فالتفته الخليفة قبل ان يصل اليه فلما قرأه
 اجمرت عيناه وكاد يتميز غيظا وقال ما حملكما على ما صنعتما احب

من الرجز

من الرجز

قديم بينكما امعشتو خامر كما في هذه الساعة فقلا بل والله في
هذه الساعة ولم يكن لنا به عهد قبل ذلك وانهم لم يدموا
فلما رأى منها ذلك رق لهما وقال للمعنى خذها ولا تعد تقارينا
انتهى فعاش السلطان تيراب مدة مديدة كما ذكرنا و اكثر من
الازواج والسراى حتى كان له من الولد اكثر من ثلاثين ذكر اركيين
انجيل غير الاناث والصغار وفي ايامه تلك خدمه الشيخ محمد كرا
وكان غلاما مرهقا فامر ان يكون في الكوركو اى اهل الحرب
اى يكون مع الجماعة الذين يحملون الحرب خلق السلطان حين
يركب وحين يجلس للحكم وخصوصية للسلطان في ذلك بل كل
ملك من ملوك النور وقائد من قوادهم له جماعة يحملون الحرب
خلفه حين يركب او يجلس للحكم مسمون كوركو ويرون ان ذلك
من تمام نظام الملك حفظا للناموس وهيبه للمخدوم وقلوب
رعاياه فخدم الشيخ محمد كرا في تلك الخدمة مدة وظهرت منه
علامات النجابة فاحبه السلطان تيراب ونقله الى سويند قلعة
والسوم هو الداروين هو علامة الاضافة والدقلة هو العيال
ومعناه ذرا العيال والذرا بلغتهم العربية اسم للمحل او الدار واهل
سويند قلعة هم الامناعلى مصالح المخدوم يرسلهم في اسراة ويسم

اعظم مقاما من رئيس كوركو فاعنى في خدمته حتى ان السلطان
كان لا ينادى في اكثر حوايجه غيره فحسده بعض اهل الدار فبيع
به الى السلطان قائل ان محمد كراخان غدار وانا اراه يجتمع هو
وقلانه الحظية في كل ليلة وتاتيه بالطعام الجميل فغضب
السلطان لذلك وهم بالبطش به فبلغ الخبر الى كرا فاحذمت
واختل بنفسه في حجرة واستاصل مذاكير نفسه بيده وجآبها
الى السلطان وكان قريبا منه والقاه بين يديه وقال انما قيل
في ما قيل لمصاحبتى لهداه وها انا قد استاصلتها لئلا يبقى في
قلب مولاي منى ريب ثم سقط مغشيا عليه فرجه السلطان
وامر بمدلواته فعولج حتى برأ ثم ان السلطان امره ان يكون صحبة
الامين على وذاجم احد الوزراء العظام ووصى عليه الامين المذكور
بان قال له خذ هذا الغلام الى دراك واعتن به واكرمه واياك
ان تتهاون به فانى ارجوان يخلفك في منصبك فاخذ الامين
على مضمض منه ووضع في سوميन्द قلته كما كان عند السلطان
وقد ذكرنا قريبا ان اهل سوميन्द قلته هم الامناء على المصالح المهمة
يرسلهم المخدم في اسراره فجلس كرا في ذلك المحل مدة وكان
لا يغيب عن باب مخدمه وكلما نادى الامين على احد من اهل

سوميند قله يجيبه محمد كرا بل برما لم يجد غيره فكان يرسله في
قضاء مصالحه وكان من عادته ان لا يذهب لقضاء مصلحة الا
نبح واعنى فيها فاحبه الامين قهر اعنه لما راى من كفايته فجعله
ملكاً على اهل سوميند قله وميزه عنهم فصارت جميع الخدمة تحت
يده ياتمرون بامرهم وحين ولى هذا المنصب اجتهد في الخدمة زيادة
عما كان عليه ولازم باب مخدمومه وكان في الامين نوع اهمال للامور
منه انه كان ياتيه من الطعام وقت الغداء والعشاء ما ينوف
عن الزائرا فكان لا يلتفت الى ذلك بل كان ياتيه هو ومن معه ما
يكفيهم والباقي تنوزعه الخدمة بغير ترتيب وكثير من الانية ما يرجع
الى الحرم ملائنا فالتفت محمد كرا الى ذلك ورتبه احسن ترتيب وهو
انه كان يبيت الخدمة في اتباع سيده ينظرون من عنده ضيوفهم
فياتونه بالاخبار ويقولون فلان عنده ضيف وفلان وهلم جراً
فكان اذا حضر الطعام اختار لمخدمومه من احسنه ما يكفيه هو ومن
معه ثم يوزع على الخدمة كفايتهم ثم يوزع الباقي على محال الضيوف
كل منها على حسب حاله في المرتبة والغنى والمجاهة والعلم ويوصى
للحاملين ان يقولوا ان الامين ارسل لكم هذا ضيافة والاميين
لا يعلم بشيا من ذلك فصارت الناس تشكر الاميين وتمدح به

وحين يأتون إليه يقولون جزاك الله خيرا أرسلت لنا الضيافة
العظيمة فلا يوجد نظيرك في أمانا السلطان ويشنون عليه غيبة
وحضورا فكان الامين يتعجب من ذلك ويقول هولاء يشنون
على ويقولون اني ارسلت لهم الطعام مع اني لم افعل شيئا من
ذلك لانه لا يعلم سببه وبقي متحيرا كيف يعلم سبب ذلك حتى
اتفقه ان كان في الحرم عند المساء وجاء خارجا الى الديوان
فراى محمدا كرايوزع الاطعمة فلما احس بذلك تريتس واكن في
محل فسمع الشيخ محمد يقول للخدمة كم في بيت الملك فلا من
الضيوف فقالوا له كذا وكذا فقال احملوا لهم كذا وكذا انا وقلوا
لهم قد ارسل هذا العشاء الامين حتى وزع الطعام كله فقال من
هنا جاء العمل فضع به واكرمه واعلا رتبته وجعله على الكوريات
في عرفهم هو الذي يحكم على الخيل وجميع الخدمة وهو منصب
جليل عندهم وان كان في عرف غيرهم لم يخرج عن كونه ريتس
التتياس واقام محمدا كراي في صحبة الامين علي على هذه الحالة
حتى سافر الامين علي الى كردد قال صحبة السلطان تيراب وسافر
معه الشيخ محمدا كراي لسبب سفر السلطان محمد تيراب
الى كردد قال قد حكى لي الثقة للعارف بالانساب ان السلطان

سَلُوْكَ الْمَدْعُو سَلِيْمَانَ الْمَدَّ الْأَوَّلَ لِسُلْطَانِ دَارْفُورٍ كَانَ لَهُ
أَخٌ يُقَالُ لَهُ الْمُسَبِّعُ فَاقْتَسَمَ هُوَ وَأَخُوهُ الْأَقْلِيْمِيْنَ فَأَخَذَ السُّلْطَانُ
سَلِيْمَانَ أَقْلِيْمَ دَارْفُورٍ وَأَخَذَ الْمُسَبِّعُ أَقْلِيْمَ كِرْدٍ وَقَالَ وَتَعَاهِدَا
أَنْ لَا يَخُونَ أَحَدُ مَنَّهُمَا صَاحِبَهُ فَبَقِيَ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ فِي زَمَنِ
السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ تَيْرَابٍ كَانَ الْوَالِيَّ عَلَى كِرْدٍ قَالَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُسَبِّعِ
الْبَغْلَطَانُ هَاشِمُ الْمُسَبِّعَاوِيُّ وَكَانَ فِيهِ شَهَامَةٌ وَشَجَاعَةٌ وَقَدَامَةٌ
عَلَى الْأُمُورِ الشَّاقَّةِ فَأَكْثَرَ الْغَزَوَاتِ عَلَى بِلَادِ التُّرُوجِ وَالْعَرَبِ الْبَادِيَّةِ
حَتَّى صَارَ ذَا مَالٍ عَظِيمٍ وَصَارَ عِنْدَهُ مِنَ الْعَبِيدِ مَا يَنُوفِي عَشْرَةَ
أَلْفٍ عَبْدًا حَامِلٍ لِلسَّلَاحِ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ أَرَابِئُ النَّاسِ مِنْ
الدَّنَاقِلَةِ وَالشَّايِجِيَّةِ وَالْكَبَابِيئِشِ وَعَرَبِ الرَّزِيْقَاتِ حَتَّى صَارَ
فِي جَنْدِ كَثِيْفٍ فَطَرَعَتْ نَفْسُهُ فِي تَمَلُّكِ دَارْفُورٍ وَاسْتَنْشَارِ
أَرَابِئِ دَوْلَتِهِ فِي ذَلِكَ فَانْشَارَ وَعَلِيهِ أَنْ يَبِيْثَ السَّرَايَا أَوْ لَا عَلَى
أَطْرَافِ الْبِلَادِ لِيُضْعِفُوا أَهْلَ مَمْلَكَةِ دَارْفُورٍ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَوَجَّهُ
إِلَيْهَا فَنَسْمَعُ قَوْلَهُمْ وَبِيْثَ السَّرَايَا عَلَى أَطْرَافِ مَمْلَكَةِ دَارْفُورٍ
فَقَتَلَتْ وَسَبَّتْ وَاعْتَمَتِ أَمْوَالَهُ الْعَظِيْمَةَ فَارْسَلُ السُّلْطَانُ
تَيْرَابَ إِلَى السُّلْطَانِ هَاشِمٍ يَقُولُ لَهُ بَعْدَ السَّلَامِ يَا ابْنَ عَمِي
أَرْسَلْتُ سَرَايَاكَ عَلَى أَطْرَافِ بِلَادِي وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا بَيْنَنَا مِنْ

المودة ولم يقع منّا ما يخالف المودة مع انك تعلم ان الذين اخذت
اموالهم مسلمون والذين قتلوا موحدون وهذا الفعل لم
يسجحه احد ولا يفعله عاقل فاذا وصلك كتابي هذا فانتم واولاد
سيليقي الباغي مصرعه والسلام فلما وصله الكتاب ما زاد
الاعتوا واستكبارا وبث السرايا ثانيا فعلم السلطان
تيراب انه ان لم يتداركه ويستاصل بشافته زاد شره وخراب
البلاد فجهز وتوجه اليه وهذا هو السبب الظاهر والسبب
الباطن انه يعلم ان الناس غير راضين عنه ولا يرضون بتولية
احد من اولاده خصوصا مع وجود اولياء عهد السلطان محمد
بكر الذين هم اعمامهم ولا سيما اذا تذكروا ما وقع منه من اولاده
من الظلم وهو يريد ان يعهد الى اكبر اولاده المسمى باسحاق الخليفة
كما تقدم فاعتنم الفرصة حين وقع من هاشم ملك كرد وقال هذا
الامر واغتاض في الظاهر واعلن ان هذا الامر لا يقوم به غيره
مع انه لو بعث الامين علي او احد وزرائه لكفاه مونة للسفر
والمشقة ولكن اراد ان يسافر وياخذ معه جميع اولاد السلطان
كبارا وصغارا ويقتحم بهم المحروب حتى يهلكهم ويهلك الوزراء الذين
لا يحبون الولاية لابنه ليتمكن اسحاق من البلاد ولاموالها

وينفرد بالذكر ولما كانت هذه نيته جمع جميع اولاد السلطان
والوزراء الكبار وابقى مع الخليفة اولاد الوزراء كل منهم ومنصب
والده وارثل بهم على هذه النية وان كان اخفاها فقد ظهرت
على حد قول القائل ...

وما تكرر عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
مع انه عومل بخلاف قصده واعقبه الله تعالى بقتل ولده ولم
ينفع تدبيره بشئ ورحم الله القائل

انّ الطافِ إلهي لم تدع في الكون ضنكا
كلمارمت احتيالا لي قالت خلّ عنكا
سلم الامر الينا نحن اولى بك منكنا

وفي كون الامور دائماتاق على خلاف المراد قال المتنبي
ما كلما يمتنى المريردركه تاتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فلما سمع ملك كرد قال بقدمه فر هو وجماعته واستجار بملك
سنار واقام عنده فدخلها بغير حرب وصار يبيت السر والنجند
في اطراف البلاد حتى دوخها وجبى الاموال واستقامت الاحوال
فحكّت على ذلك حتى حال المحول وملت الناس من المقامر وسالوه
العود الى بلادهم فغضب لعدم ظفرة بما امل لكنه اخفى ذلك وقال

من الطويل

من الديد

من البسيط

لهم كيف ترجعون وقد بلغني ان هاشم استجار بمت سائر ولدك
قد جهز له جيشا ويريد القدوم علينا فان رجعنا وجاء بعدنا
ظن انا فرنا منه ونال من البلد مراده وبعد ذلك يغزونا ويحونا
الى الرجوع له ثانيا وانا الان مضير اني اتوجه اليه قبل ان ياتو لكن
حتى الحق الخبر ومكتوا بعد ذلك مدة فلم يظهر لما قاله اثر فتكلمت
قلوبهم وسأت احوالهم واشتاقوا الى اهلهم وعيالهم وتذكروا
مع بعضهم في ذلك في خلوة فقال الوزير الامين علي ود برقوق وكان
صهر السلطان اي ان السلطان كان متزوجا بابنته ما ذا جعلتم
لوان قتلته وارحتكم منه وتولون بعده عليكم من شئتم فضمنوا
له مالا عظيما وتعاهدوا معه على ذلك وجعل بينه وبينهم العلامة
صوت الطبل فهما سمعوا الطبل يكونوا على اهبة مستحضرين
فصبر الامين علي حتى جن الليل ولبس درعين سابغين متينين
ولبس ثيابه عليهما وتقلد بسيفه ودخل دار السلطان وقصد
حجرة ابنته لما يعلم من حب السلطان لها لان السلطان كان
له بها مزيد اعتناء فكثيرا ما كان يجدها عندها فلما دخل عليها عرفت
النشر في وجهه وخانه جده ان السلطان لم يكن عندها وتلك
الليلة فسالها عن السلطان فقالت لا اعلم اين هو ولكن ان

اردت بحثُّك عنه واعلمه بقدمك فقال لها نعم ماتنصعين
لاني شديد الاحتياج اليه في هذه الليلة وكانت في وقت محادثتها
له رأت طوق الدرع من تحت طوق الثوب فتأكدت الشر وذهبت
الى محل السلطان واعلمته ان اباه جاء طالباله وانهارت منه
امورا انكرتها منها انه لا يلبس درعا تحت ثيابه ومتقلد سيفه مع
ان العادة لا يدخلون على السلطان بسوا ابد او منها ان في وجهه
علامة الغضب فاحس السلطان بالشر لانه هو الذي كان يلج
عليه بالعود ويبالغ في القول له فامرها ان لا تعود اليه وخرج السلطان
ونادى كبراء العسس وامرهم بالقبض على من جاء خارج الدار
وان افلت منهم لا يلومون الا انفسهم واخذ هو جماعة منهم حرسا
له متأهين باسليحتهم وغاص في لجة داره ودخل في حجر نساءه
واحتاط الحرس بها فجلس الامين على في انتظار ابنته تعود فلم تعد
اليه بخبر السلطان وان السلطان ياتي اليه ليبلغ اربه منه فلم
ياته احد بل كان كالباحث عن حثفه يظلفه والمجادع مارن انه
بكفه على حد قوله

الى حثفي سعي قدمي اري قدمي اراق دمي

ولما اعياء الانتظار قام يريد الذهاب الى داره خوفا من ان يطلع

من مجزوالفرج

النهار عليه ويقتضه فشي قليلا حتى اذا قارب العسس نهضوا اليه
 وقالوا له ارجع حيث كنت فابي وعرفهم بنفسه لاجل ان يخلوا
 سبيله فما امكن بل قالوا له نحن مامورون بالقبض عليك ان
 لم ترجع الى المحل الذي جئت منه فسيبهم واراد ان يخرج قهرا
 عنهم فلم يجروا عليه ليوثقوه حتى يصبح فقال لهم وجرح انا سا منهم
 فنكالبوا عليه وقتلوه ولم يستفد من بغية الافناء اجله ولهذا
 قال عليه الصلاة والسلام لكل باغ مصرع او كما قال رحمه الله

السيد على الغراب حيث يقول

زارع البغى حاصد للندامة فاطلب السلام ان اردت السلام

لا تنق بالثني فما كل باغ نال ما يرتجى ووفى مرامه

ربما كانت الاما ومطايا للمنايا وموردا للندامة

ربما خيلت لراج منالا متما خيلت لراة منامة

رب ساء ليحيتي طيب عيشي وهو يجني وليس يدري حمامه

واخبر السلطان ح بموت الامين فقال اجلوه في ردا وضعوه في

محل حتى يصبح وحين بزغ الفجر امر السلطان باحضار عبده

كلهم لابسين السلاح فحضروا ورتبهم على الابواب وامر البوابين

ان يفتحوا الابواب حتى اذا المريق احد اغلقوها عليهم وامرهم ان

من الخفيف

لا يدعون حواشي القواد يدخلون معهم بل لا يدخل الا الامراء
فقط ووصى العبيد اذا اغلقت الابواب تاتي جماعة منهم ويقفون
امامه محيطين بالعالم الذين يكونوا في المجلس ثم امر ان تضرب
الطبول ضرب حزن وازعاج لان لهم في حال السرور ضربا معروفا
وفي حال الحزن كذلك فضربت الطبول كما امر وجاءت الوزراء والملك
على طبقاتهم فلما منهم ان علي ودرقو فعل ما اتفق معهم عليه فجاؤا
متلهين فحين وصلوا الى باب دار السلطان راوا الامر على غير ما
يعهدون فلم يجيدوا بدمان الدخول ودخلت اتباعهم معهم
فنبعوا وبقوا منفردين عن اتباعهم وجاء العبيد الذين اوصاهم
بالاحاطة بهم فاحاطوا بهم شاكين السلاح مظهرين الغضب
وخرج السلطان عليهم غارقا في ثياب سود متطيلسا بكثير
احمر وهذا نهاية الغضب فجلس السلطان في محله المعد له
وامر باحضار القنيل فأحضر ملفوفا بالردا فامر بوضعه في وسط
الحلقة وقال اريد منكم ان تعرفوا هذا من هو فبادروا اليه وكشفوا
وجهه فعرفوه ولم يتجاسر احد منهم على التكلم لما قام عنده من
الغضب فقال لهم السلطان هل عرفتم هذا فسكتوا كلهم
فقام رجل منهم ذودها وصهر السلطان ايضا فقال قد عرفناه

وهو الامين على وود برقو وقد دخل عليك باطلا عنا اجمعين فان
اردت قتلنا فها نحن بين يديك وان عفوت فالامر اليك
فقال السلطان وما حكمكم على ذلك قال انك ايتت بنا الى هنا تعلم
ان لنا في بلادنا اهلا وعيالا واولادا قطعنا عن رويتهم والتقمع
بمعاشرتهم وليس لنا هنا شغل نغذرك في الاقامة بسببه
ولسنا نراك ناويا اوبة ولا يطيب لنا عيشنا الا بمكاننا فاجل
ما تصنع معنا ان تردنا الى اوطاننا فان قلوبنا انكرت الغربة
وحنت الى الاوطان

حسيني واشواقى لاول تربة واول ارض مس جللى ترابها
لا سيما وقد ورد عن سيد ولد عدنان حب الوطن من الايمان
فلما سمع مقال ذلك الرجل عرف صدقه وخاف ان بطش باحد منهم
قامت عليه القيامة لانهم معذورون في ذلك فتخلص منهم بان
قال لا تستعجلون موتى فاني ميت لا محالة لاني مريض مرضا لا
يمكنني اطلاقكم عليه وهو الذي يمنعني عن السفر فان عافاني
الله في هذه المدة رجعت بكم واياكم ان تفعلوا مثل هذه والسلا
ثم انه بعد ذلك بايام اظهر انه مريض وصار لا يخرج الى الديوان
ولا ينظر في احوال الناس مع انه معافى الجسم ولم يعلم ان من

من الطويل

تمرض انقلب الهزل جدا ومرض حقيقة وربما مات وقد قال عليه
افضل الصلاة واتم التسليم لا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا فانقلب
عليه الدست وحل به المرض والمقت وايقن انه هالك لا محالة
وكتب ح الخليفة كتابا يقول فيه بعد السلام اعلم يا ولدي
انه قد اعتراني مبادئ ما لا بد منه ولا محيص عنه فاذا وصلك
كتابي هذا فحلف ولدك خليل علي دارفور وعجل بالقدوم عسى
ان تدركني وفي رفق لعل ادبرك شيئا ينفعك والسلام وختم
الكتاب وارسله صحبة هجان وطاش الخبران السلطان نقل
عليه المرض وأرجو يموتة وصارت الناس لا يتحدثون الا بذلك
وكان محمد كرا كثيرا ما يدخل دار السلطان ويجمع على نسائه وكان
من يجمع عليها اياكري كنانة اعظم نساء السلطان صاحبة
الرتبة الجلييلة لان كل سلطان يتولى لا بد وان يجب احد نساء
ومن احبها وقلدها امور الحكم في بيته هي التي تسمى اياكري حقيقة
وهذا اللفظ معناه السيدة الملكية وان قيل لغيرها من نساء
السلطان اياكري فذلك من قبيل التعظيم لا غير وهذه كنانة
كانت صاحبة راي وتدبير كان السلطان تيراب لا يالف غيرها
الا لباسا ولهذا قلدها هذا المنصب لان هذا المنصب له

اقطاع ومعاليهم و اموال تجبى لها منه وتصدر منها او امر ولها
قواد يضبطون اموالها واحوالها فلما رأت ان السلطان
ميت لا محالة خافت على نفسها وكان لها ولد يسمى حبيب
خافت عليه ايضا فاجتمعت على محمد كرا وقالت له يا محمد هل
لك في حيلة تخلصني وولدي من هذا الامر قال لها نعم الحيلة انك
تصلين جيلك باليتيم لانه هو صاحب الدولة بعد السلطان
تيراب لان كل الناس راضون عنه فقالت هل لك ان تجعل
بيني وبينه عهدا وتتوثق منه بانه اذا تولى يجعلني ايا كرى ويجعل
ولدي حبيب خليفته فقال لها كرا افعل ذلك ولكن ما يسرك
ان شاء الله وكانت كنانة تخاف على ولدها حبيب من المخليفة
اسحاق لانه ابن ضرتهما وعرفت ان اليتيم لا ولد له فقالت
يرى ولدي فذهب اليه محمد كرا واقرأه سلامها واخبره انها
تريد ان تعينه على التولية بشرط ان يتزوجها ويجعل ولدها
خليفة فعاهده على ذلك فقال محمد كرا وماذا لي انا ايضا ان كنت
سركما واعنتك بجهدى على التولية ودبرت بحيلتى على قدر طاقتى
ولا تختر كيد الضعيف فرجا ثموت الاباعي من سمرم العقارب
فقال اليتيم ان فعلت ذلك واغنيت فيه قلديك منصب

الاب وعاهده على ذلك فرجع اليها محمد كرا واعلمها انه استوثق
 منه بما ارادت فاطمانت لذلك وصارت ترسل معه اخبار السلطان
 وقتنا فوقنا ولما ثقل مرض السلطان تيراب ويئس من مجي
 ولده اسحاق الخليفة احضر الامين علي ود جامع سيد محمد
 كرا والامين حسب الله چران والامين ابراهيم ود رماد والامين
 الشيخ عبد الله جثا وامين اخر نسيت اسمه وقال اعلموا
 اني صنعت معكم معروف وار جوان تكافؤوني عليه بتنفيذ
 وصيتي التي اريد ان اوصيكم بها فقالوا سمعنا وطاعة فقال
 للامين علي اني اوصيك اذا انا مت بان تجمع العساكر كلهم تحت
 يدك وتوصلهم الى اسحاق ولدي بدار فور فقال سمعنا وطاعة
 وقال للامين حسب الله قد جعلتك امينا على خزائن اموالي
 اذا انا مت توصلها الى ولدي فقال سمعنا وطاعة وقال للامين
 ابراهيم ود رماد قد جعلتك امينا على دواي وخيلي اذا انا مت
 توصلها الى ولدي بدار فور وقال للاب قد قلدتك الحريم والعيال
 والخدم اذا انا مت توصلها الى ولدي وقال للاخر قد جعلتك
 امينا على اسلحتي وملبوساتي واولادي اذا انا مت توصلها
 الى ولدي فقبلوا منه ذلك بالسمع والطاعة ودعوا له بالعبادة

وبكوا لما هوفيه من المرض لانهم اصهاره ما عد الاب لانه خفي
ثم ذهبوا الي محلهم وقضى السلطان نخبه وهم غائبون وحين
توفوا رسلت كمانه الي اليتيم بسبحة السلطان ومنديله وخاتمه
وجبايه تعلمه بموته علي يد محمد كرا و جاء اوليك الوزراء الذين اوصاهم
فوجدوه قضي عليه فندموا علي خروجهم من عنده ودبروا حيلة
واجعوا امرهم ان يجعلوا السلطان في تحت بعد فتحه والقائم
في امائه وتصبيره يُعطى ويجف بالعساكر ولا يتركون احد يصل
اليه وكل من سال عليه قيل له مريض حتى يصلوا الي دار فور يستعمل
كل ذلك الي ولده اسحاق الخليفة والشيخ محمد كرا اخذ الاشياء المذكورة
وتوجه الي اليتيم وقال له عوضك الله في اخيك خيرا واعطاه الخاتمة
والسبحة والمنديل فتحقق موت اخيه واخذ الاشياء وذهب
الي اخيه الاكبر المسمى برينز فحين اعلمه نهض قائما واخذ ريفا
وطاهرا وتوجهوا الي دار السلطان فلم يقدر احد علي منعهم
وما زالوا داخلين حتى وصلوا الي المحل الذي فيه الجماعة والسلطان
تيراب مُسَبَّحِي امامهم وهم يبكون عليه فدخلوا عليهم ولم يخاطبوا
بل جلسوا حول اخيهم وبكوا حتى فاو اثر التفتوا الي الجماعة وقال
لهم ريزا ما كفاكم ان مدة حياة اخينا كان خيره لكم ولا تريدون

ان تاخذوا مثلوه ايضا لاجل ان يكون لكم حيا وميتاها نحن
قد اطلعنا على موته فافعلوا ما بدا لكم فقد تركناه لكم ثم خرجوا
وتركوهم فاختلق راي الجماعة بعدهم وقالوا قد فسد تدبيرنا
واطلعوا على موت السلطان فلا يمكننا ان ننفذ وصيته الآن
فقال الامين علي ود جامع لا بد لي من تنفيذ وصيته او اموت
دونها ثم نادى يا محمد كرا اذهب الي محمد ولدي وقل له يجمع عساكر
ويلبسوا دروعهم واسلحتهم وياتون الي باب السلطان فقال
سمعا وطاعة وذهب الي محمد بن الامين وقال له ان حضرة الامين
يامرك ان تجهز العساكر وتركب معهم وتذهب الي اولاد
السلطان وتكون معيننا لهم حتى ياتيك امرى فقال الامين محمد
سمعا وطاعة ونادى في العساكر فتاهبوا وركبوا وتوجهوا الي
اولاد السلطان ورجع هو بعد ذلك للامين وقال له قد ذهبت
فوجدت سيدي قد اخذ العساكر وتوجه الي اولاد السلطان
فاغتاط الامين على ذلك وعلم انه لا يقدر على تنفيذ وصية السلطان
تيرب وخاف من الايمان والعهود فاخرج علبة صغيرة كانت
معه وفتحها واستوف منها شيئا مما كان فيها فوقع ميتا ولحما مات
انخذل الباكون وتفرق رايهم وهذه اقوى مكيده عملها محمد كرا

في الامين وولده وبسببها وقعت العداوة بينه وبين الامين
محمد بن الامين على المذكور ثم ان الجماعة تفرقوا وذهب كل منهم
الى جيشه وهاجت الناس وماجت وعلما انه لا بد للدولة
من سلطان يقوم بامرهم ويجمع كلمتهم وكانت اولاد السلطان
احمد بكر الذين هم اخوان المتوفى جالسين هم واتباعهم على حدة واولاد
اخوانهم واتباعهم على حدة والرعايا على حدة فنهضت جماعة
من المدبرين ودعوا بالقاضي والعلماء وارسلوهم الى اولاد
السلطان بكر لانهم هم الكبراء واولياء العهد من ابيهم وقالوا
لهم قلوا لهم بعد السلام اعلما انه لا بد لهذا الامر من سلطان
يجمع كلمة الناس ويتوم بامرهم والمكلكم وانتم اربابه فعينوا
لنا سلطانا نرضى نحن وانتم فتوجهت العلماء والقاضي واخبروهم
بذلك فقالوا قد عيننا لهم اخانا ريزا لانه هو اكبرنا وسيدنا
ونحن تحت امره ونهيه فتوجهت العلماء لا اولاد السلاطين
الصغار واخبروهم ان باسى ريزا يكون عليهم سلطانا فابوا
وقالوا ان باسى ريزا عمنا والذنا لكن لا نريد ان يتولى علينا لانه
صعب المراس فيه حدة تخشى غايلته خصوصا ونحن اولاد
صغار نريد سلطانا حليما يربينا وان صدر من احدنا بادرة

يعاملنا فيها بالحلم وقالت الرعية ان باسى ريزا ملكنا وابن ملكنا
ولكن به حدة والاولى ان يختار هو غيره لانه هو سلطان تولى
امرنا يتول فرجعت العلماء واخبروهم بذلك فقال باسى ريزا
قبلنا عذرهم وولينا عليهم باسى طاهرا فاخبروا به ايضا والاد
السلطان فقالوا لا نرضى بعننا طاهر لان له اولاد كثيرة لا يتبها
لتربيتنا بسببهم وقالت الرعية انما كرهنا السلطان تيراب
لكثرة اولاده فان يولوا علينا طاهرا فنحن نرضى بالخليفة ان
يكون سلطانا لانه اقل اولاد منه فرجعوا واخبروهم فقال
ريز قد ولينا عليكم اليتيم فاخبروهم فرضوا به كلمهم رعية واولاد
ملوك وانعقد امرهم عليه واخذوه وتوجهوا به الى دار
السلطان والبسوه الخاتم واقعدوه على كرسى المملكة ولم
يختلف عليه اثنان الباب الثالث من المقدمة في ذكر
نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد واول
امره وولايته ووفاته قد ذكرنا فيما مضى ان السلطان احمد بكر
خلف سبعة من الولد منهم السلطان عبد الرحمن المذكور وهو
اصغرهم لان اياه توفى وهو حمل في بطن امه ولذلك سمي باليتيم
نشأ على احسن حال حفظ القرآن وقرأ في الفقه وعرف الحلال والحرام

ولم ينتبه الي ما انتبه له اولاد الملوك في دار فور لان اولاد الملوك
هناك متى كبر الواحد منهم يخوض في البلاد يتضيف وينهب
اموال الناس وكلما راي شيئا عجبه اخذه بدون ثمن ويقول
ان جميع ما في دار فور من العلم عبيد لاييه الاعبد الرحمن فانه من
صغر سنه كان صالحا تقيا نقياً عفيف النفس وكان في غاية
من ضيق العيش وكان اذا سافر وامسى عليه المساء في بلد
قال لمن ينزل عنده انا ضيق الله فان قبله مكث والاذهب الي
محل اخر ولم يسمع عنه انه ظلم احدا قط وكان لا ينسى الصنيعة
لمن فعلها معه بل يتذكرها ويحازيها عليها ومن ذلك انه كان
مسافرا فنزل عند رجل من قبيلة يقال لها البرقي فعرفه الرجل
ودبج له كبشنا سمينا ولاطفه ولما جاء العشاء وحضر الطعام راي
السلطان عبد الرحمن ان الرجل قد تكلف له فقال له يا هذا اما
كان يغني عن هذا ما هو اقل منه لو ذبحت لنا دجاجة لقامت
مقامه وكنت اديت ما واجب عليك فقال لا يا مولاي والله
لو ملكت جزورا لنحرتها لك الست عبد الرحمن اليتيم ابن
سلطاننا فقال له اليتيم ومن اين تعرفني قال عرفتك بحسن خلقك
وتقواك وانه سيصير لك نشان فقال اليتيم لئن ملكت لاطعنك

اسم مما ذبحت لنا وكان الامر كذلك فانه لما وُتِي دعا بالرجل
وكان يسمى محمد دَرْدُوك وولاه منصبا جليلا واخرجه لجمالية
اموال قبيلة العرب المجانيين وهي قبيلة عظيمة اهلها اصحاب
ابل فحصل منها من الاموال والنوق والجمال ما لا يوصف ومنها انه
مر ببلاد الريج ونزل على رجل فقير يقال له جِدُّوفاكرمه على قدر
طاقته وكان هذا الرجل من بيت كبير وابوه كان ملكا عظيما يقال
لن تولى في منصبه التكنياوي فلما ولى اليتيم ولاءه منصب
ابيه ورايته واجتمعت به ومنها ان الفقيه مالك الفتاوى
الذي اسلفنا ذكره كان راى له منا ما وصورته انه راى قرافى
السماء والناس ينظرون اليه ويقولون هذا اليتيم فاوله ان
يلى الملك وذهب وبشيرة بذلك فقال له ان صدقت رويك
لارفعن قدرك فكان كما قال وكان يصوم الخميس والاثين على
الدوام ويصوم رجب وشعبان ورمضان وكان يجب اهل
العلم ويكرمهم وقبل ولايته بايام شاك عند المنجم واصحاب خط
الرمل ان اليتيم هو الذى يتولى السلطنة بعد السلطان تيراب
وسمع السلطان بذلك فحقد عليه واراد قتله مرارا والليمنعه
منه وكان يدعوه للطعام ويجعل له السم فيه فكان اليتيم يقول

ان صائم ولا ياكل منه شيئا ولقد اخبرني من شاهد وقت
توليته حين ادخلوه لدار السلطنة انه كان عليه قيصر قديلي
حتى ان كتفيه ظاهران منه وببده سبعة من خشب تساوي
في مصر عشرين فضة ومكث عزبا حتى بد الشيب ولحيته
وما ذاك الا لفقره وعدم المال الذي يتسرى او يتزوج به ولم
ير النساء الا حين سافر الى كرد قال صحبة اخيه السلطان
محمد تيراب فر على بلاد يقال لها البيقو فاعطاه ملكها جارية
وختنا تسمى ابوسنة فغثنيتها فولدت منه السلطان محمد
فضل ولما انعقد الامر عليه اجلسوه على سرير الملك كما تقدم
وبايعوه وكان اول من بايعه اخوه الاكبر ريزم ثم ريفاتم طاهر ثم اولاد
السلطين فبايعوه ثم القاضى والعلماء ثم الامراء وضربت طبول
الحزن اعلانا بموت السلطان تيراب ثم بطلت قليلا وضربت
طبول الهناء اعلانا بتولية السلطان عبد الرحمن وكان من عادة
ملوك الغوران السلطان اذا تولى يمكث سبعة ايام في بيته
لا يسئل عن حكم ولا امر ولا نهى بل يجلس للتهنئة والسرور
ندخل عليه العلماء والوزراء وارباب الدولة فلما تولى السلطان
عبد الرحمن ابطل تلك العادة وخرج صبيحة توليته فجاءت الوزراء

فراوه جالساً في ديوانه وتناول بعض احكام فلامره وقال ليست
العادة كذا فقال بشئ العادة ليست في كتاب الله ولا في سنة
رسوله ثم جمع جميع ارباب الدولة وقال لهم ان كان لكم ارباب في
ان اكون سلطانا عليكم تبطلوا الظلم ولا تتحدث به انفسكم
وتتوبوا الى الله تعالى منه فان الظلم يخرّب الدول ويقصر اعمار
الملوك فقالوا سمعاً وطاعة ثم لما كانت صبيحة اليوم الثالث
امر باخراج خزائن السلطان تيراب فأخرجت ففرق ما كان
فيها من العين من ذهب وفضة وثياب على العلماء والاشراف
والفقراء ووجد فيها من الكشمير والجوخ الذي عثت شئ كثير
فامر ان يرعى خارج الدار وكل من وجد شئاً ينفعه اخذه فلخرج
فكأن كالطود العظيم واجتمعت عليه الفقراء ينهبونه وبسطوا
ايديهم بالدعاء للسلطان عبد الرحمن ثم لما كان سابع يوم اخرج
جواري السلطان تيراب وفرقها ايضاً ولم يترك الا الحار واهل
الاولاد التي تزوجها اخوه بالعقد ثم نصب المناصب فجعل محمد
ذكي اميماً في منصب ابيه الامين علي ود جامع وامرهم بالاهبة
للخيل الى دار فور فتمهزوا وحين خرج من كرد قال مر على جبل الترو
فاوقع بهم واخذ جميع ما فيه من الشباب والبنات ولم يترك

فيه الا المسنين واجتمع بمشايخ عرب البادية من الرزيقا والمسير
فالتمس منهم المسير معه لحرب الخليفة وكلما اكتسبوه من
المال والسلاح والخيل فهو لهم فاجتمع عليه منهم الوف وتوجه
الى دارفور لكنه لم ياتها من جهة المشرق بل اتاها من جهة
الجنوب وقبل وصوله كتب الى الخليفة كتابا يقول فيه من عبد
الرحمن سلطان دارفور الى ولد اخيه اسحاق اما بعد فاني
اعزيك في والدك وان كان اخي لانك اقرب مني اليه واوصيك
ببر الوالدين فاذا علمت هذا فاعلم اني عمك وحرمتي كحرمة ابيك
وعار على الولدان يصادر اياه او عمه فضلا عن ان يجرد في وجهه
حساما فانهاك عن القتال واياك ان تستفزك رعونة الشبان
وتسمع قول المفسدين فيجولوا بيني وبينك ولك على عهد الله
وميثاقه ان اقرتك خليفة كما كنت في ايام ابيك واجعلك ولي
عهدي كما كنت ولي عهد ابيك فاسمع قولي واحقن دماء المسلمين
وان خالفت حلت بك الندامة وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون فلما وصل الكتاب الى الخليفة وعلم ما فيه كتب الى
السلطان عبد الرحمن بعد السلام اما بعد فاني عاهدت الله
تعالى ان لا اطأ غير بساط ابي وانا ولي عهده ولا حق لك على

وان قاتلتني فانا مظلوم والسلام ثم جهز له جيشا كثيفا
لنظر الحاج مفتاح داداه واكبر عبده فتلاقى هو وجيش السلطان
عبد الرحمن في محل يقال له تَبْلَدِيَّة فكان مع كل انسان من جيش
السلطان عبد الرحمن سَفْرُوك والسفروك قطعة من العصي
صورتها هكذا **ا** حين التقى الجمعان القي جماعة السلطان
السفاريك على جماعة الخليفة وقالوا الله اكبر ففروا وتبعهم جماعة
السلطان ياسرون وياخذون الاسلاب والخيول وتبعهم
العرب ايضا فاعتنموا منهم غنيمة عظيمة ونجا الحاج مفتاح وقل
من اصحابه براس طمرة وحين دخل الحاج مفتاح على الخليفة قال
له ما وراءك قال يا سيدي اني ناصح لك صالح عمك وان طلب
منك مالا فاعطه اياه واجعلني اول حايطي فانا فداوك فلما
سمع الخليفة منه هذا الكلام زجرة وقال رجعت الى اصلك
يا عبد السوء لكن اللوم على فان اقدمك على العساكر ثم ان
الخليفة حشد الحشود وفتح الخزان وفرق الاموال واعطى
الاقطاع فجمع جيشا عظيما لا اول له ولا اخر وبرز يومئذ النصر
على السلطان فوصل الى محل يقال له تَالِدَوَا فادركه السلطان
هناك ولما عين كل منهما صاحبه رتباجيو شهما وصفا صوفهما

وكان مع جماعة الخليفة رجل من الملوك يقال له بحر الجبائي وهو الذي
يجي الغلال للسلطنة ومعه اتباعه ما ينوف عن عشرة الاف من
الخيال خلاف الرجال فلما تلاقى الجمعان اخذ جماعةه وزحف على جيش
السلطان عبد الرحمن كانه يريد قتالهم ودخل فيهم والصوصفة
بهم وبقي يقاتل الخليفة فترك في صفوف الخليفة ثلما عظيما وفرجة
ما قدر واعي سدها فانكسرت قلوب عسكر الخليفة بما فعل
الملك بحر والتحم القتال فلم يكن الا كلمة بارق حتى تقهر جيش الخليفة
وحين راي الخليفة ذلك خرج يقاتلهم بنفسه فكان كل من عرفه
يعرض عنه اكرامه ولا يبه وما زال يفعل كذلك حتى راي جيشه انه
وبقي هو في نفر قليل فالحق بجيشه فرأى قد قتل اكثره وتبعتهم عساكر
السلطان يأسرون ويسبون حتى امسى المساء وحكى لرحمن كان
حاضر انه وقت التمام القتال بينهما راي النجوم في السماء وكان الوقت
ضحى ولقد شاهدت محل الوقعة فرايته جدا في وقت الربيع فسألت
عن سبب ذلك فقيل لانه لا ينبت فيه نبت لما سال فيه من
الدماء لان الخليفة توجه باصحابه الى الجهة الشمالية وترك السلطان
بالجهة الجنوبية ولما انفرد الخليفة عن السلطان وابعده ظلم
وتعدا وجار وصار يخرج الناس معه قهرا عليهم وكلما عثر بجواد

أخذة أو بمال استأصله فاجتمع له بذلك مال عظيم وخلق كثير
وعظم شجرة واستغاثت الناس منه إلى السلطان فأراد أن يتوجه
إليه بنفسه فنعاه أرباب دولته فكتب له كتابا يقول فيه بعدما
يليق فأنك طغيت وبغيت وظلمت وتعديت وقد نصحتك أولا
أن تحقن دماء الناس فأبيت وكان منا ما كان والآن فقد انتفعت
على قتالنا بظلم العالم ونهب أموالهم وأنا انصحتك ثانيا أن تترك
ما أنت عليه من الرعونة والجبر والعتوفان رجعت إليك ثانيا
قبلناك وجعلنا لك ما جعلناه أولا وإن أبيت فلا ثم عليك وانت
المدوم وإن أصررت على القتال فالرعية لا ذنب لها فعوقفتك
عن أموال الناس وهما هو مالي بين يديك خذ منه ما شئت حتى
يحكم الله والسلام فلما وصل إليه الكتاب وعلم ما فيه مزقه ولم
يرد له جوابا وزاد شجرة وكثر شاكوه فأرسل إليه ملك الجهة
الشمالية ويسمى بالتكنياوى فوجيش فذهب إليه التكنياوى
فأدركه في محل يقال له بوا فحين رأى الخليفة الجيش قد قبل رتب
صفوفه ووقف حتى وصل إليه الجيش والتقى الجمعان وكان جيش
الخليفة قد أثر فيه الرعب من وقعة تالدوا فأراد الانهزام
فثبتهم الخليفة واقتم الحرب بنفسه هو وجماعة من تربيته

فكان كلما حل في جهة يفرون منه حياءً لا خوف حتى دخل في القلب
ووصل الى التكنياوى فقال له يا عبد السوء الست عبد ابى
تقدر وتقاتلنى وجرّد حسامه وضربه حتى قتله وحين خر قتلاً
تثبوش صفة وانهم جنده وتبعهم عسكر الخليفة فاخذوهم
قتلا واسرا ونهبوا ولم ينج من الفل الا القليل وغنم الخليفة خيلهم
وسلاحهم وما كان معهم فاجبر خاطره وأمل النصره على عمه وتقوى
بما حصل له من الغنيمه وبلغ ذلك السلطان عبد الرحمن فاغتاض
ثم ارسل اخاه ريفامع جيش اخر فادرك الخليفة في بواياها وحين
رأه الخليفة رتب صفوفه وعبأ عساكره وكان قد اعد كميناً في
محل منخفض وقال لهم اني اتقهقروا بالعساكر وهم يطعمون في
ويا تون خلفى فاذا رايتهم فاعلوا ذلك فاصبروا حتى تروهم
امامكم ثم كنوا من خلفهم وانزلوا فيهم واثنوا فيهم ونحن نرجع
عليهم فنكون امامهم وانتم خلفهم فلا يفلت منهم احد وكان الامر
كذلك فحين التقى الجمعان تقهقروا جماعة الخليفة فظن جماعة
السلطان انه انهزم فاولغوا فيهم حتى صاروا امام الكمين وهم
لا يعلمون فخرج الكمين عليهم واثنوا فيهم بالقتل وكر الخليفة
راجعا فتضعع جيش السلطان واختل امرهم وتثبوش

صفهم وقتل باسى ريفا اخو السلطان امير الجيش وقتل اكثر
الجيش ولم ينج منهم الا القليل وح قويت شكية الخليفة
وطمع في ان يرجع الى السلطان ويقاتله وما علم ان الامور بالخوا^ص
ولما سمع السلطان بموت اخيه ريفا اغتم غما شديدا ولم نفسه
على القعود عن الحرب وقال لو لم اسمع كلام الناس وتوجهت
بنفسى لم يحصل هذا الامر وكان امر الله قدر امقد وراثم ارحل
من يومه وقصد جهة الخليفة بجيش بسيد السهل والوعر
وجاءت عيون الخليفة فراوا جيش السلطان وما فيمن العسا^ك
التي لا يقدر الواضو على وصفها والعاذ على حصرها واسرعوا
بالخبر اليه فخاف على نفسه وجماعته فاصبح راحلا قاصدا بلاد الزنغا^و
لان ملكها خاله يريد ان ينزل عليه ليمده بجند من عنده فصار
يقطع الارض ليلا ونهارا والسلطان على اثره لان الجواسيس
اخبروه بقصده فخاف السلطان انه اذا وصل الى زغاوة يمده خاله
بجيش ويعسر امره ويطول الحال بينهما فجد وطلبه حتى ادركه
بمحل يقال له جركو وكان في طليعة جيش السلطان الامين محمد
دكبي بن الامين علي ود جامع الذي سم نفسه في كرك قال كما سبق
فلما التقى الجمعان ظن الخليفة ان الجيش هذا فقط فكر راجعا

عليهم وناولوهم القتال وقاتل بنفسه ففرت الناس امامه حتى
وصل الى الامين محمد دُكِّي فوقف امامه وصار يضربه بالسيوف
ويقول له يا عبد يا حائن يا غدار الك عين ترفعها خون نعمتي
ونعمة ابي وتاتي لقتالي والامين ساكت لا يتفوه بجلوة ولا
مرة لكن كان لابسا درعين فلم يجعل سيف الخليفة فيه شيئا فلما
امى الخليفة امره تركه واراد ان يذهب فصر عليه الامين
محمد حتى التفت وضربه على عاتقه الامين بالسيوف وكان ذا قوة
فكسر عظم ترقوته وانكسر السيوف من مقبضه وطار في المجال
فخذت يد الخليفة وارخى ذراعه وعلم بذلك الامين محمد فطعم
فيه واراد ان يقبض عليه فادركته جماعة فخلصوه منه وانهمز
حينئذ جيش الخليفة وتبعه الامين محمد بجيشه وارسل السيوف
المكسور الى السلطان عبد الرحمن يعلمه بما وقع فارسل السلطان
في الحال للامين محمد سيفين عظيمين محليين وامره بالمسير
خلفه وانه على اثرهم وكان ح بالعسكر رجل من ابناء العرب
يقال له زبادي قيل انه من فلاحين مصر وكان يصطاد بالبندق
ويصيب فتجاسر على السلطان وقال له يا مولاي ان ارحتك
من عدوك في هذه الساعة فماذا يكون لي عليك قال السلطان

عبد الرحمن له اذا ارحتني منه لك على مائة راس رقيق فقال
ارسلني الى الامين لآكون في عسكرة وترى ما يصير اليوم فارسله
في الحال الى الامين بكتاب من عند السلطان يقول له فيه ان
زبادي قد التزم برأحتنا من عدونا والتزمنا له الجزاء وذلك
وطلب ان يكون في عساكرك فها هو واصل اليك فان التمس
منك شيئا فساعده واكرمه وان على اثركم وركب زبادي على
هجين ولحق بعسكر الامين فاعطاه امر السلطان فقراه وز
به وسار في الجيش وبالأمر المقدّر ان الخليفة آلمه ذراعه واراد
ان ينزل للراحة فمنعه ارباب دولته عن النزول فقال لهم ولم
تمنعوني فقالوا ان الامين محمد قافي اثرنا بجيشه والقتال بيننا
وبينه دائر فغضب وقال الم يرجع عنا فقالوا لا فكر راجعا
على عسكر الامين فتعرضوا له ايضا فقال ولا بد وبينما هو
ينازعهم على الرجوع ويلاطفونه في الترك اذ جاء زبادي وتامل
الخليفة وعرفه واخذ عليه النيستان واطلق البندقية فاصابته
قيل في صدره وقيل في راسه فخر فاسندوه ومشى قليلا وصار
يجود بنفسه فحين رأى ارباب دولته انه يجود بنفسه نصبوا
له سرادقا وادخلوه فيه ووقف الجيش يذب عنهم والقتال دائر

بين فريقين حتى وصل الامين فراى العسكر وقوفاً وتار الحرب
تستعر فسأل عن الخبر فقبل له ان الخليفة اصيب بالرصاص
وهو يوجد بنفسه وعجز عن الحركة فنصبوا له هذا السرادق
ووقف جيشه يذب عنه فقال اما اذا كان الامر كذلك فانزكوا
القتال واحيطوا بهم حتى تنظر ما يكون وارسل الى السلطان
يعلمه ان الخليفة اصيب برصاصة من زبدي وهو يوجد
بنفسه فان كان يمكن مولانا ان يحضره قبل ازهاق روحه
فليفعل وبعد ذهاب الرسول الى السلطان بقليل قضى على
الخليفة واعلن بالبكا ونزل الجيش الذي كان يقاتل من ظهور
الخيل وكذا نزل جيش الامين مفرد

لايام الدهر ذوبغي ولو ملكا جنوداً ضاق منها السهل والهيل
مفرد لكاتبه

من السسيط

لا يمنع الجيش الكثيف من الردا ولا يمنع المقدور برح مشيد
وبعد ما بقليل حضر السلطان وجيشه فاخرق الصفوف حين
رآه جيش الخليفة اعطوه الطاعة فدخل السرادق وهو الامين
محمد وجماعة من ارباب الدولة وكشف الغطاء عن وجه الخليفة
وبكى بكاء شديدا وقال يا ولدي انت فعلت هذا بنفسك ونهنا

من الكامل
الخبون

فلم تقبل وكان امر الله قدرا مقدورا ثم التفت الى ارباب دولته
 الخليفة وقال لهم لقد زينتم القتال لولدي حتى قتلتموه أما فيكم
 ذوعقل يكتفه وينصحه فخلفوا كلهم انهم براء مما كان فيه وانهم
 نصحوه فلم يقبل وقالوا له يا سيدنا نحن تقلدنا نعمته وقاتلنا
 عنه حتى قضى الله فيه وما خناه وان انت قبلتنا نقاتل عنك
 كذلك ولو خناه وخدمناك فحونك ايضا فعرف صحة قولهم وقال
 قد عفوت عنكم فمن اراد ان يكون معي منكم فهو على رتبته
 ومقامه ومن ابى يلق خيرا ثم امر بدفن الخليفة في ذلك المحل و
 يدفنه في مقبرة الملوك وقل هذا عاق لا يدفن في مقابرنا فدفن
 هناك واقام السلطان بقية شهره وليلته واصبح قافلا الى
 الفاشر محفوا بالنصر مستبشرين ا بذهاب عسركان ابا الطيب
 رآه على تلك الحال حين انشد وقال

سرحيث بثنت حله الانوار و اراد فيك مراده الاقدار
 واذا ارتحلت فراققتك سلامة حيث اتجهت وديمة مذار
 وصدرت اغتم صادر من مورد مرفوعة لقدومك الابصار
 انت الذي لهج الزمان بذكره وتزينت بحديثه الاسمار
 واذا تنكر فالفناء عقابه واذا عفا فعطاوه الاعمار

من الكامل

وله وان وهب الملوك مواهب دُرّ الملوك لدرها اغبار
لله قلبك لا يخاف من الردى ويخاف ان يدنو اليك العار
وتخيد عن طبع الخليفة كله ويحيد عنك المحفل الجرار
يا من يعز على الأعرّة جارة ويدل في سَطْوَة الجبار
كن حيث نشئت فمأخول تنوفة دون اللقاء ولا يشطّ مزار
وكان الفاشر اذ ذاك بالمحل المسمى قرطبي وكان فاشر السلطان
تيراب بالريل وفاشر الخليفة بجديد راس الفيل ثم انتقل بعد
ذلك وجعل الفاشر بالمحل المسمى تندلتي وهو فاشر ابنه الآن
ولم يعهد للنور اقامة في فاشر كما قامتهم في فاشرهم هذا المسمى
تندلتي ولما اراح قلبه من قتال الخليفة وسكن جاشته نظرف
امر الرعية فابطل الكوس ورفع المظالم وولى المناصب وانتبه
لعمار البلاد ورفاهية الحال وقطع الاعلان بشرب الخمر والزنا
وامن الطرق وكانت مخوفة فبعد ذلك صارت امنا حتى ان
المرأة كانت تسافر من اقصى البلاد الى ادناها محملة من الخلى
والمناجح لا تخشى الا الله وكثرت التجارات وتتابع الخصب واظهر
العدل التام فكان لا يكرم ظالما ولا يعينه ولو كان من ذوى
قربته ولقد اخبرني الثقة ان اعرابيين تعرضا له يوما وكان

قادم من الصيد فقال له احدها انا مظلوم يا رشيد الله يخليك
يا رشيد انا مظلوم ومن عادتهم ان المظلوم اذا جاء امام
السلطان يضع اصبعه يده اليمنى الى السبابة والابهام على
شذقيه ويردد هاهنا مع اخراج صوت عال فيه كافر واحلة وراء
كثيرة مضمومة فيخرج من فيه صوت يقال له الكروراك وهذا
الصوت لا يصوته به احد الا اذا كان اصيب بمصيبة فكان
الاعراب يصوت كذلك ويقول بعد كل صوت الله يخليك يا رشيد
انا مظلوم وتغفل عنه السلطان اما لامر قام به اولانه لا
يسمعه لكثرة الطبول والغنا واصوات الجند فكرورك الاعراب
مرارا فلما لم يجبه السلطان قال له صاحبه خله عنك رشيد لنفسه
لذلك فسمعه السلطان فوقف وسال الاعراب عما قال فقال ان
اخى هذا الكروراك مرارا واشتكى لك وهو ينادى يا رشيد انا مظلوم
فلما لم تجبه قلت له خله فانه رشيد لنفسه غير رشيد لك
فضحك السلطان وقال بل انا رشيد لك ايضا قل من ظلمك
قال ظلمني باسي خبير وكان باسي خبير من اقاربه فقال وما اخذ
منك قال اخذ مني خمس نياق فوقف مكانه ودعا باسي خبير وساله
فاعترف فامر ان يدفع له عشرة نياق وخمسة حقاه وخمسة تاديبا

له فدفعها وذهب الاعرابيان وهما في غاية الغبطة والسرور
وفي ايامه تلك نصب محمد كرا ومنصب الاب الشيخ وهو اجل
الناصب هناك صاحبه مطلق السيولة دولة كدولة السلطان
وشارات كشاراته ومن عادة هذا المنصب لا يتولاها الاخصي
لانه يخشى من غير الخصى اذا تولاه وقويت شكيمته ان يصادر
السلطان ويطلب الملك لنفسه وبعد تولية الاب الشيخ محمد
كرا وجهه الى البلاد فنزل في ابي الجذول وسلك طريق العدل والعالم
وضبط الامور حتى انه قتل اناسا كثيرا لما وقع منهم من الظلم
ولما ظهر عدل السلطان وحبه للعلماء واهل الفضل والاشراف
وفد عليه الاشراف والعلماء من جهات عديدة فكان اول وفد
عليه والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان وكان حين قدومه
الى دار فور نزل بكوبية على الفقيه حسن وذعوضة وبلغ اهل
كوبية انه جاءهم رجل عالم من تونس فاجتمع عليه اكابرهم كالفقيه
محمد كرتيم والشريف سرور بن ابي الجود وعبد الكريم بن الفقيه
حسن وذعوضة واضرابهم وطلبوا منه قراءة مختصر الشيخ
خليل فقرا لهم منه ربع العبادات ووصل خبره الى الفقيه مالك
الفتاوى فاعلم به السلطان فارسل اليه فذهب له فآكروا

واعطاه عدة جوارى وامره ان يكون عند الفقيه نور الانصار
زوج ابنته الميرمحواء وكان رجلا من سلالة الانصار محبا
لاهل العلم وفيه فقه فقرأ على والدي نبذة من صحيح البخاري
واعلم السلطان بعلميته وانه ماهر في العلوم العقلية والنقلية
فاحضره لديه وقرأ عليه في شهر رمضان جزء من الحديث
وتعلقت به امال الفقيه مالك فامر اولاده ان يحضروا عليه
فحضر عليه من اخوانه الفقيه ابراهيم والفقيه مدني والفقيه
يعقوب ومن اولاده الزاكي والسنوسي ومحمد جلال الدين
وابن اخيه الفقيه محمد البركاوي وحضر عليه الفقيه حسين
وذ نورس وامره السلطان ان يكتب على الخصائص التي ألف
منها مغلطاي التركي فكتب عليها شرحا عظيما نحو ستة
عشر كراسا سماه الدررة الوفية على الخصائص المحمدية وساله
في شرح على مختصر الشيخ خليل المالكي في الفقه فكتب عليه
شرحاً في مجلدين سماه الدر الاوافق على متن العلامة خليل
ابن اسحاق وكتب على الاجرومية شرحا كبيرا ادخل فيه نحو
مايتي بيت من الفقه ابن مالك فاتي مجلدا ضخما ثم اختصره في
كراريس وكتب على الستم المروني شرحا لطيفا في كراريس والفر

رسالة في علم الكفر ووفد على السلطان عبد الرحمن الفقيه
الزاهد الناسك الشيخ التمر الفلاني ووفد عليه الفقيه النيب
الشيخ حسين عمّاري الازهري ووفد عليه من اشرف مكة
الشريف مساعد يقال انه من اولاد الشريف سرور وكان قاضيا
الفقيه النزيه الشيخ عز الدين الجامعي وهو قاضي القضاة بدار
فور واعمالها وكان السلطان عبد الرحمن جوادا كريما عادلا عفيف
النفس وكان وسط القامة شديد السواد قد وخطه الشيب
ابح الصوت شديد الغضب سريع الرضا ذات دبير حسن فبن
حسن تدبيره انه لما دخلت الفرنسية مصر وهرب الغز
عنها توجه الى دار فور منهم كاشنو يسمي زوانة كاشنو قيل انه من
ماليك مراد بيك او هو احد كشاف الألفي ومعه اكثر من
عشرة ماليك ومعه امّعة زائدة وجمال وخدم وطباخ وفراش
وسياس واخذ معه مدفعا وهاون بنّيبين حل يدار فور كرمه
السلطان عبد الرحمن واحسن ملاقاه وانزله نزلا حسنا وجرى
عليه من الارزاق شيئا كثيرا حتى صار لا يعرف رقيقه لكثرة ثمر
طلب من السلطان ان يبني بيتا كبيت مصر فاذن له في ذلك
فضرب الأجر واستخدم العبيد في قطع الاحجار وصنع بيتا

جميلا وسورة بسور وجعل السور عريضا وجعل فيه مزغلتين
مقابلتين لبيت السلطان يضع واحداها المدفع وفي الاخرى
هاون الثنب وكان محل هذا البيت اعلا من محل بيت السلطان
بحيث كان يرى السلطان حين يدخل وحين يخرج فسولت له
نفسه ان يقتل السلطان ويملك البلد بان يرصد وهو داخل
او خارج ويطلق عليه مدفا يهلكه به لكن خاف ان قتل السلطان
لا يطعوه اهل المملكة وارباب الدولة فاحتال ان اجتمع بالفقيه
الطيب ود مصطفى وكان هذا الفقيه وزير السلطان تيراب
وصهره اعنى ان السلطان تيراب كان متزوجا باخته وانت
منه بولد فلما اجتمع عليه زوانة كاشنو فنتى سره له بعد ان
عاهده على الكتمان وقال له انه قد بلغنى ان ابن اختك ابن
السلطان واريد ان تجعل يدك معى فتقتل هذا ونول ابن اختك
وتصير المملكة بيننا فرضى الفقيه الطيب بذلك ثم قالوا ان
هذا الامر لا يتم لنا الا باذخال بعض الناس الذين تكون لهم عساكر
فقال زوانة ذاك اليك وانت اعرف الناس به فصار الفقيه
الطيب يخادع الناس وياتي بهم الى الكاشنو والكاشنو يعطيهم
الاموال ويخلفهم ان يكونوا معه حتى ادخلوا في امرهم عدة

رجال واتفقوا من الامر آخذه الفقيه الطيب وجاء به
الى الكاشف فاعطاه عطية سنوية واطلعه على خلفه على الكفاية
فخلق واخذ العطاء وتوجه به الى السلطان واطلعه على جليلة
الامر وحقيقته فقال له السلطان خذ عطاك واذهب وكن
معهم على ما انت عليه واياك ان تخبر احدا انك اتيتني ولما كان
من الغد جاء زوارة الكاشف الى بيت السلطان فآكرمه اكثر مما
كان يكرمه واعطاه في ذلك الوقت مائة عبد ومائة جارية ومائة
ناقة ومائة جرة سمنا ومثلها عسلا ومائة حمل دُخْنَا وكسائه
كثيرا احمر وجوخة حمرا وقلده سنيفا واعطاه جوادا اسرجه
من ذهب وتوجه الكاشف الى منزله مغتبطا بما حصل له من
السلطان وقال هذه اموال ساقها الله الي استعين بها على
هذه الصلحة ولما امسى المساء وكان بعد العشاء امر السلطان
باحضار ملك من الملوك بعسكرة وامره ان يقف حتى يري الكاشف
دخل دار السلطان يعقبه ويضبط جميع ما في بيت الكاشف من
الاموال وحذره عن ان يفلت منه شي ثم ارسل للكاشف غلاما
يقول له ان سيدي جلس للسير وقد اراد ان تحضر مجلسه الا
ورتب عبدا للقبض عليه عند امر السلطان به فذهب

بالله العظيم ان يقتله ولا يكلفه جواب هذا السؤال الا الموت
عنده اهون من ذلك فابى السلطان نفسه ح وأمر فذبح كالشاة
واخذ جميع ما عنده من الاموال والضياع ولم يفلت منه شئ
وقد سمعت انه ارسل العساكر لاخذ ماله من ضياعه قبل ذلك
بمدة وعين لهم ان يكبسوها في ذلك اليوم بعينه خوفا ان
يعيش الخبر ويفلت منها شئ وذلك كله من سعادته ومن
سعادته ايضا ان جميع من رآه بسوء يخذل ويمكثه الله منه
ومن ذلك ما حصل من اياكزى كنانة امر حبيب المتقدم ذكرها
وذلك ان السلطان تغافل عنها ولم يبق بما وعد بها به اِما
لامر قام به او خوفا على نفسه منها او من ولدها فلما رأت
تغافله لها وكانت في دار السلطان وابنها حبيب متأهل في
دار له عقدت له بالمكاتبة مع بعض الملوك عقداً واتفقت
معه ان يساعده حبيبا ليتولى سلطانا خصوصا قد انقطع
املها حين رأت ان السلطان ولد له فحافت على ولدها لكن
السلطان وان كان تغافل عنها الا انه كان مبقياها في منصبها
آمرة ناهيةً مقاليد امور الدار كلها بيدها فلما نوت الغدر
بالسلطان استاذنته في ان حبيب يريد ان يصنع وليمة

واريد ان امدد بطعام من هنا فاذن لها السلطان وذلك
فصنعت الطعام وصارت تاتي بالكجفات وتضع الدروع في
الجفنة ثم تجعل الطعام فوقها بحيث ان من يرى الجفنة لا يظن
ان فيها غير الطعام وكانت تضع في واحدة دروعا وفي اخرى
سيوفا فاخرجت ما يزيد عن مائة جفنة بهذه الصورة ثم مكثت
مدة ايام واستاذنت له في ولية اخرى فاذن لها ولم يخسر
بياله شئ مما في نفسها لانه كان سليم الصدر غير ظنان بالسوء
ففعلت كما فعلت بالمرّة الاولى وبعد ايام ايضا استاذنته كذلك
وقبل ابراز الولاية الثالثة كانت عندها بنت من بنات الاكابر
جميلة الصورة تربتها فراها السلطان على حين عقلة فاحبها ونوى
في نفسه ان يخاطب اياك في شئانها ويعقد عليها وكانت امر
حبيب فهت من السلطان ذلك فصارت تؤذيها لانها اعدتها
لولدها حبيب فلم تطلق البنت الاذاية خصوصا وقد انكشفت
على عندها بالسلطان وما تريد ان تصنعه معه فاختلست
نفسها وقابلت السلطان على خلاء واخبرته ان ام حبيب
اخرت خزينه السلاح والامتعة وان الولايم كلها مملوئة
بالدروع والسيوف وانها تعاقدت مع الملك فلان وفلان

بانهم يساعدوها على قتلك وتولية حبيب الملك وان كنت
في شك مما اقله اقلب جفنة من الجفان التي تخرج في الولية
فوعده فانك تعلم صحة قولي فقال لها السلطان ارجعي الي
مقرك واياك ان تقولي انك اعلمتيني بشي فرجعت وضاق
صدر السلطان لذلك واخبر بعض الخدما ان اخبرني في غد
قبل خروج الولية الى حبيب واستكتمه فكم وبقي الحال كذلك
حتى اصبح الصباح وصنعت الولية ونادت العبيد والجواري
يرفعن الجفان فاخبره الخادم بان الولية قد تجهزت فدخل
فراي ام حبيب ترتبها للحمل فقال على راسك ثم قال رفعوا الاغذية
واروي وليمة ولدي حبيب فرفعوا الاغذية فراي طعاما حسنا
فجاء الى الجفنة فيها طعام حبه وقال اتركوه هذه لي واجعلوا ما
فيها في اوان صغار لا اكل منها انا وبعض اضياؤي فقالوا اسمعنا
وطاعة وجاءت ام حبيب حين بلغها ذلك وقالت فذاك
ابي وامى عندنا من نوع هذا الطعام كثير فليترك مولاي الجفنة
وخن نائيه بكثير منه فقال قد علمت وانما نفسي طلبت من
هذه ولعل ما تاتون به وان كان من هذا بعينه لا تتوق اليه
نفسى فحلم تجد بدا من طاعته وقالت دع الخدم يرفعن هذه

الجنات واجس انت هذه فقال لا برحتى تفرغ هذه الجفنة وتملأ
كما كانت ويحل كله مرة واحدة ولما جيئ بالواني واعترف من الجفنة
ظهر الدروع من تحت الطعام فنادى يا ام حبيب ما هذا فجملت
ولم تجز جوابا فعند ذلك امر بالقبض عليها وقلب جميع الجفنت
فوجد فيها كلها دروعا وسيوفاً وريالات فرأستأ ونحو ذلك
فقال لها اي ذنب وقع مني حتى دبرتي على هلاكى فلم ترد جوابا فامر
بقتلها في تلك الساعة فقتلت وفي الحال ارسل ملكا من ملوكه الى
بيت حبيب بعد ان دعا حبيبا اليه فحضر حبيب على حالة الطمانينة
فلما مثل بين يدي السلطان امر بالقبض عليه فوضع في المحبس
ثم ارسله تحت جنح الليل الرجل مرة واستصفي ما عنده من
المال ورد الدروع والسلاح الى مقرها ثم قبض على جميع من تواطع
حبيب ولم يبق منهم احدا وتمهدت اموره واستوزر الفقيه مالك
الغوتاي لظن علميته وصلاحه وكان يدعى انه يعرف سر الحرف
وعلم الدفاق مع انه كانت فيه عامية وكثيرا ما كان يظهر الروع
والصلاح ويُبطن صنده وكنتم اظن ذلك منه حتى حقق الالظني
فيه في مجلس واحد وذلك انه لما ترقى الوزارة ادخل جميع قبيلة
الفلان التي بدار فور تحت امرة وصار يذب عنهم وحررهم عند

الدولة حتى صار لا يجبي منهم مال وكلما نهبوه من غيرهم من القبائل
برد لهم حتى صاروا من اقوى القبائل واعناها فانفق ان قبيلة
الفلان اغاروا على قبيلة الساليط وقتلوا منهم خلقا كثيرا واهبوا
منهم اموالا جمعة من بقر وخيل ورقيق وجاء رئيسهم وكان يسمى
بجد العيال واتى بخيل وبقر ورقيق من النهوب هدية الى الفقيه
مالك ليذب عن القبيلة وكان في شهر رمضان وكان وقت العصر
والفقيه مالك اذ ذلك يقرأ في تذكرة القرطبي في صفة اهل النار
فاتى على قوله ولا زالت النار تقول يارب زدني حتى يضع الرحمن
فيها رجله والرجل هي الجماعة من الناس وعليه قول الشاعر فر بنا
رجل من الحمى واتروى البيت فقال ولا زالت النار تقول يارب
زدني وكان من عاداته ان يقول بعد كل كلمة او كلمتين اى نعم قال
الكتاب فقال ولا زالت النار تقول يارب زدني اى نعم قال الكتاب
ولا زالت النار تقول يارب زدني اى نعم قال الكتاب حتى يضع
الرحمن فيها رجله اى نعم قال الكتاب والرجل هي الجماعة من الناس
اى نعم قال الكتاب وعليه قول الشاعر اى نعم قال الكتاب فر بنا
رجل اى نعم قال الكتاب وكررها مرارا فقال له السنوسي
ولده يا ابو فر بن ارجل فقال اى نعم فر بنا رجل وكررها مرارا

وكنت جالسا ولم يسعني السكوت فاخذت نسخة من رجل
بجانبي فرأيت فيها فمر بنا رجل من الحي البيت فقلت يا أبو فمر بنا
رجل فقال لي أسكت أنت الآن صغير عن هذا وامثاله مع ان
هذا هو الذي يصلح لان يكون شاهدا فسكت ومن عاميته
ما حكى لي والدي عليه سمائب الرحمة والرضوان ان السلطان
التمس من الفقيه المذكور ان يخطب يوم العيد فقصد والدي
ان يولف له خطبة فالفها وكتب في اخرها تمت علي يد مولفها
الفير الى المنان عمر التنسي بن سليمان في يوم وسنة كذا واعطاه
اياها فلما كان يوم العيد صلى بالسلطان ثم رقى المنبر فخطب
وبعد الخطبة قالتت الى اخر ما كتب ولم يتفطن ان هذه الكلمات
خارجة عن الخطبة وكان من اغني ارباب الدولة وكان له من الاقطاع
ما ينوف عن خمسمائة بلد وذلك غير اقطاع اخوانه ثم السلطان
اجل مقام الشيخ محمد كرا واعلا كلمته حتى صار لا تغني عن كلمته كلمة
وبلغه ان هاشم السبعاوي ملك كرد قال رجع اليها واخذها
من يد عامل السلطان فجهز جيشنا كثيفا للنظر الاب بن شيخ محمد
كرا فتوجه الى كرد قال واغني غناء حسنا واخذ كرد قال من يد
السلطان هاشم وقتل عساكره وشرده في القفار واستوطن

كرد قال مدة سبع سنين وفيها ارسل للسلطان اموالجة من
رقيق وذهب وغيره وسعى به بعض من اعداه الى السلطان
فارسل السلطان الامين محمد بن الامين علي ود جامع بجيشه اليه
وارسل معه قيذا وقال له خذ هذا القيد وقيده به وارسله مع جيشه
وكان ذلك امتحانا من السلطان فلما وصل الامين محمد الى كرد قال
ظن في نفسه ان الاب شيخ محمد يعارضه او ينازعه فلم يفعل شيئا
من ذلك بل حين وصل اليه قال له بماذا امرك السلطان قال
بتقييدك وارسالك اليه فقال سمعا وطاعة هات القيد فاعطاه
اياها فاخذة وقيد نفسه بيده ودعا الحداد وامره ان يسمّره
ويبرد عليه امتثالا لامر السلطان ففعل واصبح مسافرا
والقيد في رجله حتى وصل الى دار فور وحين اخبر السلطان
بقدمه ارسل له من ينزع القيد من رجله وقال اما قلت
لكم ان محمد كراي عسا في ثمره ان ياتي الى الفانتر في موكبه
فاتي على احسن حالة وخرج اليه السلطان واحسن ملقاه
وسورة بسوار من ذهب امام الوزراء والحاضرين وبالغ
في اكرامه وورده الى منزلته بل صار اعظم مما كان وكان هذا الفعل
من السلطان هو عين البخت التاملابنه محمد فضل فانه لما

توفي السلطان قام بامرہ الاب الشيخ محمد كرا ولولاه لما نظر
اليه احد ولا عني به وكيفية ذلك ان السلطان لما تقرب به مرضه
دخل عليه الفقيه مالك الفتاوى فوجد الاب الشيخ محمد كرا عنده
فقال له الفقيه مالك ياسيدي ان الوصية فيها خير عظيم وانك
فعلت مع الناس من العروف ما لا يوصف وكل وزرائك واهل
ملكك راضون عنك فان وصيت بشي اظنه بل الحقيقة انه
ينفذ ولا بد فاوصر لعل ولدك ينتفع بوصيتك فقال ومن يتوكل
على الله فهو حسبه فاعاد عليه الفقيه مالك هذا القول ثانيا فقال
هو ذلك ايضا فاعاد عليه ثالثا فقال ذلك ايضا فتركه بعد الثالثة
ثم قضى خبه عليه سبحانه الرحمة فحين توفي بكى عليه الاب والفقيه
مالك وبعد البكاء قال الفقيه مالك للاب ماذا انت صانع الآن
قال الاب سأريك ما اصنع فقام من وقته ودخل الدار ودعا
بمحمد فضل وكان اكبر ولديه لانه لم يترك من الذكور الا محمد
فضل وبنجارى ومن الاناث حوى وست النساء وامر سلمى
فاقعد محمد فضل ولبسه الخاتم وعممه وقلده بالسيوف واجلسه
على كرسي السلطنة وادخله في حجرة وارخى عليه سترا وارسل في
الحال الى جماعة فحضروا متقلدين سيوفهم بشاكين السلاح فاقفهم

على الابواب ورتب منهم جماعة يحرسونه ونفعه في ذلك
باب سر كان بين بيته وبيت السلطان بحيث ان العساكر
دخلت منه ولم يشعربها احد ثم ارسل الى اكثر الوزراء جماعة
واقواهم بشركة الملك ابراهيم واد انسانا يقول له ان
السلطان يامر بالذهاب اليه فجاء فلما دخل الباب وجد
العساكر وقوا فراعاه امرهم ولم يجد بدا من الدخول ولما وصل
الى محل السلطان وجد الاب شيخ محمدا والفقيه مالك جالسين
والسلطان بينهما سبى فلما رآه كذلك بكى ثم بعد استرجاعه
قال له الاب الشيخ ان السلطان قد توفي فاذا ترى فقال لا
ارى سوء راىك فقال له الاب اتعاهدني على ذلك قال نعم فلفه
واخذ موثيقه انه لا يتعدا رايه ثم رفع الستر وقال هذا السلطان
يعني محمد فضل فقال الملك ابراهيم وهو كذلك فقال قم فبايعه
فبايعه وح جلس ثم ارسل الى الوزراء والملوك واحدا بعد واحد
وكما جاءه احد فعل معه كما فعل بالملك ابراهيم حتى استوثق
من اكبر الدولة كلهم ولم يترك منهم الا من لا قوة له ثم اعلن
بموت السلطان وضربت طبول الحزن وسمعها اولاد
السلاطين فركبوا وجاوا شاكين السلاح هاجمين على دار

السلطان فراوا الامر مهولاً والجند محيطاً بها حارساً لها منهم
ومن غيرهم فلما لم يجدوا الى الدخول سبيلاً ضربوا في البلاد
وصاروا ينهبون اموال الناس وتجمع عليهم الفوغا حتى
صاروا في جند كثيف وثقلت وظائفهم وعظم شرهم فجهز
لهم الاب الشيخ جيشاً لنظر الملك دلدن الذي اسلفنا ذكره
وهو ابن عمه السلطان محمد فضل فخرج اليهم ووقع بهم
وانهزمت الفوغا الملتفة عليهم وقتل منهم كثير وظفر اولاد
السلطان وجيء بهم الى الاب مصفدين فارسلهم الاب الى
السيجون في جبل مرة وسكنت الفتنة وتمهدت الامور ثم
امر السلطان بالقراءة وطلب العلم لصغر سنه وعدم خبرته
بالامور فتقل ذلك عليه ولم يجد بدا من الامتثال فكا بدمشق
التعليم نحو سنتين وقتل الشيخ محمداً في تلك المدة بعض
الملوك لفتنة وقعت منهم ورمى بعضهم في السجون وكلهم
من أسرة السلطان وعصايتهم وولى مناصبهم لجماعته فنقل
ذلك على ارباب الدولة وخافوا شراً فاعزوا السلطان على
قتله او سجنه فوقع بينهما الحرب وقتل كما قدمنا ذلك كله
والله اعلم المقصد وفيه ثلاثة ابواب الباب

الاول في منفة دارفور واهلها وعوائدهم وعوائد
 ملوكهم واسماء مناصبهم ومراتبهم وفيه خمسة
 فصول الفصل الاول في منفة دارفور اما دارفور
 فهو الاقليم الثالث من ممالك السودان وذلك ان للقادم من
 المشرق الى بلاد السودان اول مملكة و اقليم يعرض مملكة سنار
 ثم كرد قال ثم دارفور فظهر انها الاقليم الثالث وبحسب
 ذلك اقليم ودداني هو الرابع والباقرمة الخامس وبرنو الساد
 وادقز السابع ونفة الثامن ودار تنبكتو التاسع ودار مللا
 او مللي العاشرو هي قاعدة ملك الفلانة وهم الفلانة كما ذكرنا واما
 الذي ياتي من المغرب فانه يعد مللا الاول وتنبكتو الثاني ونفة
 الثالث وهكذا واعلم ان القدماء يطلقون على بعض اهل السودان
 اسم التكرور ويعنون به اهل مملكة برنو لكن الان قد عمى هذا
 الاسم على ممالك متعددة اولها دار وداني او ودداني المعروفة
 ايضا بدار صليح واخرها برنو فيدخل في ذلك باقرمة وكتكو
 ومندرة فيقال لاهل كل منهم تكرور حتى انه صار عرفا بينهم
 ولقد لقيت منذ ايام رجلا من اهل السودان فسألته من
 اين انت فقال من التكرور بل اظنه قال تكروري فقلت من اي

من التكاير فقال من باقرته لكن لم يجزى الا بعد مشقة فلنا
منه اني لاعرف تلك الجهة فلما اخبرني وسالته عن بعض مواعيد^{مع}
منها تعجب تعجبا عظيما والآن القول وحذ الفوم من جهة الشرق
اقصى الطويشة ومن الغرب اخر دار المساليط يعني مملكة المساليط
واخر دار قير واول دار تامه وهو الخلا الكائن بين دار صليح وبينها
ومن الجنوب الخلا الكائن بينها وبين دار فرثيت ومن الشمال
المرزوب وهو اول بئر يعرض لمن يتوجه لها من الديار المصرية
وتتبعها عدة ممالك صغيرة فن الشمال مملكة الزغاوة وهي
مملكة واسعة وبها خلق لا يحصون كثرة ولهم سلطان وحدهم
ولكنه بالنسبة الى سلطان الفور اشبه بقائد من قواده ومن
جهة الشمال ايضا مملكة الميذوب والبرقي وها مملكتان كبيرتان
الا ان اهل الثانية اكثر من اهل الاولى ومع كثرتهم اكثر انقيادا
لسلطان الفور من الميذوب وفي خلال دار فور مملكة البرقد
ومملكة برقو والتنجور وميمه الا ان مملكة البرقد والتنجور في
الوسط ومملكة البرقو والميمه من جهة الشرق ومملكة الداجو
والبيقو من الجهة الجنوبية وكذا مملكة فراوجية وكل من هذه
الممالك حاكم يسمى سلطانا لكن يوليه عليهم سلطان الفور وكلهم

على نسق واحد في الهيئة والملبوس الا ملك التنجور فانه يلبس
عمامة سودا ورسالتة عن سبب سواد عمامته فاخبرني ان
اصل مملكة دارفور لاجداده وتغلب عليها سلطان الفور فلبس
العمامة السوداء اشعار بحزبه على فقد مملكته وقد احاط بجانبها
الشرق والجنوب كثير من عرب البادية كالمسيرية الحمرو الرزيقات
والفلان وكل قبيلة من هذه القبائل لا تحصى كثرة وهم اهل بقر
وخيل واثاث واكثرهم اهل ثروة لا يالفون الحاضرة بل يتبعون
الكلا اينما كان ويلحق بهم القبيلة السماة بيني حلبة لانهم اهل
بقر ايضا لكنهم يتوغلون في دارفور ويزرعون واما اهل الابل
منهم الفزارة وهم الحاميد والمجانين وبنو عمران وبنو جرار
والمسيرية الرزق وغيرهم وعلى كل من هذه القبائل ضريبة ياخذها
السلطان من اموالهم في كل سنة لكن في ذلك تفاوت اما المسيرية
الحمرو الرزيقات لقوتهم وتوغلهم في الخلا فلا يعطون للسلطان
الا قبح اموالهم ولا يقدر العامل ان ياخذ من كرائمها الا برضاهم
وان تاقت نفسه الى ذلك طرد وربما قتل ولا يقدر السلطان
لهم على شئ ولقد بلغني ان الرزيقات عصوا امر السلطان تيراب
وجهر لهم جيشا فكسروه فخرج اليهم بنفسه ففروا امامه و دخلوا

في البرجوب بمواشيتهم فتبعهم فقتلوا منه خلقا كثيرا ولم يملك
شيا والبرجوب موضع يسافر فيه المسافر عشرة ايام يقطعه وهو
طين لين مغطى بماء يبلغ نحو عانة الرجل ومن لين طينته تسوخ
فيه قوائم الدواب ومع ذلك فهو ذو شجر شايك وهذا الموضع لا
ينقطع عنه المطر الا شهرين في السنة في فصل الشتاء ثم ان طول
اقليم دارفور من اول بلاد الزغاوة الى دار روكه نحو ستين يوما
بل ان اعتبر الملتقات بها كدار روكه وفتقرو ودار بتدلة وبيكة
وشالا كانت اكثر من سبعين يوما هذا كله بحسب تعريف اهل
البلد لكن الذي اظنه انما لا تعيل لذلك بل نهاية مساحته تبلغ
نحو من خمسين يوما او اقل وان عدت ممالك القرثيت الخمسة المذكورة
وهي في ذلك الرمن الملتقات المعاهدة لسلطان دار الفور ويؤدون
له الخراج في كل سنة فاذا دخلت دار الزغاوة من جهة الزروب
متوجها على خط مستقيم الى كوبيته تكث نحو ستة ايام ومركوبيته
الوتندلتي الذي هو الفاشريومان ومن الفاشري الى جديد كروي
يومان ومنه الى الريل يومان فهذه اثنا عشر يوما ومن الريل الى
جديد راس الفيل اربعة ايام ومنه الى تلداوا ثلاثة ايام او اربعة
ومنهما الى تبلدية ثمانية وتبلدية على الحدود الشرقية للفور منها

يدخل الانسان في بلد الداجو والبيقو فيمشي فيها نحو من ثمانية
ايام ايضا فهذه اربعة وثلاثون يوما ثم اذا خرجت منها الوجهة
الشرق تجد خلاء مشحونا باعراب البادية كالمسيرية الحمر والحمانية
والرزقيات عالم لا يحصيهم الا خالقهم وان ملت الوجهة الغربية دخلت
في دار اباديما فتقطعها في نحو عشرة ايام ثم تدخل في خلاء تمشي فيه
يومين وتدخل الى دار روكه ومسافتها نحو ثلاثة ايام ودار فنقرو
مثلها او اقل منها بئشي يسير ومنها خلاء يمشي فيه الانسان نحو
يومين ومنه يدخل في دار بيكة وثنالا ومسافتها يومان فظهر
لك بما ذكرناه ان طول دار فور بلحقاتها لا تبلغ نحو خمسين يوما
وهذه اللحقات هي البلاد الجنوبية التي بعد دار الفراوجية لان
الفراوجية اخرة حدود ممالك الفوراوية الحقيقية وما يسمى اهل
الفور بالسعيد المساحة الممتدة من ريل لخر دار الفور من جهة
الجنوب ودار اباديما هو دار تموزكة وباديما اسم منصب كما
سندكرة معناه الجناح الايمن للسلطان والحاكم المسمى بهذا الاسم
يحكم على دار تموزكة فسمى لذلك دار تموركه بدار اباديما ويقابله
التكنياوي الذي هو ايضا اسم منصب معناه الجناح الايسر
للسلطان ويحكم التكنياوي على اثني عشر ملك ايضا وهو حاكم الرغاو

وما يليها جهة الشرق ولذلك ايضا سمي دار الزغاوة بدار التكنياوى
وانقلت من حيث ان اباديما والتكنياوى متعادلين لم كان
طول دار اباديما عشرة ايام وطول دار التكنياوى خمسة ايام قلت
دار التكنياوى اعرض من دار اباديما لان دار اباديما عرضها نحو خمسة
ايام وثنى يسير وعرض دار التكنياوى نحو سبعة ايام فانقص
من طولها جبر بزيادة عرضها ثم اعلم ان دار فور منضمة تنظيما
على وجه محكم لانا ذكرنا ان جبل مرة يشققها وان نصفها من
جبل مرة الى جهة الشرق سهل وعرض جبل مرة بقطع النظر عن
ارتفاع الجبال نحو يومين ووراء من جهة الغرب سهل ايضا لكن
من جهة الشمال الزغاوة والبرقي وهما قبيلتان عظيمتان فالبرقي
من جهة الشرق والزغاوة من جهة الغرب وفي وسطها من
جنوب جديد كزيو يسكنها التنجور والبرقي وهما قبيلتان
عظيمتان وهكذا الجديد راس الفيل وازيد بل والتبديية وان
كان بينهما بلاد وقبائل صغار ثم من هناك الى الخلا من جهة
الجنوب والشرق وجهة دار اباديما يسكنه الداجو والبيقو
فالداجو من جهة المغرب والبيقو من جهة المشرق وشرق
جديد كزيو يسكنه البرقو واليعة وهما قبيلتان عظيمتان

جبل مرة لا يسكنه الا اعجام الفور واعجام الفور ثلاثة قبائل احدها
 كنجارة وهي تسكن من قرى الوبعد الجبل الصغير المسمى بمصر بالخصوص
 وهو مرة حقيقة وبعده بقليل الواحد دار اباديما تسكنه الفور المسنون
 كركريت واما الفور الساكنون بدار اباديما فيسمون تموزكة وبعده
 دار اباديما دار روكه ودار فراوجيه لكن روكه من جهة المغرب وفراوجيه
 من جهة المشرق ودار فنقرو وبعده دار فراوجيه وبعده دار روكه
 دار سبلا لكن تميل الى المغرب اكثر ولهذا يحكمها اهل الواد اى
 واعلم ان جبل مرة ليس جبلا واحدا كله بل هو عدة جبال كبار
 وصغار وقبل الدخول في دار اباديما ينقطع الجبل وتبقى ارض
 سهلة يسكنها الفلان حتى انهم يقربون من المساليط من
 جهة المغرب ويليهم بنو حلبة والسيريبة الزرق وجميع ما
 ذكرناه غير البدو الحافين بها من شمالها وشرقها وجنوبها
 وغير المولدين من القبائل والفور يسمونهم الدار اوية اى النسب
 للدار فانهم في الوسط لا يعتبرون بقبيلة وان اردت ان
 ابين لك كيفية دار الفور ووضع منازل هذه القبائل والاعراب
 المحتفين بها فها انا ارسم لك ما هو على هيئة الجدول تقريبا
 للفهم وهو هذا فنرض ان هذه الجهة هي جهة

الجنوب

هذا وان كنت لم ايتي في هذا الجداول البيان الشافي لعدم
معرفة بالرسم ولضيق الورق فهي في نفسها كذلك لكن الماهر
يستنتج منها صورة حسنة ثم اعلم ان اعر البلاد من جهة
الشمال بلاد البرق والزغاوة لكثرة ما فيها من العالم وانظر
حكمة الله فان القبيلتين في خط واحد لكن البرق ارق قلوبا
واحسن وجوها واجمل نساء والزغاوة بالعكس كما ان الداجو
والبيقو في خط واحد وبنات البيقو اجمل من بنات الداجو وما
البرقد والتجور فيوجد في كل منهما اللبج والقبج لكن البرقد
خائون سراق ليلا ونهارا لا يخافون الله ولا رسوله والتجور
معهم بعض دين وبعض عقل يمنعهم واما اهل الجبل فكلهم
على حد في الوحاشة والوحاشة لكن متي جئت في دار ابا ديجا
تجد الرجال والنساء حسان فسبحان من هذا صنعة واما
المساليط فنساء وهم يسبين العقل ويذهبن باللب ولجل
النساء في دار الفور على الاطلاق نساء العرب بل ورجالهم
كذلك وبين الوادائي ودار فور لا يوجد ساكن البتة ما عدا
اهل جبل تاما الذي سنتحدث عنه ان السلطان صابون
وهو سلطان الواداي غزاه واستولى على اهله واعلم ان جميع

البلاد التي في دارفور مقسومة على اكار الدولة فكل منهم له فيها
على قدر منصبه وحاله فوسعهم دار اباديما والتكنياوي لان
كل منهما تحت يده اثنا عشر ملكا لكل ملك منهم عمل مستقل
ويسمون ذلك الملك شرتاي فاباديا يحكم على التاموزخنة
والتكنياوي يحكم على دار الزغاوة والبرقي وما ولاها و اباوما و ايسا
الكامنة يحكم على اربع مملوك من الساليط وفورك ابا يحكم على
اربع مملوك من الكركريت والارندلن وهو وجه السلطان
يحكم على اربع مملوك من بلاد البرقد والاب الشيخ يحكم على
اربع مملوك ايضا ووركة ابا يحكم على ملكين وهذه البلاد غير بلاد
الامنا والاشراف والفقهاء العظام والقضاة وليس للسلطان
بلاد خالصة له الابيوت ابائه واجداده مثل قرلي وريلو وتند
وغيرها ومحل حكم الاب الشيخ من ابي الجدول الى الجنوب حتى ياخذ
ايضا قطعة عظيمة من بلاد البرقد والامنا يحكمون على جهة مرة
واما السلاطين الصغار فان كل سلطان منهم يحكم على بلاد جماعة
كالبرقو والبيمة والتنجور والداجو والبيقو والزغاوة وهؤلاء
السلاطين لهم اقطاع يتعيشون منها وان كانت المملكة لها
حاكم غيره فمثلا سلطان زغاوة حاكم على جماعته مع انه في دار

التكنياوى لكن له اقطاع من زمن اجداده لا يتعرض لها التكنياوى
وبقية البلاد ياخذ التكنياوى خيراتها وهكذا الغيرة من ^{طين} السلاطين
الصغار وبقية الاقاليم غير الستة المذكورة حكماها ملوك واما
عرض دارفور فانه من الخلا الكائن بينه وبين دار صليح اى دار
وآدائى الى اخر الطوبىينة اى لاول الخلا الكائن بينه وبين كرد قال
نحو ثمانية عشر يوما وهذا الاقليم نصفه سهل ارض مرملة قليلا
الاخره من الشرق فانه كثير من الرمل ولذلك يسمى بالقوز
واما اراضى جبل مرّة فهى طين اسود وهو جبل ينشق دار الفور
من اولها الى اخرها حتى قيل انه متصل بالمقطم المطل على القاهرة
لكنه ليس قطعة واحدة بل هو متقطع من عدة اماكن وله طرق
عديدة وفي هذا الجبل اهم وعالم لا يحصى كثرة وفيهم القبيلة المعروفة
بالكنجارة التى ينسب اليها سلطان دارفور وفي هذا الجبل
كهوف عديدة تحبس فيها اولاد الملوك واخرون لمحبس الوزراء
وفيه من الخيرات شئ كثير وذلك ان فيه من البقر والغنم ما لا
يوجد في غيره من الاماكن ومن العجيب ان جميع مواشئهم
ترعى وحدها بدون راع ولا ينشون عليها سارقا ولا سبعا
ذئبا ولقد استاذنت السلطان محمد فضل الله في التوجه

الجبيل مرة للفرجة فتوقفوا أولاً في الاذن خوفاً على من غائلة اهل
الجبيل ثم اذن لي وعين معي خذاً ما وكتب لي فرماناً الى جميع عمال
الجبيل يقول فيه من حضرة السلطان الاعظم والخاقان
الكرم سلطان العرب والعجم الواثق بعناية الملك العدل الصبور
السلطان محمد فضل المنصور الى جميع ملوك جبيل مرة اما بعد
فان السيد الشريف محمد التونسي بن الشريف العلامة السيد
عمر التونسي التمس منا اذنا في ان يرى الجبل وما فيه ويختبر ظاهرة
وخافية وقد اذناه بذلك فلا يمنع من محل يريد النظر اليه وأمر
كل ملك نزل به ان يكرمه ويعظم ملقاؤه وقد اصحبته بفلقناوين
من خواص فلا قنتي ليكونا واسطة بينكم وبينه وتبليغ الكلام
ونيل المرام والسلام فتوجهت محبة الفلقناوين وعبدين
لي ورجل من اهل البلدة التي انا فيها فسا فرنا يومين وفي اليوم
الثالث اتينا اطراف الجبل فنزلنا في بلد يقال لها ثمنية ولها رئيس
يقال له الفقيه ثمزوله ولد يقال له الفقيه محمد واخر يقال له سليمان
فنزلنا في بيت رئيس البلدة وحضر هو واولاده واستقبلونا بصدا
رحب فاخبرناهم بمقصدنا واظهرنا لهم امر السلطان فاهتموا
حينئذ بدثنافي واعظوا ضيافتي فبتنا ليلتنا تلك ومن الغد

توجهوا

توجهوا إلى السوق نعليه وهو سوق يعرف في كل يوم اثنين بحضرة
جميع أهل الجبل رجالا ونساءً يقضون مصالحهم فرأيت أناسا
شديدين السواد حمر العين والاسنان وحين رأوني اجتمعوا
عليّ متحجبين من احمرار لوني واتوا إلى افواجا افواجا لانهم لم
يقع لهم روية عربي قبل ذلك وارادوا قتلي على سبيل الاستهزاء
وكنت اذ ذاك لا اعرف من لغة الفور شيئا فما راعني الا اني رأيت
من معي من النبا اختطفوا سلاحهم وجرده في وجوه القوم حالوا
بيني وبين القوم فسالت عن السبب فقالوا انهم يريدون
الفتك بك فقلت لماذا فقالوا القلة عقولهم لانهم يقولون ان
هذا لم ينضج في بطن امه وبعضهم يقول لو نزلت عليه ذبابة
لا خرجت دمه فقال احدهم اصبروا وانا اطعنه بحربة وانظر ما
مقدار ينزل منه من الدم وحين سمعنا منهم ذلك خفنا عليكم
واحطنا بك ثم ان الجماعة اخرجوني من السوق فتبعني خلق
كثيرون فطردوهم عنى بكل جهد ثم ذهبوا إلى واد هناك فرأيت
فيه نخيلا واشجار موز وبعض اشجار من الليمون ورأيت قدزرا
في ذلك الوادي من البصل والثوم والفلفل الاحمر وهو قرون
صغيرة رفيعة اكبر من حب الشعير بقليل والكمون والكشبرة

والحلبة والقثاء والقرع شي كثير وكان ذلك في ايام الخريف وقد
احمر البلح فقطعوا الى عرجونين من البلح احمر واصفر واهدوا الى
بخسة عسل لمرار نظيرة حسنا وطعما ولذة وبتتاقى الكرم
ضيافة والذعيش ولما اصبح الصبح طلبت التفرج فاخذوا
ودخلنا الاودية فصرنا نقطع واد بعد واد وبين كل وادين
اقل من ميل مسافة وفي كل واد زرع عجيب وما يتدفق على رمل
كالفضة وقد احاط الشجر به سياجا من حافته يتمنى الناظر ان
لا يفارقه فجلسنا على شاطئ الوادي وظل شجرة هناك وذبح
لنا كبش سمين وحيد فاكلنا منه ارادتنا ثم ذهبنا للبلد تحت
الجبل فبتنا فيها في اكرم ضيافة ولما اصبحنا صعدنا الجبل فمكثنا
صاعدين نحو ثلاث ساعات حتى علونا فراينا فيه اماكن كثيرة
وبلاد متفرقة فادخلونا على شيخ الجبل وكان يحسبنا ابابكر وهو
جالس في خلوته فلما دخلنا عليه وجدناه رجلا مسنا قد ناهز
الستين واثرفيه الكبر فسلمنا عليه فرحب بنا واجلسنا
لطيفة هذا الجبل لا يرتفع عنه السحاب في السنة الا اياما قلائل
ولكثرة المطر يزعمون القمح وينبت عندهم قمح لا يوجد نظيرة الا
في بلاد المغرب او في بلاد اوزوتبا لانه حسن جدا وبقية دارفور

لا ينبت عندهم قمح لعدم الارض الصالحة ولعدم الامطار الا ما
قل كارض كُوبِيَّة وكنكابيَّة فانه يزرع فيها القمح ويستقي بماء الابار
حتى يتم نضجه ولزيارة الشيوخ المذكور يوم معلوم من السنة
تذهب اليه الناس من كل جانب ويقول لهم ما يحصل في جميع
العالم من قحط ومطر وحرب وسيلد ورخاء وشدة ومرض وصحة
والناس يعتقدون حقيقة ذلك فاختلق اهل دارفور في ذلك
فن قائل انه من طريق الكشف وان كل من تولى شئنا يكون وليا
وما يقوله للناس من طريق الكشف وهذا قول اهل العلم ومن قائل
ان الجان يخبره بجميع ما يحصل وهو يقول للناس وكلا القولين لا
اعرف صحتهما بل قد تقولت عنه امور كثيرة وحصل عندها اهم
فابرزنا فرمان السلطان وقرآه عليه الفقيه محمد فرحب واكرم
ودعى لنا بطعام ثم ضرب طبلا يقال له التنبل فجاء اناس كثيرون
فانتخب من شبابهم نحو مائة نفر وراس عليهم رجلا من ذوي قرآ^{ته}
يعرف بالشجاعة يقال له الفقيه زيد وامره ان يكون معي هو والجماعة
وان يكونوا على اهبية وحذر من جهال اهل الجبل ثم ركبنا وتوجهنا
الى مكان هناك فيه جبل صغير وهو المسمى مرة وسمى الجبل كله
باسم ذلك المحل فراينا فيه مكانا اشبه بمعد جميع اهل الجبل

يعتقدون تعظيمه ويرون ان حرمة كرامة المساجد فدخلنا فيه
وقد اظلمت شجرة كبيرة بحيث صار لا تراه الشمس فجلسنا فيه
قليلا وراينا فيه خدما لتنظيفه واستقبال النذور من ياتي
بها ثم انتقلنا من ذلك المكان ومشى العسكر امامنا فلحق بنا
عالم كثير نساء ورجالا وجعلوا في مجوبة وتكالبوا وازدحموا على
واراد العسكر تفرقهم فما امكن ذلك حتى قال بعضهم ان
السلطان ارسل لاهل الجبل رجلا لم ينضج في بطن امه ضيافة
لهم فقال بعضهم هو ادمي وقال اخرون هو ليس بادمي بل هو
حيوان مأكول اللحم على هيئة ادمي لانهم ينكرون ان يكون للادمي
لون ابيض او احمر وهؤلاء القوم لا يعرفون من اللغة العربية الا
كلمتي الشهادة ويقولونها مقطعتين مع العجمة القبيحة ولما
عجز من معي من الدفع عنى جاني الفقيه زيد وامر ان استرجعوا
بلثام لا يظهر منه الا الحدقتان فتلثمت واحتاط بي العسكر
وحين راى السودان اني تلثمت اختلط عليهم الامر وسالوا اين
الاحمر قالوا ذهب الى السلطان فانكفوا قليلا وح توجهنا الى
محل الحبس اي الكهوف التي فيها المحبوسون من اولاد الملوك
والوزراء فنعدنا الحرس من الوصول اليها وكاد ان يقع بينهم وبين

جامعتنا شرف تلافى الفقيه زيد الامر واخذ منى الفرمان وذهب
الى رئيس الحرس وقرأه عليه وعند ذلك امتثل وقال ان كان ولا
بد فليات المامور له بالتفرج وحده وجميع من معا يجلس على
بعد حتى يقضى شأنه ويرجع اليهم فجائى واخبرنى بذلك قابيت
ذلك وادركنى خوف عظيم فنأيت عن الدخول الى الكهوف وطلبت
الرجوع فرجعنا ومن غرائب عواندهم ان الرجل لا يتزوج المرأة
حتى يصاحبها مدة وتحمل منه مرة او مرتين وح يقال انها ولود
فيقعد عليها ويجاشرها ومن عواندهم ايضا ان النساء لا
يجبن عن الرجال حتى ان الرجل يدخل دارة فيجد امرأة محتلية مع
اخر فلا يكثرث ولا يغتم الا اذا وجدته عليها ومن طبيعتهم
الجفاء وسوء الخلق خصوصا اذا كانوا سكارى ومن طبيعتهم
ايضا البخل الزائد لا يقرون ضيفا الا اذا كان من ذوى قرابتهم
اولهم به علقه او كان انسانا يخافون منه ومن عواندهم ان
الصبيان والبنات الصغار لا يستترون الا بعد البلوغ ^{فيلبس}
الصبي قميصا وتشد الانثى وسطها بمئزر ويبقى ما زاد عن
السرة الى وجهها بارزا ومن عاداتهم عدم الترفه والتفتن في
الماكل بل كلما وجدوه اكلوه لا يانفون طعاما ما كان او نتنا بل

ربما احبوا اكل الطعام المر واللحم النتن واستحسنوه عن غيره
ومن عاداتهم ان الشباب لهم في كل بلدة رئيس وكذلك النساء
لهن رئيسة فرئيس الرجال يسمى الوزناك ورئيس النساء تسمى
الميرم فاذا كان في الافراح والاعياد والمواسم يجتمع الرئيس اصحابه
ويجلس بهم في محل وتاتي الرئيسة وصواحتها فيجلسن امامهم
على حدة فينفرد الوزناك ويدنون الميرم ويخاطبها بكلام يعبر
هو وهي فتامر الميرم جماعتها ان يتفرقن على جماعة الوزناك
فياخذ كل فتى فتاة ويذهبان الى محل ينامان فيه الى الصباح ولا
عار في ذلك على احد منهن وليعلم ان الرجال في دارفور لا يستقلون
بامر البتة الا الحرب فليس للنساء دخل فيه وتسوى ذلك فهم
والنساء سواء بل اكثر الاشغال واشقها على النساء وللرجال
اختلاط عجيب بهن بالليل والنهار في جميع الاعمال ومن العجب
في اهل جبل مرة انهم لا ياكلون من القمح الذي يزرعونه بل يبيعونه
ويستبدلون بثمنه دخنا وعجب من ذلك غلظ قلوبهم
وجفاوتهم مع انهم ممتزجون بالنساء امتزاجا كليا وهذا
خلاف المشاع على السنة جميع اهل بلاد اورويا من ان الرجال
اذا امتزجوا بالنساء تذهب غلاظة قلوبهم ويكتسبون

الرقعة وحسن الطبع ومن غلاظة طبعم ان الرجل يسافر الفراسخ
العديدة راجلا ويكون معه حمار فيسوقه امامه ولا يركبه وان
سئل يقول ان ركبته ابطأ واما لغتهم فهي لغة فيها حاس
الفاظها تشبه الفاظ اللغة التركية لانهم اذا دعوا النساء يقولون
له كلاً والترك يقولون جال وقول تشبه اللغة التركية ليس
معناه انها متقاربة في المعنى بل وجه التشبه في مجرد الالفاظ
وان اختلف موضوع معنى كل منهما وذلك ان الفور يقولون
للفرس يا مؤرتا وعند الترك هو اسم للبيض والقبج عند الفور
اسمه جتي وعند الترك فعل ماض بمعنى ذهب ولم اسمع
لغة انقص من لغتهم لان العدد بلغتهم ينتهي الى ستة ويكمل
بالعربي فيقولون ديك واحد أو اثان ايس ثلاثة أو كرابعة
أو س خمسة أو صانديك ستة ثم يقولون بالعربي سبعة ثمانية
تسعة ثم يقولون واية وهو لفظ يدل على عشر الأعداد لطيفة
من اعجب ما سمعته يجبل مرة ان الجن ترى مواشيهم التي ترى
في الكلاب دون راع معهم ولقد اخبرني عدة رجال من يظن
صدقها ان الانسان اذا مر بمواشيهم وراى ان لراع لها بما
طمع فاخذ منها شاة او بقرة او غير ذلك فان ذبحها تلتصق بده

بالسكين على منحها ويجز عن فكاكها حتى تاتي ارباب الهاشمية
فيقبضون عليه ويفرمونه ثمها باغلا قيمة بعد اهانتهم له وضربهم
اياه الضرب المولم ولقد تكرر على سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواء
مع اني لا اصدقه وحين كنت في جبل مرة توجهت الى دار رجل
منهم في ثمليته اسال عنه فاريت في داره احد الكن سمعت داخل
الدار صوتا غليظا مرعبا اقتشعر منه جلدى يقول الى اكبأ يعنى
انه ليس هنا وفي ذلك الوقت اردت ان اتقدم واسال ابن ذهب
فمرى انسان وجذبني وقال ارجع فان الذى يخاطبك غير ادمى
فقلت وما هو فقال هذا الحارس الجنى لان لكل انسان منا دارسا
من الجن ويسمى بلغة الفور دأمزوقه فحقت ح ورجعت من حيث
اتيت ولما رجعت من هذه السفارة وتوجهت الى الفانشر
اجتمعت مع الشريف احمد بدوى الذى اخذنى من مصر وذهب
بى الى دار فور فاخبرته القصة فقال صدق واسمعنى اعجب من
ذلك وقال لى يا ولدى اعلم انى كنت فى اول امري اسمع ان
الدمازيق تباع وتشتري ومن اراد منها دأمزوقا يذهب الى
من يعلم ان عنده دمازيق فيشتري منه واحدا بما يرضيه ثم
ياتى بقرعة فيها لبن ويدفعها الى رب المنزل فياخذها ويدخل

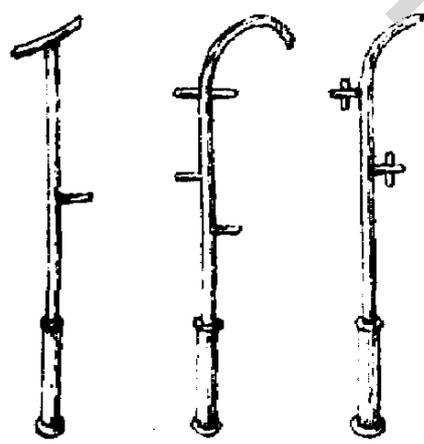
الى المحل الذي هن فيه فيسلم عليهن ويعلق القرعة التي فيها
اللبن في علاقة في البيت ثم يقول لهن ان صاحبي فلانا عنده
مال كثير وخائف عليه من السرقة واراد مني حارسا فهل احدي
منكن تذهب الى دارة لان عنده لبنا كثير وخير اغزيراً وقد اتى
بهذه القرعة مملوءة لبنا فيتمنعن اولاً ويقفن لا احدي يذهب
معه فيتحنن لهن ويتملوق حتى يرضين فيقول من اراد الذهاب
منكن فلينزل في القرعة ويبعد عنهن قليلاً وحين يسمع بصوت
وقوعه في اللبني يغطي القرعة بطبق من سعف وياخذها من علاقتها
مغطاة ويدفعها لصاحبه المشتري فياخذها ويذهب بها
الى دارة ويعلقها في بيته ويوكل بالقرعة جارية او امرأة تاتي كل يوم
على الصباح وتأخذ القرعة وتريق ما فيها من اللبني ويغسلها جيداً
ثم تضع فيها لبناً اخر مخلوباً في ساءته وتعلقها ورح يامن الانسان
على ماله من السرقة والضياع وكنت اكدب ذلك حتى كثر مالي
وصارت العبيد والخدم يسرقونه فاحتلت على منع السرقة
بكل حيلة فلم يمكنني ذلك وشكوت لبعض اصحابي فامرني ان
اشترى دَمْرُوقَةً واني الكُفِيُّ شر السرقة فخذاني حب المال ان
توجهت الى رجل سمعت ان عنده دَمَارِيقٌ وقلت له اعطني

دمزوقة تحرس لمالي واعطيته ما طلبه فقال لي اذهب واملا
قرعة من لبن حليب وهاتها ففعلت واتيته بالقرعة مملوءة لبنا
فاخذها وذهب وبعد ساعة جاني والقرعة مغطاة وقال لي
علقها حيث مالك مخزون وعرفني ما ينبغي ان يفعل كل يوم من
غسل الانية وتجديد اللبن ففعلت ذلك ووكلت جارية بذلك
وامنت على مالي حتى اني كنت اترك بيت مالي مفتوحا ولا يقدر احد
على الوصول اليه وفيه من العين والامتعة شئ كثير وكل من زام اخذ
شئ يغير اذني تكسر رقبتة فقتل لعدة عبيد وعشت امانا على
مالي مدة حتى كبر لي ولد كان اسمه محمد فلما شب واحتلم تعلقت
اماله بالبناات واراد يهاديهن ببعض خرز وحلي فترقب غفلي يوما
واخذ المفاتيح وفتح خزانة الامتعة واراد ان يدخل فكسر الدمزوقة
رقبتة ومات في الحال وكنت احب احبا شديدا فلما اخبرت بموته
جزعت عليه جرعا عظيما وسالت عن سبب ذلك واخبرت انه
اراد ان ياخذ شيا من الامتعة فقتله الدمزوقة فحلفت يمينا
ان الدمزوقة لا تجلس في بيتي وارادت اخراجه فاعجزني وشكوت
لبعض احبابي فانتار علي ان اصنع وليمة واجمع فيها انا ساكثرين
يكون مع كل واحد منهم بندقية وبارود وياتون كلهم دفعة واحدا

يطلقون البنادق ويصيحون بصوت واحد بكلام الفجر دَمْرُوقَةٌ
أَيْبِيَّةٌ ومعناه ابن الشيطان ويكررون الطلق ويرفعون أصواتهم
بذلك حتى يدخلون إلى المحل الذي فيه المال فرماخاف وهرب منه
ففعلت ذلك ففرولله الحمد وخلصت من معاشرته الدمازيق
أي الشياطين ولقد أخبرني عدة رجال أن النقاير التي في بيت
السلطان فيها واحدة تسمى منصوره تمتلكها الشياطين
وانهار بما ضربت بغير ضارب فاذا وقع ذلك يحدث في دار فور امر
عظيم اما حرب عدو لهم او حرب بينهم وسياتي لهذا مزيد توضيح
حين نتكلم على عوائد الملوك واما عوائد القبائل الاخر كالبرقت
والداجو والبيقو والزغاوة والبرقو واليمه وغيرهم فان بعضها
يقرب من عوائد اهل الجبل وبعضها يخالفها اما المخالفة فبعض
هذه القبائل فيه كرم ونجدة ورقة طبع وذلك لمخالطتهم
للغرب اهل البادية وللتجار الذين بذهبون من ارض مصر
وغيرها فتراهم اذا راوا ضيافا اقسوا عليهم واحسنوا
ضياقتهم وان راوا غريبا اكرموه وذلك بخلاف الفجر الاعجام
كاهل جبل مرة وتمرزكة فانهم لا يكرمون الضيف ولا يالفونه
ولا ينزل الضيف عندهم الا قهرا عنهم انتهى

الفصل الثاني في عوايد ملوك الفوس اعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلايق بقدرته وميزهم بحكمته وجعل اختلاف عوايدهم واحوالهم عبرة لاولى الابصار وتذكرة لذوى الاستبصار ليعلم العاقل اذا تأمل في احوال الممالك واختلاف عوايدها واطبايعها المتنوعة وفوايدها ان القادر الخالق الاكبر جعلت قدرته وعظمت ارادته انما نوع احوال هذا العالم وخص كل قوم بمزية لا توجد في غيرهم ليعلم عظيم قهره وحكمته كما انه اذا نظر في اختلاف السننهم والوانهم وزيهم ومعاشنهم علم انها اية كبرى كما قال تعالى ومن اياته مناكم بالليل والنهار واختلاف السننكم والوانكم ثم ان الله جعل لكل اقليم طبيعة فمن الاقاليم الحار ومنها البارد ومنها المتوسط بين الحرارة والبرودة وذلك بحسب قرب الاقليم من خط الاستواء وبعده عنه فسبحانه الفعال لما يريد ولو شاء جعلهم امة واحدة ولكن بالاختلاف تظهر الرزايا وتشتاق النفس الى معرفة ما لم تعرفه ولو لذلك لما ساحت السواح وما بذلت في الاسفار الامول والارواح واذا تقرر ذلك فنقول عادة ملوك الفوس مخالفة لعوايد غيرهم من الملوك وللكم السلطنة التامة عليهم فاذا قتل منهم الوفا لا يسئل لما ذا وان عزل ذا منصب لا

يسئل لماذا فهو تام التصرف في كل امر يريد^ه واذا امر بامر لا ير^ح
 فيه ولو كان منكر الامن قبيل الشفاعة ولا ترد له كلمة لكنه
 اذا فعل ما لا يليق من الظلم والعسف تحصل له بعضا في قلوبهم
 ولا يقدر^{ون} له على شئ فاول عوايدهم ان الملك لا يكون الامن
 بيت الملك اى من سلالته^م ولا يمكن تولية اجنبى منهم ولو شر^{بها}
 وتحقق نسبة عندهم وثانيها ان الملك اذا تولى جلس في بيته
 سبعة ايام لا يامر ولا ينهى ولا تقوم بين يديه دعوة وكلهم على ذلك
 الا السلطان عبد الرحمن فانه خرق عاداتهم كما مر عند الكلام على
 توليته وثالثها ان لهم عجائز تسمى الحبوبيات وهن طائفة عظيمة

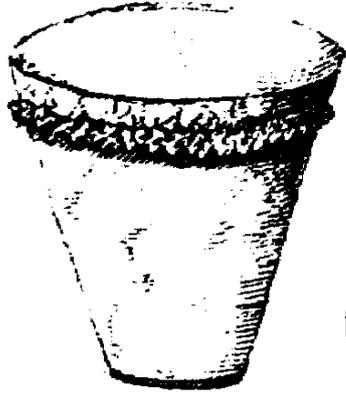


ولهن رئيسة تسمى
 ملكة الحبوبيات فعند
 خروج السلطان يوم الثا^{من}
 يجتمعن وياتن اليه كل واحد
 منهن بيديها اربع قطع من الحديد

تسمى القطعة منها كُرْبَا وصورتها اما هكذا او هكذا او هكذا

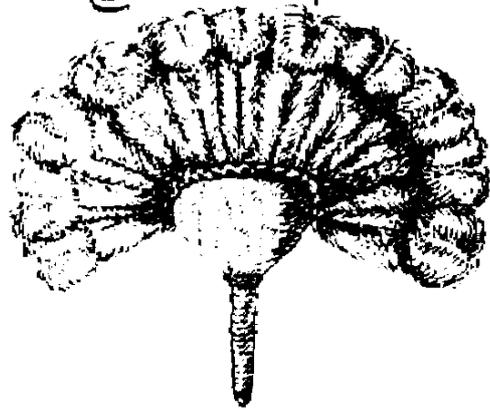
وفي كُرْبَا جان يضربنها على بعضها فيحصل منها صوت وبيد
 احدها من قبضة من رعو ابيض ومعها ماء اختلوا اهل دار فور

فما تركب منه فتبل العجوز السعوم من ذلك الماء وترش به على
السلطان مع قول كلام لا يعقله الاهن وياخذن السلطان
في وسطهن ويطفن به البيت ويتوجهن الى دار النحاس وهو
المحل الذي فيه النقاير وهو طبول السلطان فيدخلن البيت
ويأتين الى النقارية المسماة بالمنصورة فيقفن حلقة ويجعلنها
في الوسط والسلطان وحده معهن ويضربن الكراييج على
بعضها ويقلن من كلامهن ثم يرجعن بالسلطان الى كرسي
ملكته وبعد جلوسه ذلك تدخل اليه دعاوى ويتناول
الاحكام ومن عادتهم ان السلطان لا يسلم على غيره الا بترجمان
صغير كان او كبير اعظيما او حقيرا وكيفية ذلك ان اذا دخل عليه
اناس يجثون على ركبهم ثم يتقدم الترجمان ويسميهم واحدا بعد
واحد الى اخرهم وهو انه يقول انو تور فلان ذوكة كنجي داري
ومعناه ان هنا برا فلان سلام يعطي طاعة فاذا تم اسماء
الجالسين قال كيكيين دقله كركه ومعناه معهم اولاد وراهم
حتى اتباعهم وخدمهم فتقول العبيد الواقفون خلف السلطان
المسمون كوزكوا وقد تقدم ذكرهم دونكراي ذوكة دونكراي
ذوكة ومعناه سلام سلام سلام فان كان في ديوان



حفل ضرب اذ ذاك طبل يقال له
دِقَّار وهو طبل عظيم من خشب
مجلد من جهة واحدة اهراى
الشكل مقلوب هكذا

له صوت عال وان لم يكن ديوانا لا يكون ذلك ثم من شدة
تعظيمهم للسلطان ان السلطان اذا بصق في الارض يسميه
بيده واحد من الخادمين قاعدين امامه متطلعين دائما للسلطان
ولا فعالة والحركات واذا تنحى قالوا كلهم تس تس يعنى يلفظون
بتاء مدغمة في سين من غير حركات يكون اللسان ضاربا للسنخ
العلوى للاسنان واذا عطس لفظوا بحروف لا يلفظ بها الا
الوزغ او من يسوق دابة واذا جلس واطال المجلس روجوا عليه
بمراوح من ريش النعام وان خرج الى الصيد يظللونه بشمسية
واربع مراوح كبار من ريش النعام مغلقات بجوخ احمر وهذه المراوح

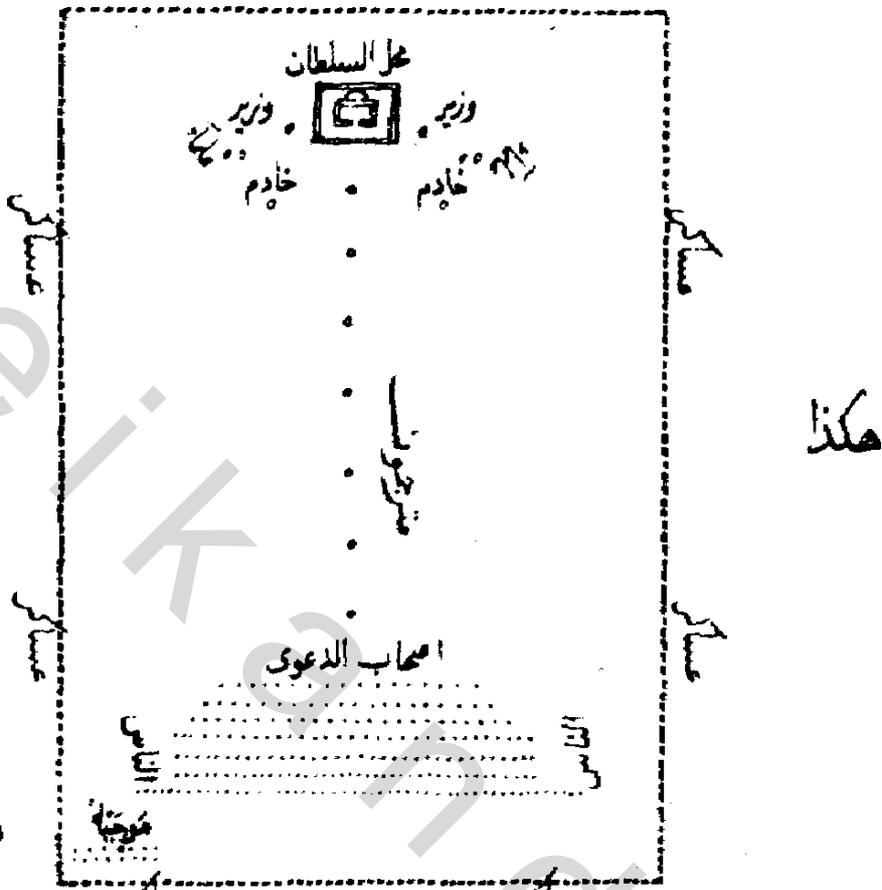


تسمى
بالريش
وصورته
هكذا

فيقفون بالشمسية على راس السلطان ويجعلون المراوح
اثنتين عن اليمين واثنين عن اليسار فيصير على السلطان ظل
واسع وللشمسية المذكورة والريش ملك مخصوص واعوان
يتداولونها نوبة فنوبة ماشيين على اقدامهم ومن عادة السلطان
اذا ركب ان ترفع امامه السجادة ولها ملك مخصوص واعوان
يتداولونها ايضا ومن تعظيم السلطان انه اذا ركض جواده وعشر
الجواد فرماه او وقع من شدة الركض انهم يرمون انفسهم جميعا
من على ظهور الخيل ولا يمكن ان يثبت احد منهم على ظهر
فرسه بعد وقوع السلطان بل ان راي الخدمة احدا
تابتا على ظهر جواده ولم يرم نفسه يرمونه الى الارض ويضربونه
ضربا موملا وان كان عظيما لما يرون ان ثباته احتقارا بامر
السلطان واذا جلس السلطان للحكم في ديوانه لا يكلم
الناس مباشرة بل بواسطة ترجمان ان لم يكن ديوانا عاما
فان كان ديوانا عاما كانت سبعة المترجمون اولهم
عند السلطان واخرهم عند الناس اصحاب الدعوى
والمترجمون في الوسط والعساكر حوله والكوركو خلفه
والعلماء والاشراف جالسون وهيئة ديوانه

هكذا

كُونُكُونًا



هَكَذَا

عَسَاكِرُ عَسَاكِرُ
 والناس جاثون على ركبهم امامه واضعين ايديهم على التراب والمخيطه
 واقفون دائما وسندكر تعريفهم فاذا سلم السلطان عليهم
 مسحوا التراب بايديهم واذا تكلم احد في مجلسه لا يبدأ الكلام
 الا بقوله سلم على سيدنا ان كان عربيا وان كان فوراويا قال
 اباكوري دوشا جني ومعناه ذلك واذا كان السلطان هو المتكلم
 يقول سلم عليه اذا يتكلم بالعربي فالترجمان يقول دوشا جني ايك
 سيدري واذا كان بالفوراوية يقول دوشا جني ان كان عجميا وان

كان عربيا يقول سالم عليه ولا خصوصية لمجلس السلطان
وذلك بل كل مجلس تعمل فيه دعوى يقال ذلك حتى في مجلس القاضي
ومشايخ البلاد ولا يمكن ان تعمل دعوى بغير دوكانجني ويلزم لذلك
ان الكلام يطول وان كان قصيرا للتكرير هذه الكلمة بعد كل كلمة
او كلمتين واذا افتتح احد دعوى بغير ذلك يعيبون عليه ويرون
انه غير متمدن بل اذا كان في مجلس حاكم يؤدب بالزجر ما لم يكن
غريبا فيعذرون ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس وهي عادة لا
توجد في غير دارفور وتجليد النحاس هو تغير جلود الطبول السماء
في اقليم مصر بالنقاير وهذا التجليد يعظمونه ويجعلون له
هوسا في السنة ومدته سبعة ايام وكيفية ذلك ان
السلطان يامر بنزع جلود الطبول كلها في يوم واحد فتخرج ثم
يوتى باثوار خضر اللون فيذبجونها وياخذون من جلودها
ويجلدون بها تلك الطبول لكن اهل دارفور يقولون في ذلك
كلاما لا يقبله عقل العاقل ممارس للكتب ولكنهم مطبقون
على ذلك فانهم يزعمون ان هذه الاثوار من نوع بقر معروف
عندهم وانها حين الذبح تنام وحدها بدون من يمسكها
ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ويقولون ان الجن هو الذي

يمسكها

يمسكها وينبيها ثم ياخذون لحومها ويجعل في خوابي ويترك ستة
ايام مع الملح وفي اليوم السابع ياتون ببقر كثيرة واغنام وتذبح كلها
ويطبخون لحومها وفي حال الطبخ ياخذون اللحم الذي في الخوابي
ويقطعونه قطعاً صغيرة ويجعلون في كل قدر منه قطعاً مخلط
باللحم الجديد ثم تفرق الموائد للملوك واولاد الملوك والوزراء على
حسب طبقاتهم ويتفن على كل مائدة منها حارس من طرف
السلطان ينظر من ياكل ومن لم ياكل فاذا اخبر السلطان بان
فلان لم ياكل امر بالقبض عليه في الحال لانهم يقولون ان من كان
في قلبه خيانة للسلطان او غدر لا يمكن ان ياكل من هذا اللحم
وان تعلل احد بانه مريض او لا يقدر على حضور ارسلت اليه
او اني منه مع حارس امين ينظر هل ياكل او لا فان اوى قبض عليه
الا اذا كان معذورا بقوة مرضه وبعض اهل دار فور يقولون
انه يوتى بغلام وصبية لم يبلغا الحنث ويذبحان سرا ويقطع
لحمهما ويجعل في القدور مع لحم الحيوانات المذبوحة وبعض الناس
يقول لا بد وان يكون اسم الغلام محمدا واسم الصبية فاطمة
وان صح هذا فهو غاية الكفر بالله ورسوله ولكني لم اشاهد
ذلك ولم اقف عليه لاني غريب ولا غراب لا اطلاع لهم على مثل

هذا الامر ايد الكني سمعته من الناس كثيرين يلقفون لي بايمان
مغلظة ان هذا الكلام صحيح لا ريب فيه وقيل اخراج الصغار الخضر
العساكر كلها ويقفون في بطحاء واسعة امام دار السلطان ثم
يخرج السلطان عليهم في زينته وأُبُهته فتعرض عليه الجيوش كل
ملك باتباعه واحد بعد واحد وكيفية العرض ان الملك ياخذ
اتباعه ويركض حتى يصل الى محل السلطان فان كان من العظام
برز السلطان من جماعته الى ملاقاته مقدار خطوتين او ثلاثة وان
كان غير عظيم ثبت السلطان في موضعه فيرجع الملك وجماعته
ويفعل ذلك ثلاث مرات وفي الثالثة يعرضون على السلطان
ثم يرجعون الى محل وقوفهم فيخرج ملك اخر جيشه ويفعل كذلك
وهلم جراً فاذا تم العرض خرج السلطان راكضاً وتتبع الملوك
وذهب اولاً الى اعظمهم ثم الى مثله والى اقل منه فهكذا حتى يمر
عليهم اجمعين جبراً خاطرهم وكلما اتى قوماً صاحوا في وجهه بكلام
يعظمونه به وهو انهم يقولون له بصوت عال برئس حرس السلطان
جنزير الملوك اذآب العاصي فرتاك الجبال بلاد ديوان وغير ذلك
فاذا تم العرض دخل السلطان دارة ودخل وراءه جميع ارباب
المناصب من الوزراء والملوك واولاد السلاطين فيدخل السلطان

الدار النحاس وياخذ قضيبا ويضرب به التقارية المسماة

منصورة ثلاث ضربات والعجايز

الى الجوبات مُحَدَقَات به بايديهن

الكرابيج يضربنها على بعضها كما

تقدم ثم يمشين زوجا زواجا هكذا

والسلطان بين الزوج الاخير حتى

يدخلن بالسلطان الى محل جلوسه

وانا شاهدت ذلك ثم تفرق

الاطعمة كما ذكرنا واذ كان بعض

القواد والوزراء غائبا عن الفانشر في وقت تجليد النحاس ثم جاء

بعد ذلك واتهم بغدر او خيانة يسقى من ماء كيلي وهو ماء ينقع

فيه ثمر شجرة مسماة بكيلي وثمره كالبوز تقول اهل دار فوران

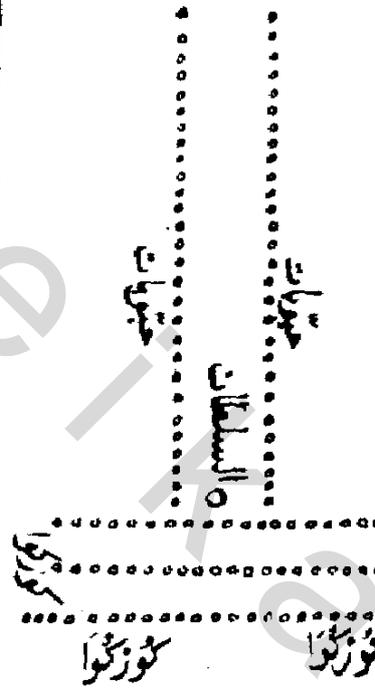
المتهم بشيء اذا شرب منه ان كان بريئا يتقايه في الحال وان

لم يكن بريئا يشرب منه حتى يمتلأ بطنه ولا يتقايه حتى انه ربما شرب

ملى خابية انا شاهدت لكن في شهة سرقة ولعل هذا من خواص

النباتات لان النبات في دار فور له خواص عجيبه سنذكرها بعد

ان ثنا الله تعالى ومن عادة الفوران السلطان له مزرعة معلومة



يزرعها لنفسه في كل سنة وفي يوم بذر الحب فيها بعد الامطار
يخرج في مهرجان عظيم ويخرج معه من البنات الجميلات المتجملات
بالحلي والحلما ينوف عن مائة صبية من محاذية الخاصة حاملات
على رؤوسهن انية فيها المأكول الفاخرة وهذه الاواني تسمى
بالعُمار مفردها عُمرة فيمشين وراء جواد السلطان صحبة العبيد
الصغار الحاملين للحراب المسمين كوركوا واصحاب الصفاير وهذا
يعنون بغناء حال تصفيرهم وكوركوا الحاملون للحراب يعنون معهم
فحين تخرج البنات مع السلطان تغنين معهم ايضا فيبقى لوجوهم صوت
جميل جدا وحين ما يصل السلطان الى المزرعة ينزل عن جواده وياخذ
البذرو ياتي احد عبيده يحفر الارض مسحاة معه ويرمي السلطان
البذرو وهو اول بذريقع في الارض في الجهة التي فيها السلطان
فعند ذلك تتبعه الملوك والوزراء والقواد فيبذرون الحب
ويزرعون المزرعة في اسرع وقت وبعد تمام زرع المزرعة يحضر
الطعام المحمول على رؤوس البنات المذكورة فيوضع امام السلطان
فياكل منه هو ووزراؤه ثم يركب في مهرجانه حتى يصل الى دار ملكه
وهذا اليوم من الايام المشهورة في دارفور **الفصل**
الثالث في مناصب ملوك في الفور

وملابسهم وكيفية مجلس السلطان
وغير ذلك اعلم ان واجب الوجود تقديست ذاته
عن المعين لما كان منفردا بالقدر المطلق والارادة التامة المتصرف
احوج الملوك الى الوزراء والمدبرين والعينين ليعلم عجزهم عن
الاستقلال وتدبير ممالكهم ومصالحهم ولولا ذلك الاحتياج
لطغوا وبغوا اكثر مما هم فيه من الطغيان بل ربما ادعوا الالهوية
التي لا تليق الا بذاته العلية لكن خص كل اقليم بترتيب وتنظيم
فلهذا تجد اسما مناصب الوزراء الخلفا كانت معايرة لاسماء
مناصب وزراء الملوك الآن واسماء مناصب وزراء ملوك هذا
الزمن متخالفة ايضا ففي مملكة آل عثمان اسماء المناصب
الوزير الاعظم والكُتُخْدَا والخازندار والسلاح دار والمهردار والديوت
دار وخوجه دار وسربواين وقابجي باشي وغير ذلك من تتوحي
باشي وشريتجي باشي وقهوجي باشي وقفطان اغاسي وبشكير اغاسي
وباشنات وامراء الالوية وامراء الالايات واما اهل دار فوير فانهم
لتعظيمهم للسلطان لم ينتبهوا الا الى جسر السلطان فسموا
المناصب باسماء اعضائه فاول مناصبهم اُورُونْدُولُوك وهو
منصب عظيم القدر صاحبه يكتنر براس السلطان ولهذا

المنصب اقطاع عظيمة وبلاد وصاحبه لا يسلم عليه الا بدو كارا
دوگا وترفع السجادة امامه كالسلطان وصاحب هذا المنصب
اذا كان السلطان مسافر اوقانصا وظيفته ان يمشي بعساكرة
امام الجيش كله لا يسبقه احد وثانيها منصب الكامنه وهو
في العظم والجلالة اعلا من ارونْدُولوك ويكنى عنه برقبه السلطان
لكن من عادة الفور ان السلطان اذا قتل في الحرب وسلم
الكامنه حتى يرجع الى محل الامن يقتلونه لكن يخنقونه سرا ويورون
غيره للسلطان المتولى واذا مات السلطان على فراشه لا يقتل
الكامنه وهذا الكامنه يسمى بلغة العجم الفور ابا فوري ومعناه
ابو الفور ولصاحب هذا المنصب اقطاع جليله وعساكر
كثيرة ويفعل مثلما يفعل السلطان ووظيفته ان يمشي خلف
جيش ارونْدُولوك وثالثها ابا اوماك وهو قرين الكامنه في كل
شيء وهو كناية عن فقرات ظهر السلطان ووظيفته ان يمشي
خلف الجيوش بجيش لا يعقبه احد وان اعقب الجيش عدو فيه
كفاية لدفعه والذب عن الجيش حتى يدرك ويمد بالجيوش
ورابعها ابا ديمما وهو اعظم من تقدم جلاله وابنه وعساكرا
ويحكم على اثني عشر ملكا من ملوك الفور وله اقليم واسع يسمى

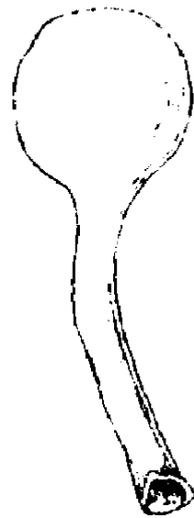
تموركه وله جميع ما للسلطان من العتارات والأبته ما عدا
النحاس فان طبله دِنقار وهو كناية عن ساعد السلطان
اليمن ووظيفته ان يمشي هو وعساكرة عن يمين السلطان
وخامسها منصب التكنياوى وهو قرين اباديا في كل شئ
وهو كناية عن الساعد الايسر للسلطان ويحكم على اثني عشر
ملكا ايضا من ملوك الجهة الشمالية وله اقليم واسع وسادسها
منصب الاب الشيخ وهو اعلام من جميع ما ذكر ولا فرق بينه
وبين السلطان واومره تنفذ على جميع من ذكر وغيرهم وله
اقطاعات جليلة واطليم واسع وصاحب هذا المنصب مطوق
السيوف يقتل بغير اذن وجميع اهل المملكة تحت يده وهو كناية
عن عجيبة السلطان وقد تقدم بعض ذلك في حديث الاب الشيخ
محدكراً وسابعها مناصب الأمانة وهي اربعة كل واحد منهم
يدعى امينا واصحاب هذه المناصب لها اقطاع وعساكر وليس
لها من عتارات الملك شئ وهؤلاء الاربعة ملازمون لمجلس
السلطان وثامنها مناصب الكوريات وهي مناصب جليلة
القدر الا انها اقل من مناصب الأمانة ومناصب الكوريات
اربعة ايضا وتاسعها منصب سؤمندقلة وصاحبه

عظيم القدر ذو ابهة عظيمة واقطاع واموال وافرة ويليه منصب
كوكوا واعلام من هذين منصب ورتباية وهو منصب جليل
عظيم من عادة ملوك الفوران صاحب هذا المنصب لا يكون
الاخصيا لانه ينال منصب الابوة بعد موت الشيخ وتقدم
لنا ان منصب الاب لا يتولاه الاخصى وصاحب هذا المنصب
يحكم على جميع الخصيان الموكلين بحريم السلطان وهو ايضا صاحب
غضب السلطان وتحت يده الحبس فكلما غضب السلطان
على انسان اعطاه له فيسجنه في سجنه وتحت يده عساكر
كثيرة ومعنى ورتباية بالفوراوية باب الحريم وصاحب هذا
المنصب تحت امر الاب الشيخ ويليه منصب ملك ورايية
ومعناه ملك باب الرجال ولكل بيت من بيوت الملوك والوزراء
بابان احدهما للرجال والثاني للنساء فباب الرجال يسمى ورايية
وباب النساء يسمى ورتباية ويليهما منصب ملك العبيدية
وهو منصب جليل القدر صاحبه يحكم على جميع عبيد السلطان
الخارجين عن دارة الذين في البلاد بنسائهم واولادهم وكذلك
تحت يده مواشي السلطان وآلات السفر من خيم وقرب
وغير ذلك ويليه منصب ملك القوارين اي المكاسين وهو

منصب جليل صاحبه يحكم على جميع المكاسين وجميع الجلابة
وله اقطاع وعساكر عظيمة واعلامه منصب ملك الجبابرة
وصاحبه في ابهة عظيمة ومُلك كبير وهو ملك الجبابرة اي الذين
يجنون الغلال من البلاد ومعنى الجباية انهم ياخذون عشر ما
يخرج من الحبوب ويجعلونها في مطامير لاحتياج السلطان
وبعد ذلك ملوك كثيرة فحكام الاقاليم عندهم يسمون الشترائي
واحدة شترتاي وحكام القبائل يسمون دمالج واحدة دمالج
ولكل من الشترائي عساكر كثيرة ولكل من الدمالج اعوان وهؤلاء
خلاف السلاطين الصغار الذين ذكرناهم سابقا ثم اعلم ان
جميع من ذكر من ارباب المناصب لا يعطيهم السلطان
راتبا ولا مرتب لهم عنده بل كل ذي منصب له اقطاع ياخذ
منها اموالا وما ياخذه من الامول يشتري به خيلا وسلاحا
ودروعا ولبوسا ويفرقها في العساكر وكيفية ما ياخذه هو
ان زكاة الحبوب كلها للسلطان كزكاة الماشية فلا يبالون
منها شيئا وانما لكل ملك منهم افدنة كثيرة يزرعها دخنا وذر
وسمسما وفولا وقطنا تزرعها الرعايا وتخصدها وتدرسها
له قهر اعليهم وله الهامل وهو الضال من رقيق وبقر وغنم

وحير يبيعونها له وياخذ ثمنها وله التقادم وهي الهدايا التي
يقدمونها له حين التولية والقدم على البلاد وله الخطية وهي
في عرفهم اموال يدفعها الجاني للحاكم ويسمى عندهم بالحكم اذا
شج انسان اخر يوخذ من الثناج مال ويدفع للحاكم واذا اُخبل
رجل امرأة في الحرام يوخذ من كل منهما مال على قدر حالها ايضا
وله الدم وهو في عرفهم اذا قتل قتيل وودي يشارك الحاكم
اقرب القتل في الدية سواء كانت دية العمد او دية الخطاء
وذلك خلاف المظالم التي ياخذونها بغير حق وخلق الاعمال
الشاقة التي يكلفونهم بها لانهم يبنون لهم بيوتهم وسخروا لهم
وجميع اعمالهم ومن مناصب الفور ملك الموجبة وانما
اخرناه لطول الكلام عليه وغرابتة وغرابة المنصب وغرابة
افعال اهله وهو عندهم ادنى المناصب واقلها رتبة لكن
الكلام عليه يحتاج الى تمهيد وهو ان صاحب الحكمة الأزلية
والسلطنة الابدية واهب العقل وماخ الفضل وهب لكل
انسان عقلا يميز به الخير ليتبعه من المكروه ليحذره واودع
في كل انسان حب راي نفسه وعقله بحيث يرى ان عقله اتم
من عقل غيره ورايه احسن من راي غيره الا من بصره الله بعبوبه

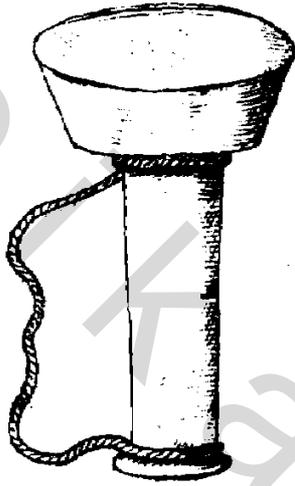
وعلمه عجز نفسه عن تدبير جلب مصالحها ودفع مضارها
 وإذا تقر ذلك فنقول من طبيعة بلاد الفور الميل إلى اللهب والاشتداد
 واللعب والطرب يستتفزهم أدنى مطرب فتراهم لا تخلو أوقاتهم
 عن مطرب ملوكا كانوا أو سوقة ولذلك استحضروا جميع ما
 يمكنهم من آلات الطرب فتجد كل ملك له غلمان صغار حسان
 الأصوات وهم المسمون كوريكوا ومعهم صفاير يصفرون بها
 صغيرا هو في نفس الأمر غناء مع حسن أصوات الصفاير
 وحسن أصوات الغلمان فيسمع من جميع ذلك صوت
 حسن وكيفية ذلك أن الملك إن كان عنده من الغلمان
 عشرة مثلا يكون منهم أرباب الصفاير اثنين أو ثلاثة والرابع



بيده قرعة جافة خاوية الباطن
 مستطيلة أحد طرفيها غليظ
 والطرف الثاني رقيق يقبض عليه
 باليد صورتها هكذا
 فيجعلون فيها بعض حصبا
 ويقبضها القلام بشرط أن

يكون فيها منسدا بالقار ويهرها فيسمع للحصى فيها

صوت يوفق على اصوات الصفاير والستة الباقون يغنون
وربما اخرج السلطان بعض جواريه مزينات حاملات لاوان
من الاطعمة للسلطان ماشيات خلفه صحبة العلمات



فيغنين مع العلمات والصفاير
وربما زادوا معهم طبلا من خشب
مستطيل كالطبلة المسماة في
عرف مصر بالذرا بكة ويسمى عندهم
تِجْلُ وصورته هكذا
وله علاقة كما في الصورة فيدخل
الضارب يده من العلاقة ويضع

العلاقة على كتفه ويصير الطبل تحت ابطه ويضرب عليه بكلتا
يديه نقرات محكمة على صوت الصفاير وما يغنونه يكون
بلسان الفور ولهم معلمون يعلمونهم التصفير والغناء والضرب
على الطبل المذكور والمنشأة الذين يمشون امامه وبين يديه يغنون
غناء وحدهم وكيفية ذلك انهم يكونوا كراديس كراديس يغني
من كل كر دوس واحد والباقي يرد عليه بصوت عال ولذلك اذا
ركب السلطان تضرب الطبول وتغني جميع الناس مشاة وركباناً

فيسمع لذلك ضجة عظيمة مع اصوات الصفاير وغناء الغلمان
 يخشى الانسان على سمعه منه لقوته وهذه الصفاير تسمى
 طير الصعيد وذلك ان بيلاذ صعيدهم طيور لها اصوات حسنة
 فاخترعوا هذه الصفاير على شكل اصواتها وينضم لتلك الاصوات
 اصوات الموجية وهذا اللفظ في لغة الفور يطلق على الواحد وجمع
 وهم طايفة عظيمة لها ملك مخصوص وهو في عرف الفور كالمخلوق
 او المسخرة في عرف اهل مصر او كالسوتري في عرف الترك لكن
 الموجية يخالف ما ذكر لانه يتولى قتل من يامر السلطان بقتله
 وصفة الموجية ان يلبس على راسه عصا بها صفيحة من
 حديد مستديرة الشكل مع التجويز وفي العصا المذكورة
 قطعة من حديد ايضا كالسما معلقة بخيط محررة على التجويز
 الذي في الصفيحة بحيث اذا هز راسه تضرب التجويز المذكور



ويسمع لها رنة عليه واعلا
 منهما في العصا ريشة او
 ريشتان من ريش النعام
 وصورتها هكذا
 وعلى الطرطور ودع وخرز معلق

ايضا وفي رجله اليمنى خنخالان من الحديد وفي اليسرى خنخال



واحد وتحت ابطه جراب صغير مستطيل

اذا حل عصابته وطرطوره يضعهما فيه

وببده عصي معوج اعلاها هكذا

معلق فيه جلاجل فيقوين يدي السلطان

من الموجية اثنان او ثلاثة ان كان

السلطان وديوانه وان كان في

سفر او قصر مشي امامه اربعة او خمسة وكل منهم يعني يد

ويقول كلاما مضحكا يضحك منه سامعه ويحاكي نباح الكلب

وصوت الهر وعناوة بكلام الفور لا بالعربي وليس في رقصه

تكسر بل يهز راسه يمناه ويسرة ويضرب احدى ساقيه

بالاخرى فترن الحديد التي في العصابة على راسه وترن الخنخال

التي في ساقيه واذا كان السلطان مسافرا او قاصلا يغنون

بل يصيحون جميعا صيحة واحدة بقوة اصواتهم يقولون يا يا

وهكذا مادام السلطان راكبا ولا خصوصية في ذلك

للسلطان بل كل ملك من ملوك الفور الكبار له موجية يقف

امامه وديوانه ويمشي قدما في سفره والموجية لا يخشون

باس السلطان ولا غضبه ولهم جراءة عظيمة على السلطان
فمن دونه لا يكتنون السلطان امر بحيث انهم اذا سمعوا امرا
فضليعا يقولونه في محفله وينسبون الكلام لقائله حقيرا
كان او جليلا لا يخافون لومة لائم واذا اراد السلطان اشاعة
امر او اعلان حكم امر الموجيه ان ينادى به فينادى به الموجيه
بعد المغرب وقبل العشاء نداء يسمعه الخاص والعام ومما اتفق
ان السلطان عبد الرحمن كان يحب العلماء ويكثر الجلوس معهم
في ليله ونهاره وقلمما يجلس مجلسا الا ومعه عالم او اثنان
فاغتاظ الوزراء منه وقالوا كيف يتركنا ويجلس مع هؤلاء
لكن ان مات هذا السلطان لانول علينا بعده رجلا يقرأ ابدا
فسمع ذلك احد الموجيه فامهلهم حتى جلس السلطان في
ديوانه وحضر اوليك الوزراء فجاء الموجيه وقال بلسان الغور
كلاما معناه نحن ما بقينا نولي علينا من يعرف القراءة والكتابة
فالتفت اليه السلطان وقال لم ذلك قال لانك تترك الوزراء
وتجلس مع العلماء فاغتاظ السلطان لذلك ونظر اليه نظرة
الغضب فخاف الموجيه ان يسطو عليه فقال ما ذنبنا سمعت
هولاء و اشار الى الوزراء يقولون ذلك فقلته فالتفت السلطان

اليهم ووجههم على ذلك و اراد القبض عليهم فاخلصوا منه الا
بجهد و مشقة قلت و الجاهلون لاهل العلم اعداء و من
ذلك ما حكاه لي بعض الثقة بدار فوران السلطان تيراب السالف
الذكر صنع وليمة لامر نسيتها و حين حضر الطعام تتبعه لينظر
اي الطعام احسن فجاء الى طعام صنعته اياكري كنانة و كشرغنه
فاجبه فامر به للعلماء فابت عليه و قالت انا عندك بهذه
المنزلة تعطي طعامي للمشايع و طعام غيري للوزراء و الملوك فقال
انما امرت به للمشايع لحسنه و ليحصل لك ببركتهم فقالت دع
طعامي تاكله الوزراء و الملوك و لا حاجة لي ببركتهم فقال لا ياكله غير
العلماء فقالت لا و حياتك لا تاكله العلماء و غلبت عليه حتى
ارسله للملوك و اختار من طعام غيرها للعلماء و طائفة الموحية
من افقر اهل دار فوران لانهم ليس لهم حرفة الا السؤال فانهم دائما
يقصدون الامراء و يتكفنون الناس و تخاف الامراء منهم و يكرمونهم
لانهم لا يكتبون حديثا ان احسن اليهم احد اثنوا عليه و اشاعوا
الذكر بكرمه و ان احرمهم احد ذموا و اشاعوا ذمه فهم في ذلك
كالشعراء من اعطاهم مدحوة و من منعهم هجوة و من مناصب
الفور منصب اياكري و قد اسلفنا ذكره و منصب الحبوبات و قد

ذكرناه ايضا وان كان للسلطان المتولم فلها منصب وان كان
جدة فلها منصب ايضا لكن هذان المنصبان ليسا مقررين
بليطران عند وجودهما ولقد رايت ام السلطان محمد فضل وهي
جارية وخشنا لوبيعت في دار فور لما كانت تتساوى عشرة من
الفرانسى ورايت جدته وهي عجوز وخشنا من اقبح ما يرى في عجائز
السودان وكانت ناقصة العقل ومن نقص عقلها كانت تجلس
على كرسي وتجلسها الرجال على عناتهم للسفر البعيد ومعها من
العساكر خلق كثير ووشى اليها بعض الناس بان اهل دار فور
يقولون ان هذه الخادم قد طغت وبغت فحين سمعت ذلك
جلست في ديوانها واحضرت جميع اتباعها وقالت انا الخادم
الخادم جاب الفضة وجاب الفضة الذهب وقولها انا الخادم
بالحاء المهملة ومرادها الخادم بالمعجمة الا انها لا تقدر على النطق
بالحاء المعجمة لعجزها وهناك مناصب اخر عرضنا عن ذكرها
لحقارتها واما كيفية مجلس السلطان فاعلم ان بيت سلطان
الفور في وسط بلدة المسماة بالفاشر والناحوله ولها جعل
لبيته بابان احدهما وهو الاعظم هو المسمى ورّيديا ومعناه باب
الرجال والثاني هو المسمى ورّيبايا ومعناه باب النساء وفي كل منهما له

مجلس فمجلس ورَّيداً هو الديوان الأكبر وهو بعد ان يدخل
الداخل من الباب الاول وهذا المجلس واسع ولا يجلس فيه
السلطان الا في الايام العظيمة او للاحوال المهمة وقد نذكر ان



بناء الفور كله بقصب الدخن
او المرهَّبَيْب ومحل الديوان
يسمى لِقْدَابَه اورا كُوبَة وصورتها
هي ان يوزن باخشاب ملسا
طويلة في اخر كل خشبة شعبتان

هكذا

فيحفر في الارض حفر امتساوية

العمق ويجعلون الاخشاب

متساوية الصول ويجعلون

الحفر سطورا متقابلة لا يجتل

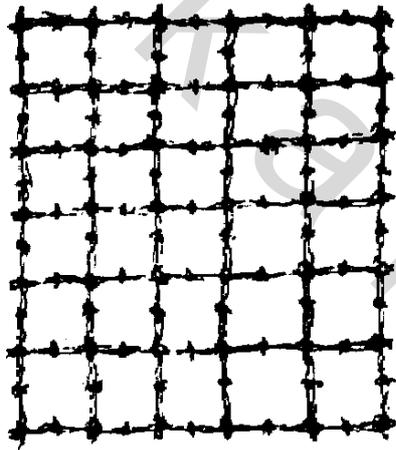
سطر منها من الاخر بحيث

انها تكون هكذا

لكن تكون كلها على نمط واحد

وخط واحد فيدخلون في كل

حفرة خشبية من الاخشاب ويجعلون شعاب كل صو متجهة
 لجهة واحدة ويضعون عليها خشبة طويلة تسمى بلدآيا اى
 يضعونها بين شعاب الصو فاذا كل على تلك الهيئة ياتون بفروع
 رفيعة تسمى مطارق فيجمعون منها كل اربعة او خمسة سواء
 ويربطونها بالحاء الشجر حتى تصير حرمة ويوصلونها بغيرها
 وهكذا حتى تصير طول اللقداية

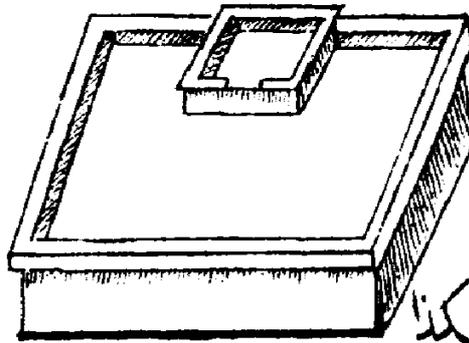


المذكورة ويجعلون من الفروع
 جملة على هذا النمط ويرتبونها
 كلها مربعا واحدا مستطيلا
 في وسطه مربعات فتكون

صورتها هكذا

ويضعونها فوق البلدآيات المذكورة ثم يضعون البوص عليها
 وهو مجعول حرماً ويربطونها مع الفروع بالحاء فينتكون من
 ذلك سقف جميل بالنسبة لبنايتهم ففي ورثته يكون هذا المحل
 واسعا وعلى هذه الصفة عالا السقف بحيث يرتخته الراكب على
 الهجين ولا يمس السقف راسه وكان قبل ذلك داني السقف ولا يمر
 تحته الا الفارس فانفق ان حضر عند السلطان رجلان ممن اتقن

ركوب الابل وادعى كل واحد منهما انه افرس من صاحبه في ركوب
الابل وتشتاجرا ثم اتفورا بينهما على ان يركبا ويمرا ببعيريهما من تحت
اللقدابة فتراهما على ذلك وخرج السلطان والناس من اللقدابة
وركبا وجاؤا ركضين فلما وصلا الى اللقدابة احدهما نقر فصار على
ظهر اللقدابة وترك بعيره وجرى مسرعا فصادف بعيره وهو
خارج من تحت السنقو فركبه ومر سريعا لم يعقه شئ والثاني
حين وصل الى اللقدابة مال الى جانب بعيره ومسكه بيديه حتى
خرج من تحت اللقدابة فكل منهما جاء بشئ غريب فاحسن اليهما
السلطان واعترف الناس لهما بصناعة الركوب وانهما كفر قدي
سماء وشذ بعض فادعى ان الذي ترك بعيره وجرى على ظهر
اللقدابة اصنع وشذ اخرون فادعوا ان الذي مال في جنب
البعير اصنع وحكم له السلطان ومن ذلك الوقت زيد في
علو اللقدابة ثم ان السلطان ان



جلس في هذا الديوان يجلس
في وسطه ولذلك بنوا له فيه
محللا عاليا لكن مركزه اعلا من
جانبيه هكذا

فالمحل العالي المتوسط هو محل جلوس السلطان والذي اقل منه
من جهة اليمين هو محل جلوس العلماء والذي عن يساره هو محل
جلوس الاشراف والفقهاء وعظماء الناس وامامه رحبة واسعة
فاذا اراد السلطان الجلوس لديوان عام او ملاقات بعض رسل
الملوك او يوم فرج وسرور زين محل جلوسه بالزردخانات والمقصود
ووضعوا في المحل المذكور كرسيًا وعليه مرتبة من الحرير فجلس السلطان
في ابتهه وجلس العلماء والفقهاء والاشراف حوله ووقف وزيراه
بين يديه وهما المسميان بالامينين ووقف رئيس تراجمته امامه
قربا منه ووقف التراجم الستة امام الترجمان الاول بين كل
ترجمانين مسافة قليلة بحيث كل ترجمان يسمع من يليه سمعا
جيذا ووقف الكورگوا بالصفاير خلفه وصاحب الدتقار معهم ووقف
عبيد السلطان واصحاب سجنه وعضبه وراء الناس وجلس الناس
الباقيون كل واحد في المحل اللايويه ووقف ملك الموجيه قريبا
من الترجمان الاول وقد انتظم المجلس وقد رسمنا كيفيته في باب
عوائد الفور فراجعه ان شئت واما ان جلس السلطان
في وريبايا فان مجلسه يكون مختصرا وهو اشبه بمجلس سرلان
اللقداية التي جلس فيها صغيرة وح لا يقو امام السلطان الا

ترجمان واحد وموجيه واحد او اثنان وان كثر واقتلاثة والسلطان
قد يكون جانسا واكثر ما يكون جالسا بالليل وقد يكون راكبا
واكثر ما يكون ذلك بالنهار وان جلس ففي محل عال لكنه غير مرتين
ولا فرتش له ح الا سجادة واحدة وبازائها محدة وقد ذكرنا سابقا
ان من العوائد ان السلطان لا يسلم عليه الا بدو كراي دوكاوانه
اذ بصق مسيح التراب الذي بصق عليه في الحال واذا تنحى قالوا
صوتا كصوت الوزغ وبيناه هناك اتم تبين فلا فائدة في الاعادة
هذه كيفية مجلس سلطان الفور واما كيفية مجلس سلطان
الواداي فمختلف فاننا ذكر ان الواداي دائما يجبون السلطان عن
اعين الناس ويشددون في ذلك فلا يتمكن احد من رؤيته
جيدا ولا تجتمع عليه الملوك كما تجتمع على سلطان الفور لانهم
يرون ان عدم اجتماع الناس عليه اهيبله وانفذ لكلمته ولما
كان الامر كذلك وخيف من وقوع ظلم واجحاف رسم ان يجلس
السلطان للمظالم في يوم الاثنين والخميس وجعلوا الجلوسه
ذلك كيفية مخصوصة تقام فيها نواميس الملك وينزجر الظالم
وينتصف المظلوم ورتبوا له مجلسا بحيث يحصل المقصود من
غير اختلاط بالعالم وسند ذكر ان بناء الواداي قديما الفوناء الفور

فإن الغور لا يبنون باللبن الا قليلا وان الرادى اكثر بناهم
باللبن فجعلوا المجلس المعد لذلك عالما يجلس فيه السلطان
مع بعض خواصه في يوم الاثنين والخميس ولا تراه الناس وانما
يعرف جلوسه فيه براية يُرَزُونَهَا من طاق في المجلس الذر هو فيه
وبصوت البردية فهما برزت الراية وضربت البردية وهي طبل
كالكوبة المسماة في مصر بالدربكة لكن صوتها عال شديد
فيسمع الكبرتو فيبوقون بالبوقات ويضربون بالتكل فتسمع
الناس خصوصا وان من كانت له دعوة يترقب ذلك اليوم فيجلس
كلهم في الفاشروان الكماكة دائما جالسون في الفاشر لسماع
الدعوى وان ارباب المناصب والمراتب يترقبون في ذلك اليوم
جلوس السلطان في الديوان فتحضر الترجمة المسمون بختم
الكلام والعقدة والملوك على طبقاتهم ويحضر القاضي واشراف
الناس والعلماء فيجلسون في ظل شجر في الفاشر يسمى ذلك الشجر
بالسيال فتخرجت الراية من الطاق وضربت البردية دخل ختم
الكلام ورق من سلم في داخل البيت وخرج من طاق لمصطبة
معدة لجلوسه بحيث يصير قريبا بسمع السلطان ووقف
هناك واصطفت العساكر وجلس القاضي والعلماء في مراتبهم

وكذلك الاشراف والتجار وجاء من له دعوة رفعها الى السلطان
وذلك بعد ان يقول خشم الكلام السلطان يسلم عليكم يا اهل
الفاشر السلطان يسلم عليك يا قاضي السلطان يسلم عليكم
يا علماء وهكذا كما يفعل في يوم الجمعة ولنرجع الى ما نحن بذكر الفور
فذكر نبذة في صفات تندلتي فاشتر السلطان وفي بيته وصفة كل
منها حسب الامكان فنقول وتندلتي فهي الآن قاعدة مملكة
الفور واول من نزلها وخطها من الملوك السلطان عبد الرحمن
سنة ١٢٠٦ من الهجرة واما صفة ارضها فرملية كاحد الاقواز يشقها
واد بالعرض وهذا الوادي رجل من الوادي الاكبر المسمى الكوع ففي
ايام الحريق يمتلأ ذلك الوادي ماء فلا يعبره عابر الا من محل بعيد
من جهة المشرق وفي وقت نضوب المياه وذلك تارة في آخر الشتاء
وتارة في اول الصيف يجفرون فيه الابار ومنها تشرب اهل الفاشر
كلها والسلطان لحوفه من السمح يشرب منه تارة وتارة ياتون
له بماء من جديد السيل لانه قريب من تندلتي من جهة المشرق
بنحو فرسخ وبناء الفور كله من قصب الدخن وحيطان بيوتهم
الخارجية كلها بالشوك ويسمون الحائط الخارجي زريبة والحائط
الداخلي صريف والبيوت اعني المساكن كلها على هيئة قبة الحيمة

فيكون الصريولها كالطُرْلُكْ لكن البيوت اصناف في البناء بيوت
الساكين وهي مساكن عندهم تسمى بالبيوت وهي من قصب الدخن
وبيوت الامراء والملوك وهي مبنية من الرَهْبِيْبْ كما سندر ذلك

ومنها ما يسمى سَكْنَايَة ومنها ما

يسمى تَكْلَتِي ومنها ما يسمى كُرْنُكْ فاما

السكناية فصورتها هكذا



فهي كقبة الخيمة الا انها طويلة رفيعة

من اعلا وياتون ببيض النعام فيثقبونه

كل بيضة ثقبين من محوريتها ويدخلون

في الثقب عودا فيجعلون في العود ثلاث بيضات او اربعا بينها كرة من فحار

احمر اما اسفل ذلك او اسفل ابريق من

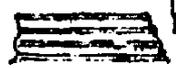
صناعة كيري وينصبونه على قمة القبة

واما التكلتي فهو بيت شكله هكذا



من اعلا نضوكة وقائم على دُرْزُوتَيْنِ واما الكرنك فهو مثله الا انه قائم

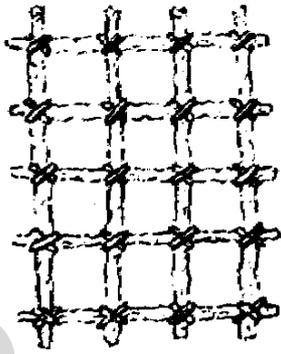
على اربع دُرْزُوتِيَّاتٍ والسلطان يضع ببيض النعام على سكايتيه وتكاليه وكرانكه

ويكسو اعلاها ثيابا احمر وبيضا هكذا  ليتميز بها عن غيره

واسفل دائرة سكنايات السلطان والاياكري والسراري وكبار الدولة

مبنى من الطين واما اعلاها فن المذهب وهو عزيز الوجود هذه
الدائرة تسمى دُرْدُرُ قطرة كقطر الخيمة المعتادة واعلم ان اهل
الفانشر منقسمون الى قسمين احدهما اهل وَرَيْدِيَا والثاني اهل
وَرَيْبَايَا وبيت السلطان بينهما فاهل وريديا يسكنون جهة
باب الرجال المسمى بوريديا واهل وريبايا يسكنون جهة الباب
المسمى وريبايا فزريبة السلطان موضوعة على شفير الوادي في
العلو الكائن هناك فهي شمال الوادي وليس بينها وبينه الاخطوات
قليلة وممتدة الوجهة الشمال مسافة بعيدة وباب الرجال يفتح
جهة الشمال امام الفضاء المسمى بالفانشر وهو متسع عظيم كاد
ان يكون ثلثي دائرة ونذكر الان صفة زريبة السلطان وبيوته
اما الزريبة فهي من شوك الكثير والحشاب ثلاثة صفوف بين
كل صفين جذوع من خشب فيها بعض تفاريع محفور لها والارض
حفر عميقة والشوك من امامها وخلفها كالبنيان المرصوص
علوه اطول من قامته والجذوع بارزة منه وفي كل سنة يجدد ما
حصل فيه خلل وبين الشوك وبين المساكن مسافة
نحو اربعين خطوة ولوريديا اربعة ابواب كل باب عليه بوابون
يتناوبون حفظه والابواب ليست كالبواب المعهودة اعني

انها من الواح الخشب بل
هي اعماد مرتبطة بالقدر النبي
اعني غير المدبوع على هيئة
شباك هكذا



وقد جعل فيه سلسلة من

حديد وكل فجوة باب مجعول وحافتها اعماد كثيرة من
خشب فتجعل السلسلة في اعماد منها ويدخل في
الحلقتين قفل كاقفال الصناديق ومسكن البوابين
قريب من الباب فاذا دخل الداخل في ورئدا يا من
اول باب يجد داخل الباب فضاء واسعا وفي اخره اللقذابة
الكبرى التي هي ديوان السلطان فتكون على يسار الداخل
وقد ذكرناها سابقا ورسمنا صورتها فلا اعادة وعلى
يمين الداخل محل الكوريات وهم في عرفنا سؤاس الخيل
والاصابل قريبة منهم وهي لقذابة طويلة قليلة العرض
مربوط فيها خيول الملك وبعد الاصابل بيت النحاس
وبيوت خدمته قريبة منه والباب الثاني لسؤمند قلعة
والباب الثالث لكوزكوا والباب الرابع للطوانشية وبين

كل يابن فضاء و صريف حاجز وعليه مركب الباب وايضا
داخل الباب الثاني لقداية اخرى يجلس في هذه اللقداية
السلطان مع خواصه و داخل الباب الثالث لقداية
ثالثة صغيرة يجلس فيها السلطان مع خواص خواصه
و داخل الباب الرابع الحرم و الجوار و محل سكنى السلطان
كما سنبينه بالرسم ان شاء الله و اما ورتيبا ف هو
باب يدخل منه الى فضاء طوله اكثر من عرضه و في اخره
لقداية كبيرة تكون مثل ثلث اللقداية الكبرى التي في
و رتيدا و هذه اللقداية عن يسار الداخل و عن يمينه
من بعد ابنية للفلاقة و للبوابين و داخل الباب الثاني
لقداية اخرى اصغر منها يكون فيها السلطان بالليل
مع من يجب من خواصه و عن يسار هذه اللقداية
الباب الثالث و هو كانه في ركن و قد رسمنا هنا
صورة الزرية السلطانية و البيوت كما ترى في الصحيفة
الآتية بعد هذه لانك تعرف ما ذكرناه في ذلك مفصلا
و تكون كانك قد شاهدت ذلك عيانا و هذه الصورة
فيها صفة دار السلطان في الجملة

وأعلم ان اهل الفاتر سواء كانوا اهل وريديا او اهل وريبايا
كل منهم يحافظ على محل سكناء خلفا عن سلف فكل من تولى
منصبا يبنى بيته في محل صاحب المنصب الاول او قريب منه فمن
كان من اهل وريديا لا يسكن في وريبايا وكذلك العكس ولا
خصوصية للاقامة في ذلك لانهم يحافظون على اماكنهم ولو
في السفر فلو انتقل السلطان بعساكرة مسافرا متى ما
نصبت خيمته في بقعة نصب العساكر حسب ذلك
كل منهم في محله المعلوم بحيث لا يكون بين المدينة في الاقامة
وبين المنزلة في السفر فرق الاكبر المنازل واتساع البيوت
واما الجهات فكل منهم يعرف محل البعض فكانهم في المدينة
ومن ذلك ان السلطان ياتي بالليل الى المنزلة فيعرف
محل سكناء من غير سوال وكذا اتباعه كل وزير وامير يعرف
منزله وما ذاك الا من المحافظة على المنازل وفي ذلك فوائد
منها انه لو ارسل السلطان لانسان يطلبه بالليل لا يستل
المرسل احدا بل يعرف ان منزلة فلان في الجهة الفلانية فيذهب
اليه من غير سوال احدي وكذا لو ارسل بعض الوزراء او الملوك
لبعضهم حيث ان المنازل محفوظة لهم لا يتعب رسالهم بل

كل منهم يعرف منزل صاحبه وهذا من اغرب ما يكون واما
زيهم في الملابس فاعلم ان بلادهم في الحرارة بمكان
عظيم ولشدة حرها لا يمكنهم ان يلبسوا الا الثياب الخفيفة
لكن يتفاوتون في ذلك فالاغنياء يلبسون الثياب الرفيعة جدا
بيضا كانت اوسودا واما الفقراء فانهم يلبسون ثياب خشنة
واما السلطان والوزراء والملوك فان كل واحد منهم يلبس
ثوبين كالقمصة رفيعين جدا إما مما يجلب لهم من مصر او
ما يعمل في دارفور لكن ان كانا من البيض فانها يكونان في
غاية من البياض والنظافة وان كانا من السود يكونان نظيفين
ايضا ولا يتميز السلطان عن غيره في ذلك الا بما يلبسه زيادة
على القميصين وذلك انه يضع على راسه كشميرا وهم لا يمكنهم
ذلك والسلطان يتلثم بثاش ابيض يضع على راسه منه
طيات وعلوفه وانفه لثام منه وعلوجبينه ايضا بحيث لا
يظهر منه الا الاحداق لكن اللثام يشارك فيه اوزون ذلك
والكافنه فانها يتلثمان كالسلطان وكذلك السلاطين
الصغار يتلثمون ايضا لكنه يتميز بالسيق المذهب والحجاب
المذهب وبالمظلة ان كان راكبا وبالريش والسروج المذهبة

والركاب

والركاب وعدة الجواد التي لا يمكن سواه ان يجعلها على جواده وان
كان في محل جلوسه لا يتلثم الا هو وحده ومن ذكر لا يمكنهم
ان يتلثموا بحضرتة الا ان كانوا راكبين معه او كان كل منهم
في محل حكه وديوانه وانواع ما تلبسه اهل دار فور الاغنيا من
الملابس من المجلوب الشناش والبفت الإنجليزية والثياب الحرير
في يوم المهرجان كيوم العيد ويوم تجليد النحاس ولهم ملاحف
يتلفعون بها وهي كالملافة التي يتلفع بها في اقليم مصر وهي اما
من الالاجة او من الشناش لكن يكون لها هذب طويل وهذه الملافة
يتوشح بها وتوضع على الصدر والاكتاف واذا حضر لابسها
امام السلطان يشد بها وسطه وذلك من كمال الادب عندهم
وان كان من غير المجلوب فالكلكف وهو ثوب من قطن غزله
رفيع جدا طوله عشرون ذراعا وعرضه ذراع واحد ومتوسطهم
يلبس من المجلوب الشنوترو وهو كناية عن العبك المصبوغ
ازرق ويجلب لهم بعض قماش من المغرب اى من بلاد الودد اى
والبرنو والباقرمه يسمى التيكو والقذاني لكنها غير عريضة
لان عرض الشقة قيراطان لا غير فيتعبون في خياطتها والتيكو
والقذاني المذكوران سود لكن القذاني مع انه اسود يرى ولونه

بعض حجرة فهو ككون رقاب الحمام السود ومن عجيب ما رايته
وذلك ان لا يسه اذا اتخمت خرجت النخامة من صدره سودا
وذلك ان النيلة تدخل في مسام جسمه حتى تؤثر في صدره
وبالجملة فالغني سلطانا كان او وزيراً او ملكاً يلبس ثوبين
وسراويل وعلى راسه طربوش وباقي الناس لا يلبسون
الا ثوبا واحدا وسراويل وملحفة ان تكن وعلى راسه طاقية
بيضا او سودا واكثرهم يكون راسه عربانا واما نساؤهم
فانهن يلبسن مئزرا في اوساطهن يسمى في عرفهم الفردة
ثم الابكار يلبسن فوطة صغيرة على صدورهن يقال لها الدائرة
وهي لبنات الاعنبا تكون من حرير او الاجة او بفت ولبنات
الفقرات تكون من التكاكي ويربطن في اوساطهن الشرطة
يجعلن فيها الكنا فيس والكنفوس عندهن عبارة عن
منسوج عرضه اربع قراريط طوله نحو من ثلاثة اذرع تاخذه
الواحدة منهن وتدخل طرفه من الامام في الشرط التي في
وسطها وتفوت الطرف الاخرين فحذوها وتشبكه في
الشريط من الخلف وهو كالحفاظ عند نساء المدن في ايام
الحيض الا ان الكنفوس عند نساء الفور لا يلبسنه لاجل الحيض

بل يلبسونه مطلقا واذا تزوجت البكر لبست ازارا كبيرا
يسمى في عرفهم الثوب وهو عبارة عن ملاءة تلتف فيها
المرأة ثم هو على قدر مقامات الناس في الغنى والفقرفنسا
الفقراء اثوابهن من التكاكي والاعنبا من الشوثر او الكلكن
او التيكو او القداني او البفت ولا يكون من حرير ولا من
الاجة واما حلي النساء عندهم فانهن يلبسن الحرام وهو
للاغنيا من الذهب وللمتوسطين من الفضة وللفقراء من
النحاس وهو على نوعين حلقى وشوكى فالحلقى عبارة عن

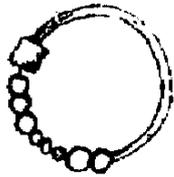
حلقة فيها ثلم وهذا الثلم يجعل



فيه مرجانة وهذه صورته

والشوكى عبارة عن حلقة تصفها

غليظ ونصفها رفيع كالشوكة يجعلن فيه اربع مرجانات
بينها حبة من ذهب او ثلاث حبات احداها ذهب وراس
طرفه الغليظ كحبة مربعة الاسطحة



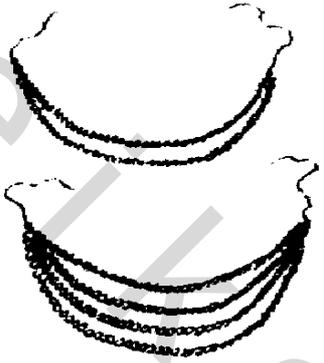
وصورته هكذا

ويلبسن في اذانهن اخراصا كبيرا

من فضة يزن الخرص منهن نصف رطل ولثلاث يضر اذانهن

يربطنه بعلاقة في روسهن تحمل ثقله عن الاذن وهو عبارة
عن حلقة واسعة احد طرفيها شوكي والاخر كالحبة المربعة
الاسطوانية كالحزام ومن لم تجد خرزاما ولا خرصا تسد ثقب
انفها بمرجانه او حبة خرز مستطيلة وتسد ثقب اذنيها
بقطعة من لب بوض الدخن او الذرة او قطعة من خشب
ويجعلن في اجيادهن عقودا من انواع الخرز كالمنصوص وهو
عندهم عبارة عن خرز اصفر من كهرباء وهو نوعان كروي
ومفرطح وتختلف افراد كل منهما في الصغر والكبر والریش وهو
عندهم عبارة عن خرز مستطيل ابيض فيه خطوط حلقيه
ابيض منه وخطوط سمر وهو على انواع احسنها المسمى عندهم
بالسُوميت وكله جامد صلب كانه من رخام يجلب من
الهند وهو خرز رفيع مستطيل كثير الخطوط فيه سمره م
والعقيق هو عبارة عن خرز احمر كروي كله يتفاوت في الكبر
والصغر وهو من عقيق والرجان وهو نوعان نوع يسمى
القَصْر وهو خرز اسطوانى مستطيل قليلا ونوع يسمى
الدُرْدَم وهو خرز كروي ودم الرعاف وهو نوع خرز احمر
داكن منه ما هو اسطوانى ومنه ما هو كروي وهو من رجاء

يجلب من بلاد أوربا والفاو وهو مرجان صناعي كروي
وطويل كله فيعملون من جميع ذلك عقودا ويلبسونها
كل منهن على قدر حالها في اليسار وعدمه فترى منهن
من يكون لها عقد واحد ومن



يكون لها اثنان هكذا
ومن يكون لها ثلاثة واغنان
لا تزيد على اربعة عقود هكذا
ويرتبق الخرز المذكور في هذا ترتيبا

حسنا بحيث يألفه النظر ويميل للابسه القلب ويضعن
على روسهن تمايم من حب نبات يسمى الشوش وهو
حب صغير احمر كالجلنار وفي جانب كل حبة منه نكته سودا
وهذا الحب رويته مفرحة جدا وودع وفول وهذا الفول
عندهم ذو الوان منه ما هو احمر ناصع الحمرة ومنه ما هو تبنى
اللون ومنه ما هو اسود ومنه عسلي فينتقن الشوش
والودع والفول وينظن الشوش وحده تمايم لكن يجعلن
في اسفل كل تيمية اما جللا او ودعة ويجعلنها
عناقيد هكذا



لكن يفصل بين كل تعريجة خرز أزرق ويلبس في
وساطهن خرز اعلى انواع فنساء الاغنياً يلبس خرز كبيراً
مثل الجوز يسمى عندهم رقاد الفاقه ونساء المتوسطين
يلبس المنجور ونساء الفقراء يلبس اما الحرش واما الخدور
وجميع ما ذكر يعمل في الخليل من بحر الشام لكن رقاد الفاقه
املس جدا وهو ما بين اخضر وازرق واصفر ومشاخرة
وهو خرز اسود منقط بنقط بيض والمنجور كذلك والادوا
الالاه اصغر حجماً منه وفيه حروشة وعدم اتقا في صناعته
والحرش في لونها لكنه صغير كحب السبحة مع الحروشة
الكلية وله غضون واما الخدور فانه حب اسطواني وهو
اما احمر او ابيض ويلبس في اذرعتهن عقداً يسمى المدرعة في
المفصل بين الزند والساعده وهو عقد مركب من خرز اسطواني
طول الخرزة من نحو قيراطين وهو اما ابيض او اسود ويسمى
الشوور فينتظن خرزة بيضا وخرزة سودا ويفصل بين
كل خرزتين بحبة اما من المرجان الحرا ومن المرجان الطبخاي
الصناعي او من حب الرعاق وذلك على قدر حالهن في الفقر
والغنا ومن حليهن اللدائى وهو سلك غليظ من الفضة

نصف دائرة في طرفيه اعوجاج كالسنارة فيؤخذ سلك رفيع من
النحاس وينظم فيه منصوص ومرجان وعقيق ويربط طرفاه

في الاعوجاج الذي كالسنارة من

الطرفين فيكون السلك الرفيع وما



هو منضوم فيه كالوتر للقوس ووزنه هكذا

فيجعلن الوتر قريبا من جباههن ويشبكن السلك الغليظ

في شعورهن ويلبسن في ايديهن اساورا من عاج او من قرن

فاذا كانت من قرن سميت بالكيم او من نحاس وبنات الاغنيا

من الفضة والعاج معا وفي ارجلهن الخلاخيل وهي من النحاس

للجميع لكن بنات الفقراء من النحاس الاحمر وبنات الاغنيا من

النحاس المخلوط بالتوتيا فرار من حمرة النحاس المعروفة الى الاصفران

القريب للون الذهب ويجعلن من انواع الخرز الرفيع الملون

عصابة على جباههن وفي ايديهن واما طبيهن فهو السنبل

والمخلب وكعب الطيب وهو المسمى بعرف الفور عرق ام ابيض

لسبب لونه الابيض بشي اسمر واصفر وبعرف مصر عرق

بنفسج بسبب رايحته وختشب الصندل وشي كالمحار

الصغير يقال له الظفر وهو اسمر الى سواد والشثبية والمرسين

وبعض الاكابر يتطيبنون بالجلاد وهو جلد نوافح المسك وغنم
ثم شجر ذكي الرايحة يسمى الدايق وهو حب احمر يميل الى الصفرة
يسحقونه النساء ويخلطونه بطيبهن ومن عاداتهن ان يكحلن
بالاخذ لكن لا يضعن الكحل في اعينهن بل يجعلنه على الاجفان
السفلى والعليا من الخاج فيلتصق عليها بواسطة الدهن
ويكحلن عشاقهن كذلك فترى الشباب والشابات كلها
متكحلة كذلك ومن عاداتهم ان العاشق ياخذ من محبوبته شيئا
من حليها المعروف ويلبسه افتخارا له وتذكارا لاسمها واذا
اصابه منهم او عثر يقول انا اخو فلانة وهي تقول كذلك ايضا
واكثرهم لا غيرة له على عرضه فربما دخل الرجل دارة فوجد امراته
مع غيره فخلوة فلا يعضب ان لم يجده على صدرها واما اذا
دخل ووجد ابنته او اخته مع اجنبي لا يسوءه ذلك بل يماستر
به وذن ان ذلك يكون سببا لزوجها ومن عاداتهم
ان البنات اذا طعن ثديها يفردون لها محلاتبيت فيه
وياتيها من يحبها فيه وتبيت معه ومن ذلك يقع الحبل
باكثر بناتهم ولا عار عليهم في ذلك وولد زنا عندهم
ينسب لحاله وكذلك البنات فالبنات التي تكون من هذا

القبيل يزوجه خالها ويأكل من صداقتها مالا لاسيما ان كانت
جميلة وبالجملة لا يمكن في دار الفوران تمتنع النساء عن الرجال
ولا الرجال عن النساء بل لا يمكن الرجل ان يحرز ابنته تحت كنفه
ولو كان عظيما اما ان كان فقيرا فانه يهاب ويوذى ويرعاقتل من
ذلك ما اتفق ان رجلا كانت له ابنة وكان يغار عليها ولا يرضى
ان يكلمها اجنبى ومن شدة خوفه عليها كان يقهرها على
البيات معه في المحل الذي هو فيه وكانت من الجمال بمكان فكان
الشباب ياتون على عاداتهم الى بيت ابيها فاذا حس بهم
زجرهم ولعنهم وطردهم فلما اعياهم امره احتالوا عليه واخذوا
قرعة مستطيلة قليلا تقرب من الشكل البيضا تنتهي بعنق
وتفحوها من اعلا واخرجوا البها وملئوها غائطا وبولا وحركوها حتى
امتزج ببعضه وتوجهوا الى منزله ليلا ونادوه يا والدنا مژ
فلانة تات لتتحدث معها فقام على عاداته ولعن وسب وزجر
فما فاد ذلك بل قالوا له نحن لا نبرح حتى تخرجها لنا فاعتاضا
منهم وخرج قاصدا طردهم ومن عاداتهم انهم كانوا اذا سمعوا انه
خارج اليهم يفرون منه لهيبته الا في تلك الليلة فانهم ثبتوا
ومسك احداهم القرعة من عنقها وكن له حتى اخرج راسه

من باب البيت فرفع يده بقوة وضرب بها راس الرجل
بالقرعة فانكسرت على راسه وسال الخبث الذي فيها على
راسه وثيابه ووجهه فلما شتم الربيعة الكريهة صاح يشتم
فقالوا له اسكت هذه الليلة فعلنا هذا معك والليلة القابلة
ان عارضتنا قتلناك فايقظ الرجل اهله وجاؤوه بما فاعستل
وتطيب ونام وخاب منهم فلما اصبح افرد لابنته حجرة لنومها
فهراعنه وجرت عليها عاداتهم وان كان غنيا صاحب
حشمة وابهة وعبيد وخدم يتحيلون في الدخول والحریم
بالليل ولوعلى زى النساء ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اكابر
الناس له سبعة اولاد ذكورا وله بنت واحدة وكانت فريدة
حسن وقد خطبها منه اناس كثيرون فابى عليهم فحين
طال الامد على البنت تحيلت وادخلت شابا لطيفا من
الشجاعة بمكان فمكت عندها ما شئ الله ان يمكت
وافتقدته اهله فلم يعرفوا له جهة فاتفق انه اتى بشراب
فنشرب ولما اخذته النشوة طلب الخروج فقالت له البنت
أصبر الى الليل فابى وقال لا اخرج الا الآن وغلب عليها وخرج
وكان ابو هله واخوتها جالسين على باب بيتهم فانشعروا

بالشباب الا وهو خارج فصاح ابوهم على بواب البيت اقفل
الباب فلما قفل الباب امر العبيد بالقبض عليه فاجتمعت
العبيد ليقبضوا عليه فخرج منهم اناسا وامتنع عليهم فخرج
الاولاد السبعة مجردين السلاح عليه قاصدين قتله
فناشدهم الله الا ابعدوا عنه وتركوه ان يمضي الى سبيله فابوا
وتراموا عليه ففر منهم ورماهم بالحرا ب فقتل واحدا منهم
فكبر عليهم ذلك ورموه بالسلاح يرومون قتله فصار
يذب عن نفسه ويرميهم حتى قتل من الاولاد ستة وجرح
السابع جرحا خفيفا فحين راي والدهم ذلك نادى يا غلام
افتح له الباب ففتح له وخرج ولم يكن به جرح ولم يعرف من هو
لانه كان متنقبا وكانت ابنته سبيا فخراب بيته وقتل
اولاده ووقايح كثيرة من هذا القبيل تذهب الدماء فيها
هدراً لان البنات التي يكون هذا الامر من شأنها لا تخبر
الناس باسم القاتل ولا من هو بل قصارى امرها اذا سئلت
عن فعل هذا الفعل ان تقول لا اعلم ولا يسلم من هذا الامر
بيت فيه انثى الا اذا كانت وخشا او بها عاهة تنفر الناس عنها
وقد اجتهد السلطان عبد الرحمن في منع ذلك فلم يمكنه ذلك

حتى انه جعل في السوق خصيانا كثيرين يمنعون النساء من
مخاطبة الرجال والاختلاط بهم فاحتالوا في ذلك حيلة عجيبة
منها ان الرجل كان ير بالبنث التي تعجبه فيقول لها يا بنية
ماله راسك شين مثل ديك السوكتاية وماله اعني لاي
سبب وشين يعرفهم غير جميل فتقول هي وبنو السوكتاية
الشين المثل راسي وبنو بعني واين هو فيقول ديك اى
ذلك وينعتها لها باصبعه فتعرفها وبعد النساء تذهب
اليه فتبيت عنده ولم ينفع الحرس بشئ كما انه اجتهد في
منع شرب الخمر لما امكنه واحتالت الناس حيلة عظيمة
حتى كانوا ياتون لبيوت الخمارين ويشترون منهم الخمر
ويورون لمن يراهم انهم يشترون خبزا فكانوا يقولون
بلغتهم تفرؤ باينسا اى خبزكم عند هل اى هل عندكم خبز
فان خافوا ان يكونوا جواسيس طردوهم بقولهم اكيبا يعنى
ما عندنا وان عرفوا انهم اغراب يدخلونهم داخل الدار ويعطوهم
ما يريدون وكان السلطان في اثناء ذلك يامر بشتم افواه من
حضر مجلسه من اكابر الدولة وهم اكثر الناس اذ ما ناعلى
الخمر فاستعملوا الازالة الرابحة مضغ فروع شجر يقال له الشغل

فكانوا يشربون كفايتهم ثم يمضغون منه فلا تشتم من افواههم
رايحة الخمر البتة وهذه عوايد ارتكزت في طبائعهم وامتزجت
بدهم ولحمهم فصارت سنة متبعة وان كانت في الاسلام
محرمة ومن عوائدهم ان الرجل اذا تزوج وكان فقيرا ولم يواسوا
اهله الاغنياً وجاء يوم الوليمة يعمد الى مرعى المواشي حتى يجد
ماشية اقرب الناس اليه فيعقر منها ما يكفيه لوليمته ثوراً
او ثورين او بعير ان كان صاحب ابل وان لم يكن شئ من ذلك
ذبح اكباشا على قدر كفايته فان فطن رب المال له ومنعه قبل
العقر بما قاتله الا ان يغلب وان شخ وطلبه للقاضي يلزمه
القيمة في دفعها له على التدرج ان لم يكن متيسر الحال ومن
عادتهم ان الغلام اذا اختتن يجتمع عليه في ثالث يوم مختنه
الى سابع يوم جميع علمان البلد وغيرهم ممن له بهم قرابة ومعرفة
وياخذون السفاريك ويخرجون في بلادهم والبلاد القريبة منها
فلا يرون دجاجة الاقتلوا وان قدروا على ضبطها بالحياة
اخذوها حتى يجتمع عندهم دجاج كثير ولا يقدر احد من الناس
يعارضهم في ذلك وكل من عارضهم ضربوه وهم صغار لا تقام
عليهم شريعة ومن عادتهم ختن البنات لكنهم في ذلك على

اقسام فمنهم من لا يرى ذلك ابدا وهم اعجام الغور ومنهم من
يخفض خفضا خفيفا كعادة اهل مصر وهم اكابر الناس ومنهم
من ينهك الخفاض حتى يلتحم الحبل ببعضه ويجعلون لسلك
البول ماسورة من صفيح وهولاء اذا زوجوا ابنتهم لا يقدر
الرجل على اقتضاها حتى يشقون له الحبل بالموسى وهناك
نساء لهذا المعنى وفي وقت الولادة كذلك ايضا وهولاء
اكثر بنات الفقرا المنهكات مع الرجال دائما ويفعلون ذلك
خوف الافتضاض بالزنا ومع ذلك يقع الحبل فيهن وهن على
تلك الحالة وفي خفاض البنات يعملون افراحا عظيمة ويولون
الولائم العظيمة ومن عادتهم ان اقارب البنت المخفوضة من
الرجال يقفون خارج الحبل الذي تخفض فيه البنت والنساء يكن
عندها فان صوتت وقت الخفاض وصاحت لعنوها وتركوها
وان صبرت وهبها كل من اقاربها على قدر حاله وقرابته فمنهم
من يهب لها بقرة ومنهم من يهب بقرات ومنهم من يهب
لها رقيقا ومنهم من يهب لها شاة او شيئا لها حتى تصير
من حبات الثروة وابوها وامها يهبان لها اكثر من جميع
الناس ان كانوا اغنياً ومن عادتهم ان يثقلوا مهور البنات

فربما تزوجت البنت الوسيمة من الفقراء بعشرين بقرة وجارية
وعبد فياخذ الاب والام جميع ذلك ويعقدون العقد على حذعة
من البقر ولذلك يفرحون بولادة الاناث اكثر من ولادة الذكور
ويقولون ان الانثى تملأ الزريبة خيرا والذكر يخربها ومن عادتهم ان
البنت اذا تزوجت تمكث بعد الدخول بها في بيت ابيها سنة
او سنتين ولا يمكن خروجها لبيت زوجها الا بعد جهد جهيد
والنفقة في تلك المدة على ابيها وما يات به الرجل في تلك المدة
يكون على سبيل الهدية ومن عادتهم ان الرجل اذا خطب بنتا
وكان قبل ذلك له اختلاط بابيها وامها وكانت لها اختلاط بابيه
وامه ايضا تذهب تلك المخالطة بمجرد الخطبة ويستوحش
كل منهم فبعد ذلك اذا راي الرجل ابا البنت المخطوبة او امها يفر
من الطريق التي هو عليها وهما كذلك وكذلك البنت تفر مهارات
اباة او امه وفي اثنا ذلك اذا دخل الرجل البيت يرسل السلام لام
البنت اما مع البنت او اختها او جارية في البيت ونحو ذلك
وهي ترسل له السلام ايضا ولا يتلاقيان ولا يزلون كذلك
حتى يبنى بها فعند سابع يوم من البناء يخرج ويقبل راس حماة
وحماته ويجمع عليهما وكذلك البنت ومن عادتهم ان كلا من

الزوج والزوجة يرى اقارب زوجه كاقاربه فيحترم الرجل حياه
 ويخاطبه يا ابني وام امراته يخاطبها بامي واختها باختي وهي
 كذلك ويرون ذلك من الكد المحقوق عليهم **فصل**
في اصطلاح تزويج الفوس لما كان المتوحد وذاته
 وصفاته وفعاله غنيا عن الزوج والولد ما انفصل عن احد
 ولا ينفصل عنه احد اذ لا يحتاج لما ذكر الالحادث المسكين الذي
 لا سند له الا الله ولا معين وهو سبحانه وتعالى حي قيوم لا
 تاخذة سنه ولا نوم واحداً احد فرد صمد لم يتخذ صاحبة
 ولا ولد ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له كفوا احد
 خلق ادم ابا البشر من التراب وخلق حواء زوجة من اقصر
 ضلع من الجهة اليسرى على الصواب ولما كان سر خلقه ان
 يكون خليفة في الارض ويملا من نسله طولها والعرض ركب
 فيهما الشهوة البشرية ليحصل التناسل وفق الرادة السنينة
 وكان ادم حين خلقت حواء في سنينة من النوم ولما افاق
 رآها امامه على ترتيب منظوم فوقعته منه موقع الاعجاب
 وقال لها من انت يا اعز الاحباب قالت انا حواء وقد خلقتني
 الله من اجلك يا ادم وقد رذ ذلك من ازل تقادم فقال لها هلم

التي فقالت بل انت تعالني الى فقام ادم اليها فصارت عادة الرجال
الذهاب الى النساء ولما ان جلس معها ومس بيديه جسمها
دبت فيه الشهوة الانسانية و اراد موافقتها كما هو مقتضى
الحيوانية قيل له يا ادم لا تحل حواء الا بصداق وعقد فلاح
ثم ان الله سبحانه وتعالى خطب خطبة نكاحها بكلامه القديم
فقال الحمد لعزقي والعظمة هيبتي والخلق كلهم عبدي وان
أشهدكم يا ملائكتي وسكان سمواتي اني زوجت بديعة فطرق
حواء أمتي لادم خليفتي على صداق ان يستخني ويهتلي فكان
ذلك سنة لا ولادة لكن لما اختلفت الاقاليم واللغات تعددت
القبائل والاصطلاحات كان اصطلاح كل قوم مباينا لاصطلاح
اخرين وان كان العقد والمهر واحدا فمن اصطلاح الفوران
الشببات اناثا وذكرانا ينشون جميعا ففي صغرهم يرعون
الاعنام ولا حجاب بينهم على الدوام فرما اصطب الشبا
والصبية من ذلك الحين وانعدت بينهما المودة التي لا
تبلى على ممر السنين فمتى احبها واحبته ركن اليها وصار يغار
عليها ولا يرضاهما تحدث غيرة وح يرسل اباه او امه او احد
اقاربه فيخطبها فاذا انعقد بينهما الكلام ونفذ على وفق المرام جمعت

الناس للإملاك وحضر الشهود للملاك فيذكرون شروطاً كثيرة
ويطلبون أموالاً غزيرة وكلها يأخذها الأب والأم والمخال أو العم
ويعقدون لها على شيء قليل من ذلك المال الجزيل وكما قد ذكرنا
نبذة من ذلك فلترجع هنالك ثم بعد تمام العقد يتركون الأمر نسياً
منسياً مدة طويلة ثم يجتمعون فيما بينهم ويتشاورون
فينعقد رأيهم على وقت فيه يزفون فان كان العروسات من
ذوى البيوت الفخام والمراتب العظام ابتداً أهلها في تهيئة الذبايح
والشرب قبل العرس بأيام كثيرة ثم يرسلون الرسل إلى أحيابهم من
البلاد ويقولون العرس في اليوم الفلاني المعتاد ويكون قد حضروا
من البرز والنبيذ الأحمر المسمى عندهم بأم بلبل ومن البقر والغنم
ما فيه كفاية فتأتي الناس في اليوم الموعد أفواجا أفواجا وهناك
نساءٌ معهن طبول صغار وكبار كل امرأة معها ثلاثة طبول
اثنتان صغيران وآخر كبير على هيئة الدرنة تضعها تحت
أبطها الأيسر أحدها وهو الكبير من أعلا والاثنتان يحاذيان
أسفل الكبير وتضرب بيدها على الثلاثة ومجموعها يسمى
عندهم الدلوكة وكلما جاءت طائفة خرجت النساء
بالطبول ويضربنها ويقلن كلاماً يمدحنها به منه قولهن

هِيَ بَانِي هِيَ بَنَاتٌ
وَبَنِينَ حَسَّ الْبَنَاتُ
يَاهْرَازِينَ الْقَنَا
أَرَيْتُ مَا يَجِيئُكُمْ فَنَا
عَيْنَ الْحَسُودِ بِالْعَى
يَاهْرَازِينَ الْحَرَابُ
أَرَيْتُ مَا يَجِيئُكُمْ حَرَابُ
عَيْنَ الْحَسُودِ وَالتُّرَابُ

وكما قالت كلما قالت قبل ان تقول غيره هي باني هي بنان وبنين
حس البنان انما هذا الكلام لا يعنى شيئا بالحقيقة وكنت مرة جئت
الى عرس فتعرضت لى امرأة وقالت

الشَّرِيحُ جَاءَ مِنَ الْمَسِيدِ
الْكِتَابُ فِي إِيدِ
وَالسَّيْفُ فِي إِيدِ
وَمَنْ قَبْلُ جَيْبِ
الْبِرِّ قَدْ عَيْبِ

وكنت احفظ من كلامهن كثيرا نسيتنه فخرج اصحاب العرس

ويتلقون القادمين وكل طائفة تاق رجال ونساء فيجعلون كل
طائفة في محل وياتون لهم بالطعمة والاشربة على حسب مقامهم
فمنهم ياتونهم بالعصائد والزر المسمى في مصر بالبوزة واللحم السليق
والشوى ومنهم من ياتون له بالفطير والشراب الاحمر الذي كالنبيذ
المسمى عندهم بأم بلبل وان حضرهم جماعة من الفقهاء اتوم بالعصائد
واللحوم والسوتيا وتسمى عندهم ديزا يا تم يقيلون في اماكنهم
حتى يبرد الحر ويعظم الفى فتخرج الشابات من النساء صفوفا
صفوفا وكل من النساء يقابله صف من الشبات وتخرج النساء
التي معهن الطبول فيضربن ويقلن من كلامهن فيبرز صف من
صفوف النساء يمشين هونا ويرقصن باكتافهن ويتقاصرن
الى الارض حتى يصلن الى صف الرجال فكل نشابة تعد شبا حتى تضع
وجهها في وجهه وتلهز راسها نحوه حتى تضربه بصفائرها في
وجهه وصفائرها اذ ذاك مدهونة بالطيب وانواع ما يعرفونه
من العطر فيهب الشاب ويهز حرينه على راسها ثم تلتفت
راجعة فيتبعها حتى الى مكانها الاول فيقفو فيه الرجل وترجع
هي القهقرى حتى تصل الى المحل الذي كان واقفا فيه الرجل فتح
من يتأمل يجد صف النساء ثبت في مكان صف الرجال وبالعكس

واذا كان هناك بعض شبان لم يدخلوا في الصف واحداً
الصبايا تريد ان يقابلها واحد منهم تالفه تخرج من الصف
وتذهب اليه راقصة حتى تكب شعرها على انفه فيلهج ويصبح
ويهرج ربه ويخرج وراءها وان لم يخرج كان ملوما وعليه وليمة
للخارجة له وبعد ان يثبت كل صف في مكان الاخر تخرج النساء راقصات
والرجال راقصين وكل منهم مقابل للاخر وكل شابة مقابلة للشباب
حتى يتلاقوا الصفان في وسط المجال وكل شابة تكب راسها في
صدر ووجه الشاب المقابل لها والشباب يهرج ربه على راسها
ويصبح صياح الفرح وهذا الصياح عندهم يسمى الرققة وكثير
النساء والرجال مثل مما شرب ولا يزالون هكذا حتى ياتي الليل
فترجع كل طائفة الى مقرها ويوق لها بالاطعمة والاشربة هذا
ولا يختر ببالك انه ليس عندهم رقص الا هذا النوع وهو يسمى
برقص الدلوكة وهناك رقص اخر يسمى بالجميل واخر يسمى لثقي واخر
يسمى بشكندري ورقص العبيد والاماء يسمى ثوزي ورقص
الفوري يسمى تنذكا وهناك رقص اخر يسمى بنذلة وفي الاعراس
كل اناس يرقصون نوعا من هذه الانواع فالنساء الجميلات بنات
الاكابر يرقصن مع امثالهن من الشبان على الدلوكة واواسط

النساء مع أمثالهن من الشبان يرقصن الجيل ومن دونهم
 يرقصن لنتي فاما رقص الجيل فتقابل فيه النساء مع الرجال يرقصن
 باكتافهن ويضربن بأرجلهن اليمنى على الأرض والرجال كذلك
 لكن في كل حلقة هناك نساء يغنين والناس ترقص على غنائهن
 وفي رقص اللتي بعض النساء يغنين والشابات والشبان يضربن
 بأرجلهم الأرض ويرقص كل منهم برجليه اليمنى واليسرى لكن الشبان
 يكونون كيرامعرو فالهم وأما الشكندري فيجتمع الشبان والشبات
 وكل رجل يأخذ شابة أمامه وتحنى هي ويمسك خصرها بيديه
 حتى يكونوا كلهم كدائرة مسلسلة اعني الانثى تضع يديها على
 حقوى الذكر الذي هو أمامها والذكر يضع يديه على حقوى الانثى
 التي هي أمامه وكلهم منحنيون حتى يكونوا كدائرة تامة ويمشون
 رويدا رويدا مع ضرب أرجلهم في الأرض لاجل يسمع زين خلخالهن
 والبنات التي يغنين خارجات عن الحلقة وأما البندله فهي من
 انواع رقص العبيد وهو ان العبد ياتي بالناجيل المسمى عندهم
 بالدليب ويثقبه وهو ككرة المدفع وينظم منه ثلاثا او
 اربعا فيخيط ويربطها في رجله كالخخال في الرجل اليمنى وكل عبد
 يفعل ذلك وتقو جارية من الجوارى خلفه ويكونون كدائرة ولهم

كثير مخصوص فيخرج العبد منهم لاخر في وسط الدائرة ويتحاول
معه في اللعب وهذا اللعب مبني على القوة وخفة الجسم كما
يلعب البهلوان فبعد ان يتحاولا ملياً يضرب احدهما صاحبه
برجله التي فيها النرجيل فلا يخلو اما ان يوقعه في الارض او لا
فالماهر هو الذي ان ضرب صاحبه اوقعه والباقي يرقص رقصة
لا تكسر فيه وكلهم يردون على الغنيات وهذه الغنيات خارج
عن الحلقة واما التوزي فهو ان عبدا من العبيد يضرب على
طبل كبير والنساء والرجال حوله حلقة وكل رجل واضع يديه على
حقوى امرأة وكل امرأة واضعة يديها على حقوى رجل لكن مع
الانتصاب والاعتدال لامع الانحنا ويمشون رويدا والنساء يضربن
ارجلهن ببعضها لترن الخلاخيل التي في ارجلهن ومشيرهم
كلهم في الدائرة والمغنيات خارج الحلقة واما التندكا فهي لعب
البرقد والفور وهو اشبه بالتوزي وانما الفرق بينهما في
كون ان التوزي يمشون فيه رويدا والتندكا بحركات عنيفة
وبالحقيقة العبارة لا تفي بذلك لان المشاهدة بشي اخر فرما
يرى المشاهد شيئا لا يمكن التعبير عنه ولكل رقص من الارقاص
عنا مخصوص فاما عنا الجيل فمنه قولهم

يُوبَانِي هِيَ يُوْبَانِيْن
الْلَيْلُ بُوِي يَاَلْتَقَالُ
أَنَا رَاسِي إِنْ دَارَ
الْلَيْلُ بُوِي يَاَلْتَقَالُ
أَنَا رَاسِي إِنْ دَارَ

وهذه الكلمات يوباني هي يوبانين لا تعني شيئا لكن واحدة منهن
تتشبه وتقول الليل بوي بالمتقال فتقول النساء الاخر انا راسي
اندار ومنه قولهن

الْلَيْلُ بُوِي
دَارُ فُوْرُ جَفَهْ
أَنَا رَاسِي بُوِي

ومنه قولهن

فُرَيْعُ الْحَايَةِ
سَبَبْتُ الْجَانِيَةَ
وَيَا فُرَيْعَا الصَّنْدَلِ
فِي بُوَيْتِنَا قَامَرِنْدَلِ

واما عناء اللثقي فمنه قولهن

يَا عِيَالُ

جِيبُوا الْمَالَ

نَهِيضُ دَلْدُكَ وَذُبَيْبَةُ

صَبُّوْا دِرِيْرَ الْخَيْلِ فِي كُرْيُوْ

نَهِيضُ دَلْدُكَ وَذُبَيْبَةُ

وَأَمَّا غَنَاءُ التَّنْدِ كَأَعْنَدِ الْفُورِ فَمَنْهُ قَوْلُهُنَّ

بِأَسِي طَاهِرٍ دُقْلَا

بِي لَبَا وَدَوِيْكَ أَبَا

كِتَابٌ مَّحْمُولٌ كَأَحْلَفِيْنِيَا

تَرْيْمُ دَوِيْكَ زَائِلَا

تَارُكَامُ دُوْ صَقْلُ جُوْجِي

ولو تتبعنا غناء أنواع الرقص لطال الحال فبعد ان ياكلوا ويشربوا
يزفون العروس بالدلوكة ويلفون بها حول البلد وياتون بها
للمحل الذي أعد للدخول عليها فيه ثم بعد العشاء بكثير تجتمع
الشباب وياخذون العريس ويزفونه بالغناء والرقرة حتى
ياتون به الى المحل المعلوم فيجلسون خارجه وجميع الشباب
مجتمعة مع العروس والشباب مجموعون عند العريس وقد

استوزر العريس اعز اخوانه لانه ح ك السلطان واستوزرت
العروس امرأة وسموها ميّرم فبعد ان يجلس الرجال مع عريسهم
يطلبون الميّرّم فلا تخرج لهم الا بعد نحو ساعتين فيتقدم لها الوزير
ويسلم عليها بلطف يلتمس منها حضور العروس فتقول لهم من
انتم ومن اين جئتم وما هي العروس التي تريدون فيقول الوزير اما
نحن فضيوف وقد جئنا من بلاد بعيدة ونريد الملكة توانس
ضيوفها فتقول له اما الملكة فمشغولة بشغل عظيم وها انا
وكيلتها وضيافتكم وقراءكم وما يلزم لكم فيقول الوزير نحن نعلم
ان فيك البركة والكفاية لكن لنا معها كلام لا يمكن افشاؤه لغيرها
فتقول له اذا كان كذلك فاذا الملكة وماذا الى لان عاداتها ان لا
تبرز من حجابها ولا تاتي لطلابها الا بجعل فيقول لها المال والارواح
وكل ما طلبته فلا يزال يحاولها وتحاوله حتى يتراضيا وهذا كله
والعروسه قريبه منهم وراستارة لكنها لا تتكلم بشئ والعريس
ايضا ساكت كذلك والمجاورة بين الاثنين فاذا وقع التراضي رفعت
الستارة فتخرج العروس فيقول الوزير اما الملكة فللملك وماذا
لنا نحن فتنادي الميّرّم للبنات التي مع العروس فيحضرن وتقول
لهن ايتهن البنات اريد منكن في هذه الليلة ان توانس

اضيا في الملكة فيقلن لها حبا وكرامة وهي تعلم كل صببية ومحبوبتها
فتقول يا فلانة كوني مع فلان وانت يا فلانة كوني مع فلان وهكذا
حتى لا يبقى الا التي لا محبوب لها او الذي لا محبوب له فياخذ كل
شاب محبوبته ويبيت معها ان وسعهم المحل الذي هم فيه وصورة
ذلك ان يبيت العريس وعروسه والميتم والوزير وكل زوجين
معاصفا او صفين على حسب سعة الموضع وان لم يسع
المحل جمعهم بقي من وسعته المحل مع العروسين وذهب الباقي
فكل شاب منهن ياخذ محبوبته ويتوجه بها الى بيتها او الى بيت
بعض احبابها ولا يذهب بها الى بيته لانها لا ترضى ذلك لان عاداتهم
ان الشاب متى ما احب صببية وعلمت امرها بذلك لا تقابله ابدا
ولا يقابلها واذا رآته في طريق ولم تر لها مخلصا منه بركت في
الارض وسدلت ثوبها على راسها ووجهها حتى يبر وهو كذلك
يفعل يعني ان رآها وعرفها يرجع على عقبه هاربا ان امكانه ذلك
والا ادار وجهه لئلا يحاط او شجرة حتى تمر ثم يرسل لها السلام
ان كان معه احد وكذلك هي تفعل بعد مروره ان لم يكن معه
احد ترسل له السلام ان كان معها احد وهذا كله عندهم
من نوع الحياء والتعظيم وعندهم اهل الزوجة محترمون فامها

كامة بل اشد احتراماً و ابوها كابية بل اشد و اخوتها كاخوته
وهي مثله في ذلك اذارات امه او اباه فرت و سلكت طريقا
غير طريقهما و ترسل السلام او يرسل اليها ولا تواجه احدا منهم
و تعتبر اباه كابيها وهكذا مثل ما ذكرنا في الرجل ولذلك تذهب
مع محبوبها الى محل اخر ولا ترضى ان تذهب معه الى بيته بل
ان ضاقت الاماكن بكثرة الناس و ليس هناك دار سوى
دار ابية لا تذهب معه اليها بل يذهبان الى الخلاء و بيوتان
فيه و اما دار ابية من حيث ان لها محلا معدا لذلك يبيت
معها فيه من ارادت ولا يراها ابراهما فان الرجل يذهب معها
اليه و يخرج عنه الفجر و ابواها ثمان فلا يراه احد منهما و يرجع
الى ما نحن بصدده فنقول ثم يبيتون تلك الليلة فاذا اصبح
الصباح قامت كل صبية و توجهت الى بيت ابويها فتصلح ثيابها
اعني انها تغسل وجهها و اطرافها بل ربما اغتسلت ثم تنظف
و تكحل و تجدد زينتها و كذلك العروس تدخل عند امها فتصلح
ثيابها و كذا الرجال يذهبون الى ديارهم ان كانت قريبة فان
كانت بعيدة كأن كانوا من بلد اخرى يذهب كل منهم الى دار
صاحب له فيصلح ثيابه هناك و كذلك النساء ان كانت

المرأة من بلد اخرى تذهب الى دار حبيبة لها تصالح شانها فيها
لان الشابات اللائي حضرن للعرس مع كل شابة منهن كحلها
وعطرها وما تحتاج اليه فتصالح شانها ويجلسن حتى يقرب الضحى
فتاتي الميرم الى محل الزفاف والعريس غائب عنه اعني عند قيامه
لاصلاح شانها هو الاخر فتقمة وتنظفه وتفرشه وتهي مجالسه
هي وبعض صواحبها فيات العريس فيجدة نظيفا فيجلس هو
ووزيرة وتنهل عليه الشبان فيجلسون معه ثم اصحاب العرس
بالختيار ان شاءوا جعلوا السبعة ايام كلها بالرقص والدلوكة
وان شاءوا اقتصروا على يوم واحد فان ظهر اقتصارهم جلس
الضيوف الى وقت الغذاء وبعد تناولهم الطعام رجع كل منهم
الى بلده ولم يبق الا اهل البلد الذي هم فيه وان لم يروا الاقتصار
وعلموا ان اصحاب العرس يريدون ان يمتد عرسهم الى
السبعة ايام اقاموا ويظهر ذلك بتجدد الذبائح وعصر الخمر
والتهبي تنبيه اعلم ان اهل كل بلد من البلاد الذين دُعوا الى
مثل هذه الوليمة ياتون اما ببقرتين او ثورين او ثور او بقرة او
بشياه اعانة لصاحب الوليمة وان كان لهم اقارب خارجين
عن بلدتهم ودُعوا ياتون باثوار او بقر غير ما تاتي به اهل بلدتهم

اعانة ثم يمكثون نهارهم كله في لعب وضحك وانسراح واكل
وشرب وطيب محادثة الى العصر فتضرب الطبول التي هي
المدلوكات ويفعلون مثل ما فعلوا في اليوم السابق حتى الى الليل
فيأتيهم الطعام والشراب وبعد فراغهم من ذلك يجتمعون رجالا
ونساء في محل الزفاف فيتمحدثون حتى الى نحو نصف الليل ثم ياخذ
كل شاب حبيبته وينبت معها حيث باتا امسهما ويبقون
على ذلك المدة المذكورة واذا اتتوز الامر الى الذبايح بان كان ما
اعد للذبح لم يكن من حضر خراج ابو العروس واخوها او احد اقاربها
او المرعى فكما وجدته من البقر امامه عقير منها ثورا او ثورين او بقرة
او شيئاها وبعد العقير يرسل الجزارين فيذبحون العقير ويأتون
بلحاه الى الضيوف وهكذا فاذا بلغ الخبر صاحب البقر فلا يخلو اما
ان يطلب الثمن فيرضونه او يسكت حتى يبقى له عرس واحد
اقاربه فيعقره الاخر ما يريد من بقر من عقير بقرة ودقة بدقة
ولذلك اذا عمل عرس تخاف ارباب المواشي من العقير فيامرون
رعائهم ان يبعدوا بها في الحلال لانهم لا يعقرون الا امر الاموال
القريبة المرعى وهذه سنة جارية فيهم وفي تلك المدة العروس
كالملكة وصواحباتها معها في لعب وانسراح والعريس كذلك ومن

عادتهم ان العريس لا يفتض عروسه الا بعد السبعة ايام
مع انهما بيتان متعاقبين لاحائل بينهما ويجعلون ذلك كرامة
لها ولا يوبىها لانهم يقولون الليلة الاولى في كرامة ابيها والثانية
في كرامة امها والثالثة في كرامة اخيها ان كان او اختها وهكذا
حتى تتم السبعة ايام ومن استعجل وفض قبل تمام ذلك عيب
عليه وقالوا قد استعجل ولكن من الحال ان يفتضها قبل ثلاث
ليال عجيبه من عواندهم ان المرأة لا تاكل امام زوجها ولا
غيره من الرجال واذا دخل زوجها وهي تاكل قامت وفرت وهذا
عندهم من اكل الحياء ويقعون على المرأة التي تاكل امام الرجل
وحيث كنت هناك ورايت ذلك قلت لهم اشتمى من الاكل مع
الرجل ولا تستمى من النوم معه وانه يدخل بين شعبيها ويروح
فيها ويرى فرجها وما هي عليه قالوا ذلك لا ضرر فيه واما
تفتح فاهها وتدخل فيه الطعام امام الرجل فهذا شئ قبيح اهم
ومن عادتهم ان الرجل لا ياخذ عروسه ويبنى بها في بيته بل في بيت
امها وابيها ولا يخرج معه حتى تلد ولدين او ثلاثة فان طلبها
للنقلة معه قبل ذلك ابت عليه وربما وقع الطلاق بينهما بسبب
ذلك ومن عادتهم انها لا تذكر اسمه على لسانها ابدا دائما

تقول قال كذا وكذا فاذا سئلت من الذي قال تقوله حتى يولد
لها فتى ولد لها قالت ابو فلان او ابو فلانة باسم من يولد ان
كان ذكرا وانثى ومن عادتهم ان الرجل لا ينفق على المرأة بعد الزفاف
الا بعد سنة فان جاء بشيء قبل السنة جاء به على سبيل الهدية
مع انه لا ياكل الا اعز مما ياكلون فيمكن انهم طبخوا شيئا قبيحا لهم
من المأكول الرديئة ويذبحون له دجاجا او حماما او لحما ومن عوايدهم
ان الرجل مدة ما هو في بيت ابى زوجته يصنعون له طعاما جيدا
جدا غير العشاء يتناوله بالليل اما مرة او مرتين او ثلاث ويسمون
الاول بلغة الفور جرى جرآك والثاني تازكا جيسو والثالث
صُبْحُ جَلُو ومراد هر بذك تقويته على الجماع واما اسمه بلغتهم
العربية وورانية واكثر الاغنياء ياكلون بعد اكلهم العشاء لانهم ربما
جاءهم ضيف فلم يتمكن من الشبغ لحياته من الضيف او كان العشاء
غير جيد فلا بد له من ورانية ومعنى قولهم جرى جرآك انزع القميص
فان جرى معناه قميص وجرآك معناه انزع وتازكا جيسو
معناه مسك الرجل فان تازكا معناه رجل وجيسو معناه
مسك و صُبْحُ جَلُو معناه طلوع الفجر واما الورانية فهي عربية
منسوبة لوراء ضد الامام لانه ياكلها وراء العشاء اي بعدما

ياكل العشاء ولهذا تجد بعض الناس اذا كان عنده من غير عليه
من الاخوان وحضر العشاء معه و اراد ان يقوم يمنعه حتى ينقصر
المجلس ثم يدعو خادمه ويقول هل من شئ يوكل فياتيه الخادم بالورقة
فياكلان معا وهذا لا يفعل الا مع اعز الاصدقاء وهذه الورقية
تنفع احيانا للضيف المفاجي بالليل الداجي وهذا كله ان كان عرسا
فان كان ختنا فعلوا ما ذكرناه من استحضار الاطعمة والزرزوم
بلبل والدنزايا ودعو الناس ورقصوا على الدلايلك وزفوا
المطاهر وجاء المزين فحنته وابوه واقف فان بكى المطاهر ففراهه
منه وتركوه ومضوا وان صبر حال الختن ولم يبك قال ابوه اشهدوا
يا اهل المجلس اني اعطيت ولدي بقره او ثورا او عبدا او امة
ما يقدر عليه وقالت امة كذلك وكل من حضر من اهله يهد
له شئيا فان كان اهله اغنيا ناله منهم شئ كثير فيصير غنيا
وذلك كله بحسب غناء اهله وفقيرهم ثم يجتمع اترابه في
ثالث يوم الطهور وياخذون السفاريك ويجوسون خلال
البلد يضربون الدجاج فيقتلون دجا كثيرا وفي رابع يوم
الى اليوم السابع يذهبون الى البلاد المجاورة لهم فلا يرون
دجاجة الا قتلوها وكل يوم يتوجهوا لبلد يقتلون دجاجة

وامحاب الدجاج لا يرون بذلك باسا وان كان خفاضا فعلوا
فيه كل ما ذكرنا الا الدجاج فلا يقتلونه والحفاض لا يتغالون
فيه كالحثان ومما ذكرناه يعلم الواقع على رحلتنا اننا استقصين
جميع ذلك لتمام الفائدة وحسن العائدة واعلم ان اهل دار
فور لا يستقلون بشئ في امورهم بدون النساء بل انهن
تشاركهم في جميع احوالهم الا في الحروب العظيمة ولذلك ان
هن سبل لا يتم الا بهن او حرنا كذلك ولولا هن ما استقام لاهل
دار فور بشئ فترى النساء يحضرن في الامور المهمة ومن ذلك
الادكار وهي على ضربين ضرب يفعله اهل البلاد المستعربون
اعني من ليسوا بعجم وضرب يفعله اعجام الفور فاما الاول فهو ما
كان على طريقة شيخ من الصوفية او ولي من الاولياء وعلى كل
فتحضر حلقة الذكر امرأة تشد لهم والنساء خلفها وقوف
لا يتكلمن بل ينظرن اراجهن واقاربهن ليعلمن ايهم احسن
ذكرا وقد ينشد رجل والنساء يسمعن كبقية الرجال ومن
ذلك ما وقع ان تلميذ الشيخ دفع الله حضر حلقة ذكر تلاميذ
الشيخ يعقوب وبين تلاميذ الشيخين معاندة فلما حى الذكر اذا
احد تلاميذ الشيخ يعقوب ان ينكت على تلميذ الشيخ دفع

الله فقال

الْمَاعِنْدُ وَشَيْخًا فَرَجَابًا
لَا يَدْخُلُ دَرَقَةً وَنَسَبًا
الْمَاعِنْدُ وَشَيْخٌ مَهْيُوبٌ
لَا يَدْخُلُ حَلْقَةً يَعْقُوبُ

فسمع تلميذ الشيخ دفع الله وعلم انه عناءه بذلك فقال

تَدْخُلُ وَيَتْرُقُ مَتَعَا فِي
بِالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ الصَّافِي
دَفَعَ اللَّهُ فَوْقَ طَوَافِي

نادرة حضرت امرأة فحلقة ذكر وانشدت

نُصِفِي لَكُمْ مَرِيئَةَ دُوَانِي
وَأَنَا عَزَبًا بَيْتِي طَرْفَانِي
يَا فَقْرًا مَا فِيكُمْ زَانِي

فسمعا الذكرون وكان فيهم شاب فهم المعنى وكان يقول
الله حتى فصار يقول انا زاني انا زاني واما اعجام الفور فيقفون
في الذكر صفيين او حلقة وكل رجل منهم خلفه صبية والنساء
ينشدت وهدي ذكرون وذكرهم كير من انشادهن قولهن

كُرُو كُرُو بِنِي عَالَمَانَا
صَحَّ لَكَ كُرُو بِنِي جَنَّة
صَحَّ لَكَ كُرُو بِنِي

ومعنى ذلك كُرُو معناها شجرة وكُرُو معناها خضراء وعالمَانَا معناها
ظل العلماء وصَحَّ لَكَ كُرُو بِنِي صحَّ لك كُرُو معناها صحَّ غمشتي إلى الجنة
صحَّ غمشتي إلى الجنة ومعناه ان الشجرة الخضراء ظل العلماء ونحن
ندخل الجنة حقاً ندخل الجنة حقاً ومنه قولهن

جِبْرَائِيلُ مِيكَائِيلُ
كُلُّ سَبَابٍ مَلَكُ الْجَنَّةِ

ومعناه جبرائيل وميكائيل كل حسنة يملك بها للانسان
الجنة ومن قولهن

لِلَّهِ قُوَى لِلَّهِ

شَهْرُ رَمَضَانَ اللَّهُ أَنْدَوَا

كَالْفَارِثِيَّةِ

ومعناه لله يا إمام الله شهر رمضان دواء الله فافرحوا به ام
ومثل هذا كثير لو تتبعنا لخرجنا إلى الأسهاب وجلبنا الملل الأولى
الالباب وفيما ذكرناه كفاية لكن من حيث اننا تكلمنا في التزويج وما

يتعلق به عن لنا اننا نذكر نبذة في حجاب النساء وهم المسمون
في مصر بالطواشية و باغوات الحریم وبالتركية قزل اغال لانهم
امنا على الحریم ونقول **فصل في الخصية المعروفين**
في مصر بالطواشية لما كان الحق سبحانه وتعالى

غير راغبي عبادة ومخاربه منتقما من تعدا حد و دة بارتكاب
مآثمه وكانت الغيرة وصفا من اوصافه ولذا حرم الظلم على
نفسه وخلافه جعل الغيرة مركوزة في طباع بني ادم من زمن
سلف وتقدم واول من غار قابيل على اخته اقليما لما امر ادم ان
يزوجها من هابيل ويزوجه من اخته ذميا فكانت من الغيرة من
امرهما ما كان وقتل قابيل اخاه كما ورد بنص القران بل قد يوجد
الغيرة في غير بني ادم من الحيوانات فيغير الحيوان على انثاه وتحصل
المعاركات سيما والنساء اكثر شبقا وعلما ولا مروءة تمنعن
ولا همة وكان بعض الناس بلغ في الغيرة اعلاها وارتقى الى
منتهاها حتى ان بعضهم لا يرون النساء الا كالآماء ومنهم
من هو كثير الغيرة حتى من الاخوات والابناء بل منهم من بالغ في
الغيرة فصار يغار عليهن من الليل والنهار ومنهم من يغار من
عيون النرجسان تراه كما قال الشاعر

عَفَى جَفُونِكَ يَا عِيُونَ الرَّجَسِ مِنْكَ اسْتَحْيَتْ بِأَقْبَلِ مَوَاسِي
نَامَ الْحَبِيبُ تَدَبَّلَتْ وَجَنَاتُهُ وَعِيُونَكَ شَوْخَصْلٌ لَمْ تَنْعَسِ
وبالغ بعضهم حتى انه غار على المحبوب من نفسه ومن المحبوب ومن
الزمان والمكان كما قال الشاعر

من الكامل

اغار عليك من عيني وميتي ومنك ومن مكانك والزمان
ولو اوتى وضعتك وجفوني الى يوم القيامة ما كفاني
ومثله قوله

من الهزج

فلو اُنسى على تلقى مصرًا لقلت مُعَذِّبِي بِاللَّهِ رَدَّنِي
وَلَا تَسْمَحْ بِوَضْعِكَ لِي فَأَنِّي اغارُ عَلَيْكَ مِنْكَ فَكَيْفَ مِنِّي

من الهزج

وارتقى بعضهم الى اعلا المبالغة فغار من الضمير حيث قال
اغار عليه من ضميري فياله هوى رابني حتى اتهمت جوارحي
فتحميل الناس وحراسة الحرم لما عندهم من داء الغيرة المقعد للمقيم
فأروا الحسن من حراسة انسان يكون مقطوع اعضاء التناسل
وهو الذي تطرس اليه النفوس في العاجل والآجل واكثر الناس
احتياجا لذلك الملوك والامراء لان كل واحد منهم يرجع ما قدر عليه
من النساء بلا مرا وما كانت ملوك السودان اكثر الناس للنساء
جمعوا وابدلهم في ذلك وسعًا كان يوجد عند الملك من الخصيان

من الطويل

عدد كثير وجم غفير فيوجد عند سلطان دار الفور نحو الالف او
اكثر وعليهم ملك منهم وهم له كالعساكر وهو الذي يرتب في
بيت السلطان ما يلزم منهم للحراسة ويبقى عنده ما زاد الى وقت
الحاجة والخصيان مكرمون عند الاكابر خصوصا في دار الفور فان
لهم فيها سطوة وارسطوة والكلمة النافذة والقوة ومقام ومقال
وحال لا يماثله حال حتى ان لهم هناك منصبين جليلين لا يتولاها
غير خصي احدهما منصب الابوة والثاني منصب الباب واقول
ان منصب الباب غير مختص بدار الفور بل في تونس وقسطنطينية
كذلك واصل الخصيان الذين في دار فور من بلدروكا يخصونهم
هناك وياتون بهم الى دار فور على سبيل الهدية لكنهم كثيرون
جدا ومنهم من يخصي في دار فور ولقد رايت حين كنت هناك
غلاما حسن الوجه جميل الصورة في نحو الثمانية عشر خصي
في دار فور وسببه انه كان من خدم السلطان محمد فضل
واحبت غلمانه الذين ربوا في البيت وكان له سعد قائم تحبه
النساء لقضا او طارهن غير الحنا وكان اسمه سليمان تيرحسده
اقرانه ونموا عليه عند السلطان فغضب عليه وازاد قتله
فاشار عليه بعض وزرائه بخصيه وقال له من حيث ان الامر

كذلك اقطع ما يوذيك به ولا تقتله لخصاه وعاش واجتمعت
عليه وكان ذا منصب جميل وابهة حسنة الا ان السلطان
كان لا يالفه لصلاحه ولما قيل فيه ولقد سمعت من ثقات انه
احبل امرأة وظهر حملها فسئلت فقالت من سليمان بن سيف فغضب
عليه السلطان وخصاه وبعد ان برى اعطاء المرأة وولدها
وقد ذكرنا سابقا ان الشيخ محمد كرا كان اتهم بما اتهم به سليمان
بن سيف فخصى نفسه بيده دفعا للريب فحظي عند السلطان
وصار ماضيا من امره **فكثرة** مما وقع من عتوهم وتجبرهم
ان اجتمع بعض امراء الفجر في محل التشرع ونزهة وانبساط
وكان فيهم خصي فجعلوا ياكلون ويشربون والخصي كواحد منهم
فاتفق ان واحدا من هؤلاء الامراء معه منديل من حرير فابرزه في
المجلس وقال هل تعلمون لماذا يصلح هذا المنديل فقال احدهم
يصلح لمسح العرق وقال الاخر هو يصلح للتجميل والزينة وقال اخر
هو يصلح لان يجعل على صدر انثى جميلة وطفوق كل واحد يقول
ما بداله وصاحب المنديل يقول لا ولما اعياهم امرأة قيل له قل
لنا انت لماذا يصلح فقال هذا يصلح للمسح بعد الجماع فالتبسوا
قوله وسكتوا فخار اعلم الا ان قام الخصي من بينهم صالئا

سيفه يروم قتل صاحب المنديل وقال له أتعرض لي أو مقطوعاً
لا بد من قتلك فقاموا اليه وتلطفوا به وهو لا يرجع عن قوله
حتى ارضوه بخيولهم كلها وكان الخصى للخليفة ابن السلطان تيراب
الذين اسلفنا ذكرهما ومن عتقهم ان الشيخ محمد أوزدكاش
في ايام السلطان تيراب في منصب الابوة ومن عادة الاب ان
يتوجه لبلادة ومحل حكمه في كل سنة في فصل الربيع ويجمع اهل
البلادة في يوم واحد ويعرض الرجال ويرى العساكر فانفق انة جمعهم
في يوم شديد الحر في رجة واسعة امام داره ولم يخرج لهم حتى
فانت القائلة فخرج في ابته راكبا جواده والعبيد يظلمونه من
حر الشمس ويجلبون له الهوا بالمراوح وخرج العسكر وصفوا
الناس صفوا كدايرة وهو واقف ينظرهم وقد اشتد الحر وام
الناس بالجثي على ركبهم وسلاحهم ودرقهم في ايديهم فكان الانسان
منهم لا يستطيع الجثي لشدة حر الرضا وسال العرق وكثر
القلق ومكث مليا لا يامر بامر ولا ينهى عن شيء وعطش
الناس واخذ منهم حر الشمس اكبر ماخذ وهم صابرون على
ما قضاه الله عليهم حتى مات بعضهم من العطش ولما رأى
قلق العالم وتخيرهم اعجبه ذلك وضحك وقال بلسان الفوس

نَتَوَنُّوْ نَتَوِيَوْمًا عَبَّوْسًا قَطْرِيًّا وَكَرَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَكَانَ
العالم المجتمع في تلك الجدد كأي العرض ما ينوف عن زها عشرين
العاو كان فيهم رجل صالح يقال له الشيخ حسن الكوفي رزوقا
باعلا صوته اسكت يا كافر ثلاثا فاحذره الرعب من الشيخ
المذكور وولي هاربا وورفع الشيخ يديه الى السماء وقال اللهم ارحم
عبادك فاتم كلامه حتى ارتفع السحاب مثل الجبال ونزل المطر وترفق
الناس وكان يوما مشهورا وبسبب غضب الشيخ انه مثل
نفسه بالاله ومثل عرض الناس عليه يعرضهم للحساب ومثل
شدة حر الشمس شدة حر يوم القيامة ولذلك استشهد بقوله
نَتَوِيَوْمًا كَرِيْمًا وَتَبَعْنِي هَذَا وَتَوَبَّعْنِي يَوْمًا وَالباقى هي نص الالية
الكرية فادركه حتى ان الشيخ محمد أورد كما المذكور كان قليل
العقل ومن قلة عقله انه لما تولوا في منصب الأبوّة أمر السلطان
تيراب ان يقرأ ليتعلم القراءة والكتابة فاحضر فقيها يعلمه
فكتب له حروف الهجاء وصار يقرأ عليه في كل يوم واستمر
على ذلك مدة ايام ثم انه ذات يوم طلب المصحف فحسب به له
فتصفحه ونظر في السطور فرأى واوا مفردة فعرفها وقال
للفقيه انماك واو يعني اليس هذه واو فقال الفقيه نعم فقال قد

ختمتُ القران و امر بذيخ الذبايح و ضرب الطبول و صنع
وليه عظيمة فعُدَّت هذه من طيشه و خفة عقله اهم
ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول و مع كثرة الخصيان في دار
السلطان لم يتسلم من الدنس لان النساء شياطين لا يغلبهن
غالب سيما و قد قام عذرهن بداعي كثرتهن و بيت السلطان
وهن في سن الشباب و الراحة و حُسن المأكل و اللبس
فلم تشهوه فيهن نصيب او فرو و لما سجن في هذا السجن
تحيلن على دخول الرجال بكل حيلة فمنهن من تصاحب من
الرجال من الخدمة الذين بالباب و منهم من لها عجائب ياتيها
بالرجال بحيلة و هي ان العجوز تتامل في الفتيان حتى ترى الشاب
الجميل الذي لانبات بعرضيه فتحميل عليه بلطوح حتى تاخذه
الى دارها و من المعلوم ان شبان السودان لا يخلقون
رووسهم بل يوفرونها فتصير الوفرة لهم كشعر النساء
وتجعل وفرته ظفائر كظفائر النساء و تلبسه خليا كحليهن
من عقود و عائم و مدارع و مخجور و تلبسه دراعة و فردة و ثوبا
بحيث لا يشك رائيه انه امرأة و تدخله دار السلطان
بين نساء فتى و ليج ذهب خوفها و سلمته لمن ادخلته برسمها

فيمكث ما شاء الله ان يمكث فان ستر الله عليه خرج كما دخل
وان عثر عليه قتل ولا يعثر عليه الا باسباب منها ان تعلم امره
احدى ضرائرها فتطلبه منها فتأبى هي بخلا به او لا يرضى هو ان
يذهب فح يجلها الغيظ على ان تقتن عليه فيعثر عليه ومنها
ان السلطان يامر بالتفتيش فيحضر الطواشيء كلهم ويفتش
معلم البيوت ومن وجدوه قتلوه ومنها انه يزهرق من طول
المكث فيخرج وحده فيعثر عليه البوابون وهو خارج فيقتلونه
وان ستر الله عليه خرج واغلب من يدخل بالصفة التي ذكرناها
لا يخرج الا بالليل او مع نساء كثيرة وهو في وسطهن ومن العجائز
من يتجمل في خروج النساء من بيت السلطان بان ينكرن
المرأة منهن بثياب مهنة قدرة ويخرجنها امام الناس جهارا
فاذا عثر بها البواب او احد الخصيان قيل له هذه امرأة ^{مهينة}
كانت دخلت معنا تلمس معروفا ومنهن من يدلس
عليها الخصيان وذلك لا يكون الا اذا علم الخصى انه ان عرض
انفتح له مهوى فقتل فيه فح يسكت قهراً عنه وتدخل
المرأة وتخرج وتدخل من شاءت ولم تخش باسا ومن ذلك
ما وقع من بعض محافظي السلطان صابون مع ترقنك محمد

ابن عمها وسند ذكر ذلك في سيرة السلطان صابون سلطان
دار الوداي ان شاء الله تعالى واعلم ان نساء السودان كثيرات
الشبق والغلة اكثر من غيرهن لامور الاول لفرط حرارة الاقليم
الثاني لكثرة محالطتهن للرجال الثالث لعدم صونهن واستقرارهن
في البيوت فمن ذلك ترى المرأة منهن لا تقنع بزوج ولا بخليل واحد
على حد قول الشاعر

ايا من ليس يرضيها خليل ولا الفا خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طام

الرابع لعدم اقتصار ازواجهن عليهن لان الرجال منهم ان كانت ذات
قدرة نكح من الحرار اربعا وتسرى بغيرهن من السراري وكل ذلك
على قدر حاله والنساء شقائق الرجال والنفس واحدة في الشهوة
والطبع خصوصا وعندهن من الغيرة ما لا مزيد عليه فيتحيلن
على الاجتماع بغير زوجهن وياخذ كل منهن في ضروب من الحيل
تتوصل بذلك الى مرغوبها وان كان لا يقدر على التسرى طمح نظرة
الغير امراته فتمت امراته بذلك حداها حادي الغيرة على الاجتماع
بغيره الخامس العادة لانهن من صغرهن قد تعودن الاجتماع
مع اترابهن من الذكور حتى كبرن على ذلك والعادة اذا استحكمت

من البرج

صارت طبعا فلذلك اذا تزوجت لا يمكنها الاقتصار على زوج واحد
الامن رحم الله ومن حيث ان هذا الطبع مركز فيهن يصدر منهن
ما يصدر فلذلك لا يرى منهن من اقتصرت على عملها الا القليل
وكما تقادم الزمن كلما كثر الفساد عندهم فادركه ومن الجرب
في دار فوران النار اذا اشتعلت في دور واشتد وقدها وعجزوا عنه
نادوا هل من طاهرة فتاتي امرأة عجوز لم تزن قط فتخرج كنفوسها
وتشير به للنار فتطغى بإرادة الله تعالى وهذه من مجرباتهم وحين
كنت هناك وقع حريق في بيت جدة السلطان واشتد وحضر
السلطان بنفسه وارباب دولته فما امكنهم اطفاءه ونادي مسادا
السلطان هل من طاهرة وتكرر النداء في البلد فما قدرت امرأة تاتي
لذلك الحريق ومن هنا يعلم انه لا يوجد الآن فيهن طاهرة لكن
سمعت بان ذلك قد يوجد ونساء اعراب باديتهم وامانساء
السودان فقل ان يوجد فيهن طاهرة لان المرأة منهم حيث لا
عقل يردعها ولا خوف يزجرها ولا دين تراعيه تفعل ما ارادت بل قد
تفتخر بكثرة الاصحاب وتقول لو كنت قبيلة ما جاني احد ولولا اني
من الحسن بمكان ما الفنى الرجال وار تكبو من شاني الهموز ومن
العجب ان في بلاد العرب اذا اسنت المرأة او كان لها ولد جليل ذو

شهوة يمنعها ذلك عن ارتكاب الزنا وعن التطلع للرجال إمال علمها
بعدم الرغبة فيها إن كانت مسنة أو لحوقها على مقام ولدها
وجلالة قدره الانسياق السودان فقد حكى لي من هو اعز اصحاب
وصونا الصحبة لا اذكر اسمه ان خال السلطان محمد فضل المسمى محمد
تيتل زوجته اخته وهي أمبوس ام السلطان وعمرها نحو خمس وثلاثين
سنة بامرأة من بيتها وصنعته له مهر جانا عظيما هرع الناس للفرجة
عليه فاخبرني انه كان من جملة المتفرجين قال بيتنا انا واقواذ جاءت
ام السلطان ومعها سرب من النساء كانهن الغزلان وهو تمشى
امامهن وهن خلفها وهم كانت جارية بشعة المنظر مشوهة
المخلق دنية الاصل لانه لا يوجد في سكان دار الفور اذوا اصلا من
البيقر الذين هم منهم فصار كل من الواقفين يتعجب من صنع الله تعالى
ان قدم هذه المرأة مع ما هي عليه من قبح الذات والاصل على من هن
احسن وجها واصلا وذاتا وبها وجمالا قال فدخلت على اخيها
تيتل وكان وقت بنائه بعمره فكثت عنده برهه ثم خرجت قال
فلم نشعر الا برين الملائل والحلى وعبق الطيب فعلمنا انها خاجة
فوقفنا صفا حتى اذا خرجت لم اشعر بها الا وقد قبضت على يدي
وجذبني للذهاب معها فاردت الامتناع وكاني تعاصيت فدفعني

النساء اللاتي خلفها وكرهت ان يبشعر الناس بذلك فمشيت معها
محاذا لها وهي بجانبى قابضة على فلما كنا في اثنا الطريق قالت انا
تعبت مع انه لم يكن بين بيت اخيها وبيتها اكثر من مائة خطوة وقل
بلغني انها قبل اتصالها بالسلطان كانت من اقل الجوارى المبتذلات
للرهنة فكانت تاتي بالماء والحطب على راسها من الخلاء والآن تتعب
من شئ مائة خطوة قال فقلت لها من كثرة ما عانيت في هذا اليوم
قال ثم دخلنا الدار والخصيان واقفون على الباب لا يجترى احد منهم
ان يتكلم وقد عرفوني معها فلما وصلت الحجرتها دخلت فدخلت
معها فاطقت يدي فجلست على فراش هناك وانطرحت هي
على سريرها تتقلب يمنا ويسرة وتهز منجورها بيديها ثم قالت
لي ان يصدعا فقلت لها لا باس عليك قالت فاقرأ لي عليه
لعله يذهب فحئت اليها وقد علمت ان ذلك حيلة منها ^{دها} المقصود
وان الكبير يمنعها ان تقول له هيت لك مع ان جميع من كان معها
من النساء ذهب ولم يبق الا انا وهي وهناك جارية جالسة
خارج الباب ان احتاجت الى شئ دعتهاله قال فلما اكثر من
التقلب ولم ترمني ميلا اليها دعنتي لاقرا على صدعها فحيت
وضعت يدي على صدعها وابتدت القراءة ارتعشت تحت

يدي وصارت تضطرب اضطراب المذبح وتتاوه فشميت منها
راية الطيب فانعشتني واخذني ما ياخذ الرجل من النشاط ففهمت
ان اعلوها فادركني خوف من ابنها السلطان لانه متى وجد مع امه
لحدا قتله وقد تكرر منه ذلك مرارا ويهجم عليها بغير استئذان لكنها
قد رصدت له الناسا يخبرونها بحبيته فان كان عندها احد خيلت
في اخراجه قال وخفت ايضا لاني كنت سمعت انها مصابة بداء
الحصر وهو العبرية عند الحكماء بالسيلان الابيض اعني ان كل من
واقعها ابتلى به سيما وقد شاهدت من مرضه منها قال فحين
ادركني الخوف من هاتين الجهتين برد ما بي قليلا وكانت قد اطلعت
على حالى اولا فلما رات مني الفتور ظننت اني جائع فدعت بجارية لها
اسمها ذراع القادر وقالت لها ائت بطعام جميل فاتت الجارية
بانانين في احدهما حمام مقلو في السمن وفي الاخر فطير بالعسل
وقالت لى كل قال فابيت واعتذرت بانى غير جائع فحلفت على
فتناولت من الطعام واعجبني وكنيت في تلك الليلة محتاجا وبينما
انا اكل اذ سمعت حركات عنيفة وكركبة وجاء الخدم يهرعون ويقولون
ان السلطان قد اتى فقالت خذوا هذا واخرجوه من الباب الثانى
فاخذني الجوار واسرعوا في المشى حتى اخرجوني من الزريبة ومن لطف

الله تعالى ان السلطان لم يدخل عليها من الباب الذي عادته الدخول
 منه بل الى الباب المذكور واقف عليه حرسا ودار حتى اتي للباب الذي
 خرجت منه لاني بمجرد خروجي وانفصال عن الباب رايت نواهي الخيل
 قد اقبلت فوقفنت على بعد اري ما يكون فسمعته يقول للبرابرين
 من خرج الآن من هنا فقالوا لا احد فقال احد الفرسان انا رايت
 انسانا انفصل من هنا واظنه كان هنا فقال جميعهم ما راينا احدا كل
 ذلك وانا واقفا سمع وحمدت الله الذي اخرجني قبل وصولهم
 والا لو وصلوا الى الباب قبل خروجي كنت اول قتيل فحين سمعت
 منه هذه القصة تعجبت غاية العجب وعلمت ان الحضيان لا
 ينفعون الا مع عدم غرض النساء ومتى كان للمرأة غرض لا يقدر
 الحصى ان يصنع شيئا فانظر يا اخي كيف وقعت هذه القصة من هذه
 المرأة مع ابنها ام ملك ولو وقعت من غيرها لكان للكلام فيها مجال
 فكنو بهذه وبالجملة فالنساء لا خير فيهن الا من حفظها الله ورحم
 الله من قال

ففهن من تسوي ثمانين بكرة وفهن من تغلو بجلد حوارة
 وفهن من تاتي الفتى وهو معسر فيصيح وكل الخير في صحت دارة
 وفهن من تاتي الفتى وهو مؤسر فيصبح لم يملك عليك حمارة

من الطويل

وفيهن من لم يستر الله عرضها اذا غاب عنها الزوج راحت لجماعة
فلا رحم الرحمن خائنة النساء واحرق كل الخائبات بنارها
وليعلم ان كل مصيبة تقع اصلها للنساء فكم بسببهن قتلت
ملوك وحربت ممالك وسفكت دماء فهن لنا شياطين على حد قول

الشاعر

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

غريبة مقتضى انهم جعلوا الحميمات لصيانة الحرم عن الرجال ان
الحميمات امناء عليهن من طرف السيد والامر يخالف ذلك فقد رأينا
منهم من عندها عدة نساء يمتنع بهن واول من رايت عنده ذلك
محمد كرام الذي اسلفنا ذكره وحكي من أثقوبه انه لما راى الغلب عليه
وقتل السلطان محمد فضل كان عنده امرأة من اجمل النساء فلجها
بالليل قبل موته لئلا يحظى بها غيره وهذه نهاية الغيرة ورايت
في دار فور وفي الوادي كثير من الحميمات كل منهم حائز نساء عديدة
وسالت من اهل الخبرة ما يصنعون بهن وهم كهن من حيث ان
اعضاء التناسل مفقودة فليلوا انهم يساحقون النساء ويشتد
بهم الحال وقت المساحقة حتى انه يعرض الانثى وقت الانزال اعضا
مولما وكنت اذ ذاك الجهلي بعلم الطب اصدق ذلك لكن الآن لا

اصدقه لان وظيفة العضو قد فقدت بفقده والعلة تدور مع
المعلول وجودا وعدما وكنت سألت اهل الخبرة عن كيفية
الخصي فاخبرني بعضهم انه يوتق بمن يراد الفعل به فيضبط ضبطا
جيذا وتمسك المذاكير وتستاصل بموسى حاد ويوضع في ثقب
مجرى البول انبوبة صغيرة من صفيح لئلا ينسد ويكون قد
سخن السمن على النار تسخيناً جيداً حتى غلي ثم يكوى به محل القطع
وبعد ان يكون محل القطع جرحاً حديداً ينقلب جرحاً نارياً ثم
يُدوى بالتغيير عليه بالتفتيك والاربطة حتى يُشفي او يموت ولا
يشفي منه الا القليل فان قيل ان وهذا تعذيباً للحيوان
الناطق وقطعاً للتناسل المأمور بكثرة شرعاً فهو حرام قلت
نعم قد صرح غير واحد من العلماء بحرمة خصوصاً جلال الدين
السيوطي رحمه الله فانه صرح بالتحريم في كتابه الذي الفه في حرمة
خدمة الخصيان لضرر سيد ولد عدنان لكن الحرمة على
الفاعل وانما يخصى الخصيان قوم من المجوس وياتون بهم الى
بلاد الاسلام فيبيعونهم ويهادون بهم ولا يخصى على يد
المسلمين منهم الا القليل النادر واما استخدامهم بعد الخصي
فلا ضرر فيه بل فيه ثواب عظيم لانهم لو لم يستخدموا لحصل

لهم الضرر من وجهين الاول مما وقع عليهم من الخصى الموجب
لفقد اللذة العظيمة وقطع التناسل والثاني مرضيق المعيشة
فان قيل اذا كان الامر كالمملوك ومن يجري مجراه يجمعون كثيرا من
النساء في دورهم وكلهن شابات ومن المعلوم ان الغيرة موجودة
فيهن كما هي موجودة في الرجال لانهن شقائقهم فكيف يعاشرن
بعضهن خصوصا اذا احب الرجل واحدة منهن وانما امر غيرهما
قلت ان العداوة واقعة بينهن على قدر احوالهن فكل منهن تتنى
ان يخل لها وجه زوجها ولا يالو سواها لكن لما كن تحت قهر
الزوج خصوصا ان كان ملكا يخفين البغضا ويظهرن المودة
وهذه عاداتهن في اخفاء ما يبطن واظهار ضده ولا يظهر ما
اخفت المرأة منهن الا اذا زاد خوفها وملكته رُسدها وح تظهر
ما كان كامنا في صدرها فان قيل ما رتبة نساء السودان في
الجمال قلت اعلم ان نساء السودان على اقسام وذلك ومن
المعلوم ان كل قبيلة يوجد فيها الجميل والقبیح لكن هناك قبائل
يوجد فيها الجمال اكثر واخرى يوجد فيها الشوهة اكثر وقل قبيلة
في دار الفون بالجمال التمزكة لانهم وحشيون اهل جبال وسوء
معاش وكذا الكراكريث وقد ذكرنا سابقا قبيلة البرقي

والميدوب اجمل نساء من غيرهما ويليهما قبيلة البيقو والبرقو
والهيمية والتنجوز واشنوة قبائل الفور نساء اعجام الفور ويليهم
الداجو والبرقدو والمساليط كان في دار الواداي قبيلتي ابي
سنوت وملنقا او منتقا اجمل الواداي نساء ويليهم الكوكه
والهيمية وكشميرة واقبها نساء التاما ويليهما البرقدو والمساليط
والداجو ولا يقدر الانسان ان يستاوي بين جمال اهل السودان
وغيرهم من اهل بلادنا لاختلاف اللون فنبيه اجمل اهل
بلاد السودان عموما من مشرقها لمغربها نساء عفتو ويليهم
باقمة وبرنو وسنار واوسطهم الواداي ويليهم الفور واقبهم
النبو والكتكو وبالجملة فالجمال يوجد في كل قبيلة لكن قد يقل
في واحدة ويكثر في اخرى وسبحان من خص من يشاء بما يشاء
لارب غيره ولا معبود سواه فما كل اسمر مسكا ولا كل احمر
ياقوتا ولا كل اسود زبادا ولا كل لماع ماسا وان شئت
قلنت ما كل اسود فخا ولا كل احمر لحا ولا كل ابيض جيرا فقد
يوجد في الاسود والاسمر من الجمال ما لا يوجد في الابيض
الشاهق وكان يقال يقول وهل تستوى الظلمات والنور
او الظل والحور لكن من الناس من تعشق في السمر حيث قال

وفي السر معني لو تأملت حسنه لما عشقت عينك بيضا ولا حمرا

من الطويل

واحب بعضهم السواد وبالغ حتى قال

أحبُّ لأجلها السودان حتى أحبُّ لأجلها سود الكلاب

من الزايف

وكنت قديما مغرما بهذا المذهب فقلت

يلوموني على حبى لسودا وما علموا بسيادة في السواد

من الزايف

فقلت لهم دعوني لا تلوموا فان السود سادوا بالسواد

وجل البيض لولا الحاجيات وخال الخدجالك في السواد

لما عشقوا ولا نظروا بعين ولكن الفضيلة في السواد

وفي الاول السواد بمعنى السودد وفي الثاني بمعنى المال وفي الثالث بمعنى

السواد الحقيقي وفي الرابع العالم الكثير وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سودا فقلت لهم لون الغوالي ولون المسك والعود

من السبيل

في امره ليس حبُّ البيض مكرمة عندي ولو خلت الدنيا من السود

وقال الفاضل الشيخ عبد الرحمن الصفتي

بالروح اسبر نقطة من لونه تكسو البياض من الجمال شعرا

من الكامل

ولو استقل من البياض بمثلها لا اعتاض من ثوب الملاحه عارا

ما من سلافة سكرت وانا تركت سوائفه القول حيارا

حسد الحاسن بعضها حتى شئت كل الحاسن ان تكون عذرا

وكنت عارضته بقصيدة منها قولي
الحق ابيض دغ مقالة معشير قد عاند واواستكبروا استكبارا
وقال الصفتي ايضا

من الرجز
والكامل احق

قالوا تعشقتها سر آفقلت لهم لون الغوالي ولون اليسك والحدق
وما تركت بياض البيض عن غلط افي من الشيب والاكفان في فرق
وتعالى بعضهم ومدح البياض وذم السواد بكلام يطول وقال من
عاند وذلك عميت بصيرته عن قوله تعالى فحونا اية الليل وجعلنا
اية النهار منيرة ولكل وجهة هو موليها وللناس فيما يعشقون
مذاهب فصل في امراض السودان والماكولات
وصحة الاقاليم والصيد وبعض الحيوانات

من البسيط

يجب على العبد ان يعلم ان الله خصر كل اقليم بما لا يوجد في غيره
وجعل في كل قبيلة خاصية لا توجد في غيرها ولذا اذا تقرب انسان
من بلدة لاخرى يكون هواؤها مخالف لهواء بلده تحصل له
مشنقات فيمرض حين يتغير عليه الهواء فربما مات وان لم يموت
يطول مرضه ولا يصح جسمه حتى يعتاد بهواء البلد التي سكن
فيها بعد طول المدة ولما كان الامر كذلك كان الاولاد الذين
يتناسلون من ام واب فور او بين مثلا اطول اعمارا واقوى

بنيةً ولذلك ترى الرجل له عشرة من الولد وأكثر أقوياء أصحاء
 وكذا اعراب البادية هناك لا يموت الرجل منهم حتى يرى من ولده
 عدداً كثيراً فلو انعكس الأمر بان تزوج فوراوى عربية أو عرب فوراوية
 ترى سلالة ضعيفة نحيفة لا يعيش منها إلا ما قل وندر
 وهذا مما يدل على ان في البلد والمجنس خاصية لا توجد في غيرها
 لان كل ولد يوجد من ابوين من نوع واحد وبلد واحد كان اقوى
 بنيةً واعدل صحةً وترى من انعكس فيه الأمر ضعيفاً فاسد
 اللون نحيفاً ورايتهم في دار فور ودار وادي يستعينون على
 صحة الطفل باخذ الدم فياخذون الطفل حين يستكمل اربعين
 يوماً من ولادته ويشربون بطنه من الجهتين اعنى اليمنى
 واليسرى تشاريط كثيرة وينزل منه دم غزير وحين يستكمل
 ثلاثة اشهر يفعلون به ذلك وان لم يفعل به ربما حاج عليه
 الدم فقتله وأكثر امراض الاطفال عندهم المرض المسمى بالولسان
 وهو داء يعترى الطفل فيغصمته اى عند اللهاة فتحدث له فيها

زائدة كلسان العصفور عند اصل

اللسان فيعالجونها بالقطع وصورة

الالة التي يقطعونها بها هكذا



وهي حديدة مركبة في يد من خشب ومعها قطعة خشبية ناعمة
فيدخل الطبيب الخشبية اولا حتى يوصلها الى المحل الذي فيه
الزائدة ويكون العليل قد ضبط ضبطا جيدا ثم يدخل الحديد حتى
يصل رأسها المعوج الى اصل الزائدة من الجهة الاخرى وتبقى الزائدة
بين الحديد والخشبية ويتكأ عليها معا فتقطع الزائدة بينهما
فيخرج الحديد والخشبية معا فيرى على الخشبية قطعة لحم صغيرة
ويكون قد استخضر على قليل من النطرون وسحق جيدا بين حجرين ثم
يبيل الرجل اصبعه ويجعله على المسحوق فيلتصق به ويدخله في فم
العليل بعد ان يكون قد ادخل الخشبية ان كان الطفل قد اثنغر لكن
لا يوصلها الى محل الالمر بل حتى تتجاوز اسنان العليل ثم يدعك محل
القطع بالمسحوق الذي على اصبعه دعكا جيدا فيبرء العليل بذلك
واذا ترك ابو اللسان المذكور الحبل جسم الطفل ونشأ عنه اسهال
عجيب فيكون سببا في قتله ويلىه مرض اخر يسمى عندهم **أم صقع**
ولا يعترى الا الاطفال ايضا وهي استرخاء يقع في اللهاة وبثرة تحدث
فيها فلا يشرب الخليل اللبن ولا يأكل ويصفر لونه فيدعون
له بالطبيب فيأتي ويسحق النطرون كما تقدم ويضع الخشبية
وحدها في فم العليل ويدخل اصبعه فيرفع لهاة ويفقا

البثرة التي توجد فينزل منها دم وقيح ثم يغمر اصبعه مبلولا
بريقه في النطرون ويحكه به البثرة واللهاة لكن يفعل ذلك ثلاثا
ايام فيبرء العليل وقد يقع الاسهال المفرط لكن ينظر في الطفل فان
كان ابن سنين ووجدوا المقعدة تبرز من محلها حكوها بشقفة
حتى فقتوا ما فيها من البثور وينزل منها دم كثير وقللوا ما كانه
فيبرأ وان كان صغيرا كان سبعة اشهر او ثمانية او نحوها كقوة
حول السرة اربع كيات هكذا

اعني تكون السرة في الوسط ويكون الكي اعلاها وانفلها وانهم
وايسرها وقد يعثرى الاطفال المرض المسمى بالغزليل وهو مرض
ناشئ عن اصابة في المخ يترك الطفل يعيث بيديه ورجليه على
غير الحالة المألوفة واهل مصر كاهل تونس يقولون انه من الجان
حين يترك الصبي وحده في محل يعثره هذا الحادث فيقتل في
مصر وتونس وبلاد العرب اطفالا كثيرة فاما اهل مصر يستعينون
في علاجه بالكتابات لا اعتقادهم انه من الجان فياتون بمن له
شهرة في الرقي والعزائم والاقسام فيكتب العليل ويرقى
وهذا قد يصادف ان العليل يخزله وقد لا ينجع واما اهل
السودان فيعالجونه بالكي في الجبهة بان ياتوا بقبصة

من قصب الدخن ويلا مسون بها النار حتى تأخذ فيها وتبقى
لها زهرة كزهرة الشمعة التي تنقط فيكون العليل بها فيبر
لوقته ومن امراض الاطفال هناك أبو صفيير وهو مرض يعترى
الطفل فيفسد لونه ويصفر صفرة ظاهرة وهو المسمى في كتب
الطب باليرقان الاصفر وهناك امراض عامة الصغير والكبير فيها
على حد سواء فمنها الوردة وهي الحمى ولا يكاد ينجم منها احد في
كل سنة وتتسلطن عندهم في ايام الحريف واول الربيع المسمى
عندهم بالذرت وهو وقت خريفنا وتنوع فمنها حمى الوردة التي
تاتي في كل يوم في ساعة معينة ومنها حمى الغيب وهي التي تاتي يوما
ويغيب يوما ومنها حمى التثليث وهي التي تاتي بعد كل يومين
ومنها حمى الربيع وهي التي تاتي بعد كل ثلاثة ايام وهي اقوى انواع الحمى
واقلمنها بدرجة حمى التثليث ومنها الحمى المصيبة وهي التي لا
ترتفع عن صاحبها الا بالشفاء او بالموت وتسمى في مصر بالنوشة
وهي في عرف الاطباء الآن التهاب معدى معوى وكلها عند اهل
السودان تسمى بالوردة لا يميزون فيها ومن الامراض العامة
الوبائية عندهم الجدري وهو عندهم كالطاعون في مصر
ويشتد خوفهم منه لانه قتال جدا وكل من مرض به منهم

أخرجوه من البلد إلى محل آخر في الحلال وبنوالة عشنة تسمى عندهم
بالكرابة وتركوا عنده من يخدمه من يكون قد مرض بالجدرى
وكما مرض آخر نقلوه إليه وهكذا وهذا هو الكرنينة بعينها
تسميه أخوة أهل السودان من الجدرى أعراب باديتهم لأن الجدرى
أن دخل في حي من أحيائهم أفناه فلذلك تراهم أخوف الناس منه
ولقد أخبرني رجل من أكابر البرقة يقال له عثمان ودّ علوانه كان
مرض بالجدرى وقاسى ما قاسى ثم شفاه الله فلما قشّر جدرية
وقبل أن يندمل صار يوذيه الذباب فكان يتلثم لاجل ذلك قال
بيها أنا ذات يوم متلثم واقف على باب دارى إذ رأيت أعرابيا قد
جاء يمشى مشية الخائف فلما رآنى أقبل على حتى دنا منى وسلم على
ثم قال أمانة عليك هال في حلتكم هذه جدرى فقلت كفانا الله
بشر الأمانة ورفعت اللثام عن وجهى فحين رانى صاح صيحة
عظيمة وسقط إلى الأرض فجاء لصيحته أخوانه من الأعراب فرفعوه
وذهبوا به وكنت أنا حين جاء أخوانه فررت لئلا يقتلوني
فبلغنى بعد ذلك أنه مات بعد ثلاثة أيام ومن خرافات أهل
السودان أنهم يقولون إن الجدرى حيوان لا يشاهد إلا أثره
يعلق بالإنسان فيقتله وسمعت من كثير منهم أنه رأى أثره

ويتواطئون على ذلك ويصدق بعضهم بعضا وسألتهم من اثره
كيف هو فقال اثره نكت مستديرة متوالية هكذا على
سطر واحد فكل بيت اصحنا وراينا ذلك الاثر دخل فيه نجد اهله
قد اصابوا عجيبة اخبروا القاضي الدليل قاضي القضاة بمملكة
الواداي حين جاء الى القاهرة سنة ١٢٥٧ ان المرض المسمى بالهَيْضَة
واهل مصر سموه الهوا الاصفر الذي كان اتى الى مصر من الحجاز
سنة ١٢٤٧ ذهب الى بلادهم واخرها وقتل منها عالما كثيرا وكان من
انه لا يصل اليه هناك فسبحان الفعال لما يريد لا معقب لحكمه
ومن الامراض العامة الكثيرة الحصول عندهم المرض الافرنجى ويسمى
عندهم بالجَقِيل وكثرته بينهم لكثرة الفساد وليس له عندهم
دواء الا الكي وصفة هذا الكي انهم ياتون بحديدة وهي السماعة عندهم
بالْحَسَّاشَة وهذه الحديدة مستطيلة مفرطة عرضها بنحو
قيراطين وطولها بنحو خمسة قراريط او ستة فيجوها بالنار حتى
تحولها صورة انبوبة مركبة في وسطها عرضا فاذا احترت الحديدة
اخرجوها من النار وصبوا على الانبوبة ماء قليلا ثم يدخلون في
تلك الانبوبة عوداير فعونها به ويكون به المحل الذي ظهر فيه
الداء من غير استئناء ومتى ما شهد هذا الداء على احد وله اهل

كوهة ولو قهر اعنه وبهذه المعالجة تنفاه الله باقرب زمن وهذا
المرض في كُرْدُ قَالَ اكثر من دارفور ودارفور اكثر من الواداي حتى انه في
الواداي لا يسمع بانسان مرض بهذا الداء الا نادرا وسبب كثرته
في كرد قال ان من اصيب منهم به يعتقد انه كلما اعدا غيره به يخف
عنه ما هو فيه ولم يدركه لو اعدا مائة الف لم ينقص مما هو فيه
شيء فترى المريض منهم سواء كان امرأة او رجلا يعدي خلقا كثيرا
فلذلك كثر عندهم ودارفور وان كان كثير الكثرة لما كان منهم من
لا يستحي ان يراه الناس مريضا فيعدي غيره وهو قليل ومنهم من
يستحي من ذلك فيجلس في بيته حتى يبرء وهو كثير فقل عندهم واما
في الواداي كل من مرض به لزم محله حتى يبرء فكان وجوده نادرا و
الحَصْر وهو السَيْلُ الابيض ومثله الـهَبُوب وهو يبرح يعتقد
في البطن السفلى من المرأة او الرجل واكثر ما يوجد في النساء
ويقولون انهما مُعْدِيَانِ ومن الامراض الفاشية عندهم الجُذَام
وهو تاكل مارت الانف واطراف الاصابع وكذلك البرص الا انه
اقل ومنها ابو الصفوف وهو ذات الجنب وعلاجه عندهم
بالتشريط على الاضلاع فيشربون اربعة صفوف او خمسة كل
صوابع شرطات او خمس هكذا

ويدعون المحل بعد التشريط بمسحوق النطرون فينزل من الفتحات
 دم كثير فيبرء المصاب ومنها الفرنديت وهو كثير عندهم وسمى
 في مصر بالفرثيث وهو ورم يحدث في الساق او اليد او في محل اخر
 فيتكون فيه قيح فينبعج ويخرج من محل البعج خيط ابيض طويل الشبه
 بالعصب الا انه غير متين كالعصب والظاهر انه حيوان لانه
 يخرج ويدخل وعلاجه البعج والتدفية بورق العشر المدهون بالسمن
 المسخن على النار ومن الامراض العضوية عندهم السوتية وهي
 مرض يخص الركبة وهو ورم كالفرنديت الا انه لا يظهر له خيط
 ويتكون داخله قيح كثير ولا يبرأ حتى يبعج المحل بعجاثر اثلاثة
 صفوف وكل صف ثلاث بعجات او اربع فينزل منها قيح كثير
 وبالتدهين بالسمن والتدفية تير العليل ومنها الذقري
 وهو مرض يخص الساق على طولها وهو ورم كورم السوتية الا ان
 هذا يمتد على قصبه الساق وذلك مقصور على الركبة وعلاجه
 كعلاج السوتية الا ان البعج يكون صفتين من وحشية الساق
 و صفتين من انسيتها ومن الامراض عندهم التي تصيب الاطفال
 الحصباء والبُرْجُك وهي القرْمِزِيَّة ومن الامراض العامة وجع
 الطحال اعنى كِبْرَةٌ و الاستسقاء بانواعه واغلب الامراض

عندهم الا الطاعون والسُّل فلا يوجدان وان وجد السُّل
فتادر واما الجراحة فتقدمة بينهم لكثرة الفتن والحروب
فتراهم يخيطون الجروح حتى ان من خرجت امعاؤة يردونها
ويخيطون عليها ويبرء وكذا يداوون الشجاج بانواع وهناك
ناس يسمون الشلاكين يعملون عملية الكترانا من العين مع
المهارة التامة ولكن لا اعلم كيفية العملية ولا الالات المستعملة
عندهم لذلك واعرف منهم رجلا يشهر ايسى الحاج نور غير انهم
لا يستعملون البتر ولا القطع ولا الاستئصال وامراض الأذرة
قليلة عندهم هذا ما انتهى اليه علمي في ذلك واطباؤهم مسنوم
فلا تجد فيهم طبيا شابا الا نادرا ومن برع في صناعة الطب تهرع
اليه الناس ولو من مسافة ايام ويكرمونه اكراما تاما واكثر
علاجهم التشريط والكي ولا يستعملون من الباطن الا الترهند
والعسل النحل والسمن البقري عجيبه اخبرني شيخني الفقيه
مدني الفتاوى عليه شحائب الرحمة انه كان اصيب بالنقرس
الذي هو وجع المفاصل وهو المسمى في كتب الطب بـ"الملوث"
وان اعرابيا من البادية وصف له الوقوف والسمن البقري فقال
امرته باحضار كثير من السمن البقري وسخن على النار حتى ذاب

ذو بانانا تاما فنزل عن النار وترك الى ان هذ وصار يتجمله الانسان
وربط لرجل في سقو البيت وصارت طرفا لا بيدي وأفرغ السمن
وقصعة كبيرة وغسلت رجلي ووقفت في السمن ومسكت
الحبل المذكور فكان معينا لي على طول الوقوف قال فلم اشعر الا بالسمن
يسرى في جسدي كسريان السم غير انه اولا صعد الى ساق ثم الى
ركبتي ثم الى فخذي ثم سرى في النصف الاعلا فصرت أحس به
يصعد في جسدي شيئا فتشياحتي وصل الى عنقي فاخذني ذوار وغشي
علي وكدت اسقط فتلقاني الخدم ودثروني في ثيابي واضجعوني
على فراشي وانا لا اشعر بشي من ذلك فقلت نهارى كله وليلي كذلك
ثم افقت عند الصباح وانا ناشط كما ما خللت من عقال ورايت
انه خرج مني عرق كثير كرية الريحه وبذلك شفا في الله واخبرني غير
واحد ان اهل البادية كذا يفعلون حتى بلغ هذا الخبر مبلغ التواتر
ولكونهم يتقاطون السمر كثيرا يتداون بالكتابة وعندهم اناس
مشهورون بذلك واكثرهم شهرة فلانا وكيفية الولادة عندهم
انه اذا اخذ المرأة الطلق اناها بعض العجائز من النساء وربطوا لها
حبل في سقو البيت فتمسكه وهي واقفة وتعتمد عليه كلما
اشتد بها الوجع وتفرج بين رجليها حتى يسقط المولود فتلقاه

احدى النساء الحاضرات وتقطع سُرةً وتضعُ النفساء على
فراشها فاذا تم للولد السبوع عملوا له عقيقة كل انسان على
قدر حاله فتجتمع النساء عند النفساء والرجال مع الرجل ويكون قد
ذبح شاة فتاكل النساء والرجال لحم الشاة ويسمون المولود ثم
يتفرقون ويطعمون النفساء وذلك الاسبوع عند الصبح ^{اليوم}
وهي الحريرة بلغة اهل مصر والحسو بلغة اهل المغرب والكريم
بلغة الافرنج وعند الظهر لحم دجاجة ان كانوا اغنيا فان كانوا
فقراء المديدة ايض وهي مركبة من دقيق الدخن ودقيق التبلى
او اللجيج فان كانت من اللجيج كان بها مرار وان كانت من التبلى
كانت حامضة فان تم للمولود شهران او ثلاثة حملته امه على
ظهرها وربطته بثوبها ويسمى ذلك الحمل قوقو فتحمله كذلك
وتذهب الى شؤونها من زرع وما وحطب حتى يشب
ومن عاداتهن انهن يرضعن اولادهن حولين فاقل كالا سلا^{سين}
ولا يزوجن بناتهم الا اذا بلغت البنت الحلم وعرفت منفعة
الرجل ولقد مكثت عندهم سبع سنين ما رايت عروسا
تزوجت قبل بلوغها وان عقد عقدها قبل البلوغ لا يبنى
بها الرجل الا بعد بلوغها لان عاداتهم ان الرجل يملك ويترك

مدة فنه من لا يبنى بعرضه الا بعد سنتين ومنهم بعد ثلاث
والمستعمل منهم يبنى بعد سنة لانهم لا يملكون عليها الا اذا
نهزت البلوغ هذا في البكر واما الثيب فيبنى بها الرجل يوم
ملاكيه او غده واما قراءة القران فتاخرا جدا لانهم لا يقرؤون
القران الا بالليل في المكاتب فيكون الصبي في النهار سارحاً بهيئته
من غم وبقرو بعد ان يرجع في المساء ياخذ لوحه ويذهب الى
المكتب وعلى كل صبي الاثنيان بالحطب يوماً فيقيدون النار
ويحيطون بها فيستضئون بضوئها وعلى ذلك الضو يحفظون
ويكتبون وحفظهم غير جيد فلذلك قل من يحفظ القران منهم
حفظاً جيداً واما قراءة العلوم فتاخرا ايضاً لعدم العلماء واكثر
قراهم للفقه والترديد واما المعقول فقليل جداً ومع قلته لا
يقرؤون الا قليلاً من النحو واما المعاني والبيانات والبدع والنطق
والعروض فلا يعرفون منه الا الاسم ومن يعرفه منهم يكون
قد تقرب لبئد اخر كصبر وتلقاه فيه فاذا رجع الى بلده كان
هو العالم واكثر ما يعانونه الروحاني والسحر ويسمون علم
السحر علم الطب ومن مهرفيه سمي طبائياً وهذا العلم يوجد
عند الفلآن اكثر من غيرهم وقد نذكر ما وقع من الفقيه مالك في

اولاد السلاطين وسحره اياهم حتى رجعوا الى الفاشر بعدما
هربوا منه وما وقع من الفقيه ثم وتنبه عليهم ان دارفور
وان كانت كلها اقليما واحدا ومملكة واحدة هوؤها مختلف
واصحبها القوز فلذلك تجد من فيه من اعراب البادية اقوياء
اجرياء لسلامة ارضه من العفريات والنوخم لكن ماؤة قليلا فقد
ذكرنا سابقا ان منهم من بينه وبين الماء مسافة يومين واكثر
ويليه في الصحبة بلاد الزعاوة المسماة بدار الريح فلذلك تجد الزعاوة
والبديات القاطنين بها في غاية القوة وسلامة الاعضاء
وارداها هواء الصعيد لكثرة مياهها خصوصا جبال مرة ووجها
وعفونتها لكن لا تكون ارضه وخيمة الاعلى من لم يعتدها واما
المولودون فيها تراهم اصحاء اقوياء لكن عندهم الحمى كثيرة واردة
من الصعيد المدن واقواها الفاشر ويليه كويبة وكبكايتة
واماسلا وفنقرو وبيكا وثنالا فاوخم الاماكن كلها لكثرة الرطوبة
عندهم واستمرار الامطار لانها لا تنقطع في السنة الاملة شهرين
او ثلاثة ومع ما في دار الفور مما ذكرناه من الامراض كل منهم يجب
وطنه وبالنوسكنه واذا تحولت غيره يبكي عليه ويتمنى الرجوع
اليه وهذه غريزة جبل عليها الانسان وانطبع عليها الجنان

من قديم الزمان فلذلك كان المصطفى صرم يمن الى مكة حين
المشتاق ولولا ان الله امره بسكنى المدينة لاقام بمكة بعد الفتح
واتفاق لكن من حيث ان امراض بلاد السودان لم تكن وبائية قتالة
كانت اعمارهم اطول من اعمار غيرهم فلذلك تجد فيهم المسنين حتى تجد
من تجاوز المائة وعشرين واما ابناء السبعين والثمانين والتسعين
فلا يكاد ان يحصرهم العدو ولا يوقفو لكن تربهم على حد هذا مع ما
ابتليوا به من الفتن والحروب واليخن لان كل قبيلتين منهم بينهما
دم مسفوك وتار مطالب به غير متروك كما بين البرق والزيادة
وبني عمران والميمة وفلاتا والساليط والمسيرية الحمر والرزيقات
والمجانين وبنو جرار والزغاوة والمحاميد مما لا يكاد يحصى هذا
خلاف قتل الملوك وخلاف ما يصير من القتل في مجلس الشراب
او في المعاندة على الكواعب الاتراب ولولا ذلك لكانوا في الكثرة
كياجوج وماجوج وضاق بهم القضاء والروج فان قلت اذا كان
الامر كما ذكر فما بال النساء العجائز قليلة مع انهن لا يقاتلن
ولا يحضرن حروبا فلو كان ما ذكر صحيحا في عدم كثرة الرجال كان
وجود النساء المسنات كثيرا مع انهن مثلهم او اقل قلت لما
كن يحزن على من قتل لهن من الرجال ويحملن بعدهم الضر والنكال

كن عرضة للأمراض المرئية الجالبة للمنية بسبب ما يحصل
لهم من الانفعالات النفسانية ومع ذلك هن أكثر من الرجال
المسنين ولقد كنت في بلدة أقل عمارا وسكانا وهو أبو الجذول
ورأيت فيها من المسنين والسنيات كثيرا وكما دخلت حلة
أرى فيها أكثر من ذلك مع أن معيشتهم في غاية الاحتياط والتواضع
منها أحد من أهل بلاد نامة واحدة لذهب منه النشاطات
أكثر ما كلهم إمارة أو متعنة وبيروت إن هذه هي النعمة المستحسنة
وكنت حين حللت ببلادهم ولم اعتد باعتيادهم صنعوا في الدار
ونكة ودعوني إن أكل منها فابيت ولما سمع والذي بذلك قال لي
حيث لم ترض أن تأكل من هذا الأدم لم جئت هنا وصار متحيرا
فكان يتكلم ويصنع لي أرز بلبن ولما توجهت إلى الفاشرو نزلت
في بيت الفقيه مالك الفوتأوي حضر العشاء فأيت الأدم مرا
فسألت ما هذا فقيل وهذه ونكة اللجليج فأيت أن أكل منها
فجاءوني بادم آخر فشمت منه رائحة منتنة فقلت ما هذا منتن
فقيل هذه ونكة الدودري وهي جيدة عندهم فأيت أن أكل
منها فأخبر الفقيه مالك بذلك فأرسلوا لبنا حليبا عليه غسل
فأكلت منه ولما حضر في ديوانه للسمر قال لي لم تأكل من ونكة

الهلج والدودي فقلت له احدهما مرة وثانيتها متعفة
فقال هذا هو الطعام الذي يصلح في بلادنا ومن لم يأكل هكذا
يخشى على نفسه من الامراض والدودي ويكة تتخذ من عظام
الغنم والبقر وسائر الحيوانات وهو انهم ياخذون عظم الركبة
وعظم الصدر ويجردون ما عليها من اللحم ثم يضعون العظام في
خابية ويتركونها اياما حتى تعفن فيخرجونها ويهرسونها في هاون
حتى ينهرس العظم في اللحم وينصفونه كرات في جرم البرتقات
الكبير فاذا ارادوا الطبخ اخذوا قطعة من كرة وذوبوها في الماء
فلما كان فيها قطع من عظم صفوها من مصفاة ثم صبوا ذلك
الماء في القدر ووضعوه على النار حتى يصير له قوام فياترب
بقدر صغير يقطعون فيه قليلا من البصل ويقلونه في قليل
من السمن ويضيفونه لذلك ويضعون فيه ثيابا من الملح
والفلفل والكباب ان وجدت وهذا طعام لا يوجد الا في بيوت
امراء الفور واما ويكة الهلج فلا يخلو اما ان تكون من الورق
او من الثمر التي من الورق هي انهم يحنون الوريقات الطرية الحديثة
ويدقونها وتوضع في القدر على النار وتحرك بالمسواط حتى تخرج
مع ما فيه من الماء والدهن وان كانت من الثمر فكيفيتها انهم

ياخذون الثر وينقعونه في الماء ثم يهرسونه باليد حتى يذهب
لحمه كله في الماء وياخذون ذلك الماء ويصفونه في قدر فان كانوا
فقراء وضعوا عليه قليلا من الشحم واكلوا وان كانوا اغنيا
قادوا النار حتى يصير له قوام ثم عملوا تقلية كالتي ذكرناها في
الدودري و اضافوا الها الحما مدقوقا من القديد وصبوا فيها
الماء وتركوا الجميع على النار حتى يحصل الاستزاج التام فتزل عن
النار وهذه من اعظم وياكلهم هذا طعام اغنياهم واما فقراؤهم
فقد ذكرنا سابقا انهم ياكلون الدخن بغير تقشير وان لم يكن
قبيح جدا لانه اما كوز او ورق اللجليج الصغير الطري المسمى عندهم
بالنيانو او ثفل السمسم او ثمر اللجليج الاخضر المسمى عنقلو او ثمر
الناضج وملح كل ما ذكر الرماد المسمى بالكنبو لقلته الملح وعلوة
واترف الفقراء من تكون له شياة او بقرة يجلب لبنها وياخذ زبدة
ويأتم بخيضه ولا يعرفون اللحم الا بعد اشهر ان ذبحت في البلد
بقرة او ثور واقتسموها فيأخذ الفقير منهم قسما على قدر حاله
بامداد من الدخن لابي شئ اخر ولذلك تجد اكثر شبانهم يعانون
القيص وقد ذكرنا سابقا ايضا انه في كل سبت يضرب الورتاك
طبله وتخرج الشبان كلهم معه للصيد فكل منهم ياتي في المساء

بما تيسر معه لان غاياتهم فيها كثير من الحيوانات الوحشية
فاكثر ما يصيدونه الارنب ثم الغزال ثم ابو الحصين ثم بقر
الوحش وان وجدوا تيتلا مريضا او اخذوه على عمرة قتلوه
واقسموا الحمة والتيتل حيوان وحشي على صورة البقر الاهلي
الا انه اصفر جرم فاعطيه كالعجل وله قرنان صاعدان ماثلان
قليلا اما الخلف واللامام طولهما بنحو شبرين واكل ومع وحشيته
فيه نوع بلادة فلا يفر الا من ناس كثيرين واما من رجلين او
ثلاثة رجال فلا يفر بل يثبت مكانه وينظر اليهم نظر المتامل ومن
عادة الفور انهم اذا راوه ينادونه بصوت عال ياتيتل يا كافر
فيصير شياخصا اليهم كانه غير مكترث بهم فلا يبرح من مكانه
الا اذا يدنون اليه دنواً كلياً فح يمشي ويديار ويديافان
راهم جدوا وطلبه هرول والفرق بين التيتل وبقر الوحش
المعتاد ان التيتل وان كان نوعا من بقر الوحش الا انه اصفر
جما وقرونه تنبت معتدلة كقرن الغزال وبين القرنين من
اعلا انفراج كثير ولون التيتل اصفر كله واما البقر الوحشي فنه
الاسود والاصفر والابلق الذي لونه مختلط ببياض كثير وقرونه
كقرون البقر الاهلي في الغلظ والاعوجاج وجمه كجم البقر ايضا

وبهذا تعلم ان التينل نوع من البقر وبينه وبين البقر الفروق
المذكورة وهناك انا مشغولون بصيد الحيوانات لا حرفة
لهم سواها وكل منهم قد اعد لذلك عدة فاما الشببات
فيستعينون على الصيد بالكلاب والسفاريك لا غير واما
الحدادون فيجتالون ومنهم طائفة الصيادين المذكورين لا حرفة
لهم سواها وهم على قسمين منهم من يتحضر لصيد ذوات الاربع
كالغزال وبقر الوحش والفيل والجاموس والضباع والسباع
والخرتيت ونحوها وهؤلاء يجتمعون فرقا فرقا كل فرقة منهم
خمسة انفار اوستة فياتون للطريق التي يمر عليها الفيل وغيره
حين وروده على الماء ويجفرون فيها حفرة عميقة اطول من
قامة ويدقون في مركزها وتدامدب الراس حاد السن كالرمح
ويصلبون على الحفرة اعوادا ضعيفة ويغطونها بالحشيش
ثم يغطون الحشيش بالتراب فياتي الفيلة او السباع او بقر
الوحش او الجاموس والخرتيت وارده الماء فتمر على تلك الحفرة
فتمت ما ثقل على الاعواد الوطي تكسرت تحت ارجلهم وسقط
في الحفرة منها حيوان او اثنان فتمت نزل الحيوان بنقله على الوتد
الذي في المركز دخل ذلك الوتد في لحمه فلا يقدر ان يتحرك حتى

ياق صاحب الحفرة فيتم قتله وياخذ لحمه بعد سبلخ جلده
فيعملون اللحم قديدا وهو المسمى عندهم بالنشر اميط لانهم
يشتم مطونه اى يقطعونه سيورا وياكلون منه طريا فان
كان فيلا اخذوا اسننه وجلده وقددوا لحمه وان كان خرتيتا
اخذوا قرنه وجلده وقددوا لحمه وهذا القديد ياكلون منه
ويبيعون منه وكل فرقة لها جماعة في البلد يفتقدونهم في
كل اسبوع وياتونهم بما يحتاجونه من الزاد وغيره ويكون
معهم حل يحلون ما يجدونه عندهم من القديد والجلود والقوت
وسن الفيل فياتون بالجلود فيعملون منها الدرق والسياط
ويبيعون العاج وقرن الخرتيت والسياط للتجار ويبيعون
الدرق للعسكر وهم قوم لاعهد لهم ويسمون الدرامة
فلا يناكحونهم ابا ولا يتزوج الدرمودى الا من جنسه ومنهم
من يحيل على الصيد بان ياتي لمحل الوحوش وياتي بحبل من
قدمتين ويجعله خرتة واسعة فاذا مر عليه شيء من
الوحش ودخلت رجله في الخرتة وهي دائرة اشبه بالعروة
فرفع الوحش رجله الخرتة عليه وهي ماكنة الاوتاد فلا يقدر
الوحش على قطعها ولا قلعها فيمكث حتى ياتون اليه

فيقتلونه

فيقتونه ومنهم من يعلو على شجرة يقبل تحتها الوحش ويكون

معه حربة او حربتان من الحرب

الواسعة الحادة التي هي هكذا

فيمكث في اعلا الشجرة حتى ياق

الوحش ويقبل ويهدأ فينظر



لمن هو قريب منه ويطعنه وهو نائم في بطنه قتنه ياق الوحش

التي معه ويمكث المطعون فينزل اليه الصياد ويتم قتله ومنهم

من يتمحض لصيد الطير واحسن طير يصاد عندهم الخبزي وهو

طائر عظيم اكبر من الدجاج الرومي نونه ابيض يميل الى الاصفر والخصر

يسمن في ايام الذرت سمنا مفرطا ويكون لحمه طريا لطيفا وهذا

بالقودا معروف عندهم وحشرات صغيرة فيا في الصياد

بذاك الدود او الحشرات ويكون معه خيط قد قتله من

العصب فتلا جيدا وهو رفيع لا يكاد ان يرى للطائر ويقصد

المحال التي تصيد فيها فتري الصياد الحباري في محل ربط حشرة

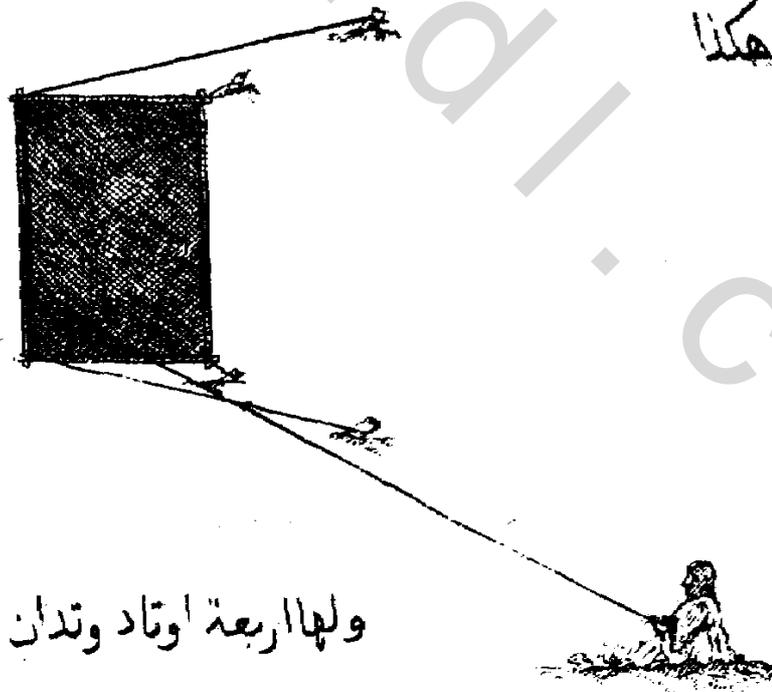
او دودة في خيط وربط الخيط في اسفل شجرة ويذهب الحباري

فيسوقها وفي الحباري بلادة لا تكاد تطير حتى يقرب الانسان

ان يمسكها فيسوقها الجهة الحشرة او الدودة حتى تراها فتفي

ماراتها هربت اليها وابتلعتها ولما صارت الحشرة فحوصلة
 ورادت تذهب يمنعها الخيط من الذهاب فياتي الصياد
 فيذبحها ويضعها معه ويربط في الخيط حشرة اخرى ان كان
 هناك حباري ويوجد ايضاً طير اخري يسمى اباطنطرة وهو ابيض
 وهو طائر اكبر من الحباري بقليل وله في عنقه كيس طويل مخروطي
 الشكل اسفله واسع واعلاه ضيق يبتلع الحشرات ايضاً كالحباري
 ومنهم من يصيد الطيور الصغيرة بالشباك وهذا اقل الدرأمة
 كسب الكونه يغرم جداً اذا العصافير وابوموسى وامثالها لاتقع
 الاعلى الجبوب فياتي في المحل الذي يريد الصيد فيه بحيث يكون
 قرب نهر او بركة وينصب شبكته وهي شبكة مربعة ومور

هكذا



ولها اربعة اوتاد وتدان منها

مربوطان لصق ركنيها وتدان مربوطان في جبلين طويلين في
ركنيها الاخرين فيدق الاوتاد في الارض وفي قرب احد اركانها
الوحشي جبل متين طويل جدا فينصب الشبكة وينذر الحب
امامها وياخذ طرف الحبل الطويل ويمكث بعيدا عنه فتي نزلت
الطيور وكثرت على الحب كفاً الشبكة عليها بالحبل الذي في يده
وعيون الشبكة ضيقة جدا فلا يخرج منها عصفور ولا يفلت
منها شي فياتي صاحب الشبكة وياخذ الطيور منها فان كان
فيها ما هو غالي الثمن كالدرّة او الببغاء ونحوه اخذ ريش جناحيه
وتركه في مكنته وان لم يكن فيها ذلك ذبحها كلها وبذر حبا اخر
وحين كنت هناك كانت في شبكة وكنت اصطاد بها في بيتي
فطالما شبعت من العصافير بصيدى بها وهناك من هو مغرم
بصيد القروذ والسنانس في الجبال ولا اعرف كيفية اصطيادهم
بها واحسن من ذلك كله الصيد بالبارود لان الانسان هناك
متى ما كان معه بندقة جيدة يشبع من لحوم الحيوانات بغير
مشقة ومن الاغنياء من يشتري من الدرّامة عبدا ولا يكلفه
الا بالصيد فلما نصح ذلك العبد اشبع سيده من اللحم ولقد
رايت عند شيخنا الفقيه مدني عبد ايسمي سعيدا مسنا فاخبرني

انه صياد واطمئني لحم غزال وذكر انه من صيده وانه لا بد له في كل
جمعة ان ياتي له باللحم مرتين او ثلاثا فصرت اتمنى ان يكون لي عبد مثله
فما عثرت عليه وقسمت محض لصيد الزراف والنعام وهم اعراب
البادية كالمحاميد والزبدة والعريقات بدار الوادى والمجانين
والزيادية وبنو جرار والعريقات بدار الفور وكل من هؤلاء يصطاد
على الخيل فكثرهم صيدا سبقهم جوادا ثم ان الانسان منهم اذا راي
صيادا وتبعه لا يقفوا اثره بل يباريه حتى يجاذبه ومتى تمكن من فريسته
عقرها فاما النعام وان كان شديد العدو فيوجد من يلحقه واما
الزراف فلا يكاد يلحقه في العدو فعرس ولذلك لا يلحقه الا الفرس
الذي يمر كالريح واعراب البادية في دار فور ودار وادى منعشون
فيما يشتهون لا يحتاجون الا الى الدخن والذرة والملبوسات
لكن يشتهون ما يحتاجونه من ذلك بما زاد عن كفايتهم من
السمن والفسل والمواشى وجلود الصيد والبقر والابل حتى انهم
يجلسون لدار الوادى ودار الفور الاجرية والقرب وبطط وحبال
مصنوعة من سيور الخلد ويسمون هذه الحبال خلدية بالوجه
والسياط وغير ذلك واما السمن فن انعامهم والفسل فن
الاشجار لان الخيل يعيش فيهما وهي محتونة والصيد كثير فلذا ترى

ريش النعام عندهم لا قيمة له وكذا قرن الحرثيت وحين كنت
في دار الوداي جاء بعض التجار من قران يطلب ريش النعام وطلب
من الشريف احمد الفاسي الذي توزر بعد ان يكتب له كتابا الى
الشيخ شوشو شيخ المحاميد بالوصية عليه وان يامر الاعراب
بالصيد له برفق في الثمن وكان معه خمسون ريال من الفرائس
فكتب له الشريف بذلك فاخذ الكتاب وتوجه الى المحاميد بدليل
من العرب ومكث هناك ماشاء الله ان يمكث ولما جاء اخبرنا
بانه حين وصل الاحيرهم وسال عن بيت الشيخ دل عليه فنزل
في اكرم ضيافة وارحب نزول ولما اراه كتاب الشريف زاد الشيخ
في اكرامه وبالغ في التلطف واكبر به وافرد له بيتا من الشعر بفرشه
وجميع ما يحتاجه وكل وصيفا ووصيفة لقضاء مهماته وكان
ذلك التاجر اخذ معه هدية للشيخ المذكور فقدم له فقبلها
منه واثابه عليها ثم ان التاجر سلم للشيخ الحسين ريال فطلب
الشيخ العرب وقال لهم هذا رجل غريب اضافني والتجاني ويريد
ريش النعام فمن كان له ارب في الريالات فليغد للصيد من
الصباح وكل من اتى جلد ظليم فله نصف ريال ومن اتى بربد آفله
ربع ريال فاهتز العرب لمطلبه واصبحوا قانصين ففي يوم واحد

جاؤا بنحو عشرين ظليما فكث عندهم نحو من عشرين يوما
 جمع فيها نحو مائة جلد ظليم وحملها له الشيخ على ابله وزوده
 بزاد كثير وكان من جملة ما جاء به دهن النعام فانه جاء منه
 بكثير واتى ومعه من العسل والكنياكينا والسرنة والكرنوشى
 كثير وباع في وارة الظليم بثلاثة ريات ولم يبق معه الا نحو عشرة
 من الجلود ورجحها كثيرا واما الزراف لانفع في المتجر الا يجلوده
 يبيعونها واما الحمة فيا يكونه طريا وقديدا ويوجد عند العرب من
 الازر والدفرة والكوريب والمجيج والتمر هندي والعسل والكرنوشى
 والسرنة ما لا يوجد عند غيرهم واما اللبن فلا قيمة له عندهم
 لكثرة ما يخذون منه السمن ويرمون رائبه حتى ان من اتى الى
 احيائهم وخصوصا الحيا الرزيقات ومسيرية الحجر والحبابية يجد
 الغدران والبرك القريبة منهم كلها لبنا **فصل في**
معاملة اهل دار فور قد تقرر في علم التوحيد
 ان الحق تعالت اسماؤه غنى عن المحل والمخصص فهو صاحب
 العنا المطلق لا يحتاج الى احد من خلقه وجميع الخلائق لفصله
 محتاجون ولنواله سبحانه وعلى ابواب رحمة مزدحمون فنظر
 اليهم بعين رحمة ووهب لكل منهم ما يقوم به وبعائلته وفصل

بعضهم على بعض في الرزق فجعل منهم الملوك ومنهم الفتي ومنهم
الصعلوك وجعل لهم اسبابا يتبعونها في طلب الارزاق وامر
بالسعي والاجتهاد خوفاً من الاملاق ومن عظيم منته ان جعل
البيع والشراء حلالا بين الناس لئلا يوالوا في نفوسهم ويذهب
عنهم الباس فجعل في البلاد المتمدنة النقدين قرة للعين يتناولون
بهما ما يحتاجونه من امور معاشهم ويضطرون اليه في ارتياشهم
وخص سبحانه وتعالى كل مملكة بسكة معروفة ودرهم ودنانير
بينهم مالوفة لكن لما كانت اهل السودان في بؤس عن التمدن
العظيم وفي ظلمة وحشية كالليل البهيم كان اغلبهم لا يميز
الذهب من النحاس ولا القصدير من الرصاص حتى من كان
في بلادهم معدن الذهب يبيعونه تبراً ويرون ان بيعه كذلك
اخرى وسيا مملكة دارفور ليس بها شي من المعادن الا ما
جلب اليها من الاقطار حتى ان اعظم حلي نساءهم كما تقدم من
انواع الاحجار فلهم جديرون ان يكونوا بمعزل عن المعاملة بالفضة
والنضار لكن لما وطئت بلادهم التجار وتمصرت بالتاجر فيها
الامصار احتالوا الى سكة بها يتعاملون ويشترون بها ما يشتهون
فانقسموا في ذلك اقساماً واذهب كل قسم منهم بما اصطلح

عليه من المعاملة أو أماً فأولها الفاشرو وهو مقر السلطنة وتحت
المملكة جعلوا من القصدير خواتيم يشترون بهما يحتاجونه
من لحم ودجاج وعليب وخطب وخضراوات وغير ذلك وتسمى
بالفور اوية تاريخية وهي على قسمين غليظة وتسمى تاريخية ثورقانية
ورفيعة وتسمى تاريخية بيضا يتعاملون بها في سفاسخ امورهم كما
ذكرنا والامور المهمة يتعاملون فيها بالتكاكي جمع تكية وهي شقة
من غزل قطن طولها عشرة اذرع وعرضها ذراع وهي على نوعين
شبكة وهو منسوج خفيف غير مندمج وكناكات ومنسوجها
ثقيل مندمج من الاول كل اربع تكاكي بريال فرانسوا ومن التاوكل
اثنين ونصف بريال فرانسوا وما عدا ذلك فيبيعهم كله استبدال
شي بشي والامور العظام عندهم تباع بالرقيق فيقال هذا الفرس
بسداسيين او بثلاثة سداسيا والسداسي عندهم العبد الذي
اذا قيس بالشبر من كعبه الى شحمة اذنه كان طوله ستة اشبار
والسداسية كذلك وقيمة السداسي من التكاكي ثلاثون تكية ومن
الشواتر الرزق ستة والبيض ثمانية ومن البقر ستة ومن الريالات
فرانسوا عشرة ريالات وكل انسان يشتري بما عنده ولا يعرفون
المحبوب ولا القرش ولا الفرانك ولا الخيرية ولا شي من معاملات

اهل المدن سوى الريال الفرنسا المسمى عندهم ايامدفع واما
اهل كوبيه وكباية وصر والدجاج فانهم يتعاملون بالخرش
وهو خرز ليس بالغليظ ولا بالرفيع منه اخضر ومنه ازرق يعمل
سبحا كل سبعة مائة حبة وقد قدمنا الشرح عليه في حلل النساء
وزينتهن فيتعاملون به في سفايق الامور عوضا عن التارنيه
في الفاشر ومن العجايب ان التارنيه في هذه الاسواق الثلاثة
لا تسقى بشربة ماء بل المعاملة بالخرش من خمسة حبات الى
مائة ومن سبعة الى عشرة الى ما لانهاية له وقيمة التكية عندهم
ثمان سبج وبقية الاحوال كالفاشر واما قزلي وما ولاها فيتعا^{ملون}
بالفلقو وهو ملح صناعي مستخرج ترابا من الارض ويصبون
عليه الماء على غالب ظني لسوب الاوساخ والاتربة ويصفي
ويقطرون ماءه لنقص هذا الماء ويتلقون المقطرمه في قوالب
كالاصابع فيجمد بعد برودته ويصير كالاصابع وقد شاهدت
مخال استخراج هذا الملح ورايت اواني التقطير ويشابهوت
البرام الافرنجية ولا نعلم من اوصل هذه الصناعة اليهم واهل
البلد لا يعلمون ايضا بل قصارى امرهم اذا سئلوا وقال لهم قائل
من علمكم هذه الصناعة ان يقولوا شئ وجدنا ابانا يفعلونه

ففعلائه ولا يعرف اول من صنعه ولقد عاملت بهذا الملح
واشتريته وله لذة عجيبة في طعمه تخالف لذة الملح الطبيعي
الا انه غير شفاف وفيه سمرة وانواع الملح في دار فور ثلاثة
زغاوى وهو ملح طبيعي يخرج من بئر الزغاوى وقد قدما ذكره
وميدوى وهو ملح طبيعي ايضا الا انه لونه احمر كالدم وقد
يستخرج قطعاً كباراً كالحجار الطاحون في العظم والاستدارة
وثقله لا يحمل الحمل منه الا جرين وله طعم لذيد اكثر من النوعين
الاخرين واغلا ثمناً منهما ولا نعلم ما سبب احمرارة وبالجملة
فاغلا الاملاح الميدوى واوسطها الفلقو وادناها الزغاوى
فاهل سوق قرى وما ولاها يتعاملون بالبحر الفلقو في سفاسف
امورهم كالحرث في كونيبة والتارنية في الفاشر ولا يباع عندهم الملح
بكيل ولا وزن بل بالاصابع فيباع هذا الشئ بفلقوبه بفلقوبين
بتلاثة فلقوبات وهكذا وباقي الامور كغيرهم واما سوق
كسنا فيتعاملون فيه بالدخان ويسمى بلغتهم تابا كاسمونه
الا فرنج وهذا الاتفاق من العجائب ولا خصوصية لاهل دار فور
بل جميع السودان يسمون الدخان تابا واما اهل فرزان واهل
طرابلس الغرب فيسمونه تبغا وفي كندرايت قصيدة

لبعض البكرين في حل شرب الدخان واظن تاريخ كتابتها في
وسط القرن التاسع من الهجرة يقول فيها

وقد اظهر الله القدير بمصرنا نباتا يسمى التبغ من غير مزية
بتا؛ مثناة وباء؛ موحد؛ وغين وضبط الغين فيها بفتح

ومنها

ومن يدعي التحريم جهلا فقل له باي دليل امر باية آية
وليس بها سكر ولا الله زمها فقولك بالتحريم من اي وجهة

ومنها

فان تنشق دخانها فترى الشفا فلا تنس باسم الله اول مصة
وقل بعد ذلك الحمد لله وحده فحدك للمولى زيادة نعمة

انتهى وهذا التابا هو اقاع اهرامية الشكل مصنوعة من ورق
الدخان بعد دقه وهو اخضر في مهباس من خشب حتى يصير

كالعجين ويجعلونه اقاعا ويجفونها في الشمس وبعد جفافها
يبرزونها الى سوقهم ويتعاملون بها في سفاسق امورهم وهذا

الدخان قوي الريحه يكاد اذا شمته انسان ان ياخذ الدوار من
هذه الاقاع منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير فكبيرها كاكبر

الكمثرى وصغيرها كصغيرها واما كريتو والريال والشعيرية

من الطويل

شرحه

شرحه

فانهم يتعاملون فيها بالربط وهي ربط غزل من قطن طولها
 عشرة اذرع وفيها عشرون فتلة لا غير فيتعاملون بالربط
 في سفسو امورهم ويتعاملون في الامور التافهة جدا بالقطن
 كما يجتنى من شجرته او بغلافته التي خرج منها فيتعاملون بقطع
 منه كواقية وواقيتين وثلاث اواق على سبيل الحدس والتجرب
 الا بالوزن والامور المهمة كباقي الاسواق واما سوق نلبة وما
 والاها فعاملتهم بالبصل يشترون به جميع امورهم التافهة
 والقطن ايضا والربط وباقي امورهم بالتكاكي ولا يعرفون
 الشواتر ولا الريالات واما سوق راس الفيل فبالحشاشات

وهي قطع من حديد مصنوع



صفايح ولها انبوبة وصورتها هكذا

فيدخلون في طرفها الانبوبي

قضيبا ويحرقون بها الزرع فتقطع الحشيش الذي في الزرع
 ولذلك سميت الحشاشنة فيتعاملون بها في سفسو
 امورهم وتافهها من حشاشنة الى اثنين والعشرين وما زاد
 على ذلك فبالتكاكي والشواتر كباقي الاسواق واما توركه
 فعاملتهم بدمالج النحاس وهي في مهمات امورهم وبالحدور في

سفساف امورهم وقد تقدم تعريف الدمالج والخدور في حلى
النساء فلا اعادة واما اهل القوز فيتعاملون بالدخن في
سفساف امورهم كلها كقبضة وحنفة وحنفتين الى نصف
مد الى مد وباقي امورهم المهمة بالتكاكي والريالات كباقي الاسواق
واكثر ما يتعاملون به البقر فيقولون هذا الفرس بعشتر بقرات
او بعشرين فانظر ايها المتامل الى اهل مملكة واحدة كيف تنوعت
معاملاتها واختلفت احوالها فترى هولاء يرون شيا حسنا
وهولاء يرونه قبيحا والملك لا يحكم عليهم باجراء معاملة واحدة
في جميع الاسواق بل ابقى كل قوم على ما اعتادوا فسيحان الفعالي
لما يريد ولنمسك عنان القلم عن الرخص في ميدان المعاملات
لان ما ذكرناه فيه كفاية في الاعتبارات باب في ما
ينبت في دار فور من النبات وفي السحر
والتعزيم وضرب الرمل وغير ذلك
اعلم ان الفنى عن المتى والابن والكيف والمنزة عن الجور والظلم
والحيو قسم الاشياء وعدلها وانزل كلامها منزلها فجعل
في البلاد الشمالية البرد الشديد وفي الجنوبية الحر الذي ما
عليه من مزيد لكن لرحمته بعبادة من على اهل الشمال بالدفع

بالملابس وبالاكثات التي لا يبرد فيها المجالس ونظر لاهل الجنوة
بعين الاسعاف والتلطيف فجعل المطر ينزل عليهم وقت اشتداد
المصيف ولما كانت ارض الغفور من هذا القبيل وفوقه الصيف
يشتد فيها الغليل كان مدرار الوابل مطفياً لوجه ذلك الحرور
لطفاً من العزيز الغفور فيزرعون على مطر الصيف ويسمونه
ذلك الفصل بالمرين فلذلك على ظني لا يزرعون برّاً ولا شعيراً
ولا فولاً ولا عدساً ولا حمصاً ولا ينبت عندهم المشمش ولا
الخوخ ولا التفاح ولا الرمان ولا الزيتون ولا البرقوق ولا
الكثيرى ولا الترنج ولا الليمون الحلو ولا البرتقان ولا اللوز
ولا البندق ولا الفستق ولا الجوز ولا الزعرور ونحو ذلك بل
يزرعون الدخن وهو حب صغير اصفر منه يقتاتون
هم ودايتهم ومواشيهم فهو الغذاء الرئيس عندهم ويزرعون
الذرة على اختلاف انواعه ويسمونه الماريق وهو انواع
فروع منه يسمى العزير وهو الذرة الحمر وانواع يسمى ابا
نشلولو وهو الذرة البيضاء ونوع يسمى ابا اباط وهو الذرة
المعروفة في مصر بالذرة الشامى ولا يزرع القمح عندهم الا في
جبل مرة لكثرة الامطار فيه او في كوبيه وكبابية ويسقونهم

الابار حتى ينضج كما تقدم ذلك والدخن عندهم نوعان نوع
يسمى دني وهو ما يزرعه العجم الفوري في الجبال وغيرها وهو
حب كالدخن المعتاد الا انه يميل الى البياض وسنبله اغلظ منه
وينضج زرعته قبله بنحو عشرين يوما وهو قليل في سهل دار
فور ولا يالفونه كالدخن الاصفر واما انواع الذرة فلا يالفون
منها الا الابيض ومع الفتهم له لا يكثر من تناوله واما ابو
ابا فيزرعون منه قليلا للشهوة فياكلونه مشويا ولا يجزئون
منه حبا واما العزير فهو مبعوض عندهم لا ياكله الا الفقراء عند
الاضطرار وينبت عندهم في البرك والغدران ارض ينبت بدو
زارع فيجمعون منه ما قدروا عليه في ايام الربيع فيطبخونه
باللبن من قبيل الترفه وعندهم نوع اخر يقرب من الارز وليس بارز
ويسمى بالدفرلة وهو حب صغير اصغر من حب الارز وفيه بعض
فرطحة شديد البياض يالفونه اكثر من الارز ويزرعون من
السمسم شيا كثيرا ومن العجب انهم لا ينتفعون منه
بزيت بل ياكلونه حبا ويطبخون منه في اطعمتهم كما ان العسل
النحل كثير عندهم ولا ينتفعون بشمعه بل ياخذون العسل
ويرمون الشمع وهم احوج الانام اليه والوزيت السمسم لانهم

يستصحبون في بيوتهم بالحطب ومع كثرة الحطب عندهم لا
يفتحون منه فحماينفصهم ولا يعرفونه ويزرعون اللوبيا
والبطيخ مع الدخن سواء فاما اللوبيا فهي كاللوبيا بارض مصر
الا انها اكبر لانها عندهم تقرب من حب الفول المصرى واما
البطيخ فاكثرة صغير الحجم كالبطيخ الذى يكون في اخر فصل البطيخ
في المقتاة واذ اكسر يكون غير نضيج لكن الذى في دار الفومع
صفرة نضيج ولهم في البطيخ ثلاث منافع الاولى انهم ياكلون
منه حال نضجه كما ناكل بطيخنا ويشربون ماءه كذلك الثانية
انهم ياخذون البطيخة وينزعون قشرها بالسكين ثم يقطعونها
اربع قطع ويتركونها حتى تجف فيخزنون منه من هذا القبيل شيئا
كثيرا وفي وقت الاحتياج يدقونه في مهراس من خشب
حتى يصير دقيقا فيعلون منه حسوا يشرب وتسمى عندهم
مديدة وهي المسماة بعرف الأوروتيا بالكريمة وربما اكلوا منه
بغير دق ولا طبخ الثالثة انهم يجمعون من البزر شيئا كثيرا
ويخزنونه ويدقونه وقت الاحتياج وينسفون قشره
وياخذون اللب فيطبخونه في ادمهم او يعلون منه الكريمة
ايضا ويزرعون البصل والثوم والفلفل وهو حب

والكسبرة وحب الرشاد فوكوبيه وكبكاية وفي اودية
جبال الفور كما تقدم ويزرعون القمح بانواعه ويزرعون نوعا
من القثاء وفوكوبيه وكبكاية يزرعون الخيار والفقوس
الطويل والبادنجان والملوخية والبامية وفي غيرها
وهناك واديين البلد المسماة بمربوطه والفاشر يسمى وادي
الكوع يفيض وقت الخريف من كثرة الامطار فلا يعبره الا يعرف
السباحة وفيه تيار شديد فاذا فاض هذا الوادي وطفا الماء على
شاطئيه ثم نصب ينبت فيه من البامية شي كثير فيهرعون
اليه من الجهات القريبة له ويجمعون تلك البامية ويجففونها
ويذخرونها لأدمهم العام كلها وهذا الوادي يشق دارفور بالعرض
من اولها الى اخرها ونشاؤه من جبال مرة وعلى شاطئيه سياج
من شجر السنط واذا فاض يعمر من كل جهة من جهتيه ما
ينوع عن فرسخين الا في بعض المحال ضايقته الرمال وسعته
في بعض المحال كخليج مصر وفي بعضها اوسع بمرتين يسافر
المسافر على شاطئيه نحو خمسة عشر يوما وانما ذكرت انه
بين مربوطه والفاشر لاني مررت به كثيرا من هناك والافهم ممتد
كما ذكرت ويزرعون فولا قرونة تكون تحت الشراب وليس

كالقول المسمى في مصر السناري الآن لان ذلك فيه الوان عجيبه
من احمر ناصع واصفر ولبيض وبنى كاتقدم ذلك واما الاشجار
فليس عندهم من الاشجار المعروفة الا النخل وهو في كوبيه وكبكيه
وسرف والدجاج ونمليه كاتقدم ذلك في التكليم على جبل مرة وفي نمليه
بعض شجر من الموز وفي قرى شجرات من الليمون الحامض وبقية
الاشجار الموجودة هناك كلها نباته طيبة في الخلاء فاعظمها منفعه
الهلج وله نوعان الهلج الاصفر والهلج الاحمر وذلك بحسب
لون ثمرها وهذا الثمر كالبسر الغليظ والهلج شجر يعظم كايضم
الجيز في ارض مصر اوراقه بيضيه قليلا وله ثمر حلو الطعم ببعض
مرارة وله رائحة خاصه به ولهذا الثمر غلا فيكون عليه وهو قشرة
ليست بالغليظة ولا بالرفيعه فينزعونها ويمصون الثمر مصالاة
خشيب مكسوبيشي كالطلاء يمتص او يبل بالماء فاذا ذهب صار
الخشيب اي نواه ابيض وهو غلا ولشي كالصنوبر هينه وبياضا
وهو بزر الا انه اكبر منه حمال كنه من الطعم فيعطنونه في الماء نحو
ثلاثة ايام ويغيرون ماءه في كل يوم فتذهب مرارته ورح بعضهم
يلحمه بالملح وبعضهم يقلوه وبعضهم يطبخه بالعسل واذا كان
مملوحا كان طعمه كطعم اللوز المملوح وهناك نوع ثاني من الهلج

وهو الهليلج الاحمر فياخذون لبة بعد نضجه ويضيفون عليه الصمغ
ويعجنونه به فيصير حلواً مرالذيذاً وعلى الاطلاق ياكلون ثمر الهليلج
على كيفيات مختلفة ولشجر الهليلج هذا منافع لا توجد عندهم في
غيره من الاشجار لا يرمون منه شيئا بل ينتفعون بجميع اجزائه فاما
ورق فانهم يطبخون الطرى الغض منه في ادمهروا اذا كان بانسان
جرح فيه دود يمضغون من هذه الورق حتى يصير كالعجين وينفونه
في الجرح فينتقي من الدود وينظف من اللحم النتن وياخذ في البرء واذا
أخذ ثمر الهليلج وهو اخضر وهرس في مهرس حتى صار كالعجين نفع
كالصابون في غسل الثياب فان له رغوته كالصابون ينقي الاوساخ
وينظف الثياب المغسولة به الا انه يصفرها قليلا واذا لم يكن
وقت الثمر توخذ جذور الشجرة وتدق ويفسل بها فتفعل ذلك
وخشبه يستصحب به في السيوت بالليل عوضا عن السراج لانه لا
دخان له ومن خشبه تعمل الواح القراءة ومن رماده يعمل الكنبو
وهو ملح سائل يورخذ من الرماد المذكور ويطبخ به الا ان به مرارا
وذلك عند اعوازهم للملح لقلته وغلوه والذيق وهو نوعان
عربي وكرنو والثاني اكبر حجما من الاول واكثر لحما ويخالفه في اللون
فان النبق المعتاد العربي اذا نضج احمر لونه والكرنو اذا نضج اصفر

وهذا النفع من الاول ومن منافعه ان الثمر عجينه يسسك اطلاق
البطن وقبل ما يدق ويحجن ينحت جلده الظاهرة ثم يعملون
منه اقراصا ويجففونها وياكلونها واذا كسرت نواه يوجد فيه
برزتان في مسكينين والعرب ياخذون هذا البرز الصغير ^{نه} يخففون
في الشمس ثم يطبخونه بالعسل فيصير لذيذا ويسعونه في دار
الفور ويسمي كنيكنيا فيوكل كالحلوى واذا مضغ من به دود القرح
من ورق النبق الكرنو وازدر ريقه قتل دود القرح واخرجه ميتا
والتبليدي وهو شجر عظيم فتح اجوف الجذع ينبت في الغياض
واهل البادية اذا اشتد بهم العطش وغير وقت الامطار ياتون
الى التبليدي فيجدون في تجويفه ماء مجتمع من المطر فيشربون منه
ويذهب اوائهم ولهذا الشجر ثم مستطيل كبير كاللوز وباطنه
برز احمر كجب الترمس في الحجم وكبزر الخروب في اللون الا انه فيه
دقيقا ايضا حامض الطعم يستق منه فيوجد مرا والاستغفار
منه على الريق يقبض اطلاق البطن وتعمل منه الكريمة مع الدقيق
فتصير لذيدة و شجر الدلب وهو المسمى في عرف مصر بالجوز
الهندي الا ان هذا الشجر لا يوجد في جميع دار فور بل لا يوجد الا في
الحبة الجنوبية منها ويسمي في عرف الفور بالدلب وهو شجر

طوال كالنخل او اطول وينتج جوزا كبيرا اذا كسر غلافه وجد ما في
باطنه في غاية اللذة لاسيما قبل تمام نضجه فانه يكون كاللبن
مع الحلاوة واللذة ومن اشجارهم الخييض وهو شجر شايك
كاسم ما يكون وله ثمر كالفتحاح الكبير الا انه عجا وفيه حموضة
لذيذة ولونه ابيض يميل الى الصفرة ومن اشجارهم الدوم وهو
شجر معروف في صعيد مصر ويسمى بالمقل ايضا ومن اشجارهم
العندراب وهو شجر متوسط في الطول والغلظ يحمل
ثمرا شبه بعنب الذئب الا انه احمر قاني الحمرة ولا عجم فيه
وهذا الثمر حلو الطعم جدا ينضج في اول فصل الذرت اي الربيع
بلغتهم وهو اول فصل الخريف عندنا ومن اشجارهم القليم
وهو شجر اشبه بشجر الرمان يحمل ثمر اصغرا اذا فلتقتين عليه جلدة
حمرا ناصعة الحمرة في غاية الحلاوة وعجمه كبير ولا جد له تشبيها
في فواكهنا امثله به ومن اشجارهم شجر الخيط وهو شجر صغير
يحمل ثمر كالنبق فيه مرار فيؤخذ وينقع في الماء اياما فتذهب
مرارته فيرت عليه الملح ويطنخ ويؤكل ومن الناس من يجففة بعد
النقع ويسحقه حتى يصير دقيقا وتعمل منه عصيدة وهذا الفل
خاص بايام الغلاء واشتداد الكرب ومن اشجارهم اللولو وهو

شجر يقرب من شجر الجوز المسمى بعين الجمال ثمر اكثر اذ فروع الا ان ثمر
او فروع فيه تفرطح وهذا حب البندق لكنه اكبر من البندق في
الحجم يساوي حجم اذ فروع و ابو فروع هو المسمى في بلاد الترك بالكاكتنا
وفي تونس بالقصطل ولهذا الثرب اسم ولا يوجد الا في الجهة
الجنوبية في اخر دار فور اي في جهة بلاد الفرتيت واهل تلك الناحية
يعصرون منه زيتا ولقد رايتة ووجدته اكثر تشبها بالشيرج
في الهيئة ويزيت الزيتون في الطعم فيدهنون منه ويجعلونه
ادما في اطعمتهم ويوجد الخروب والجيز لكنهما رديين لا
يتفعا بشي ويزرعون القطر بنوعيه البلدي ويسمى عندهم
بالعري والهندي ويسمى عندهم بلوى ويتفعا منه اثم
النافع لان منه كساويهم وبه معاملتهم كما قدمنا ذلك في باب
العاملات واما الاشجار التي لا يوكل لها ثمر فكثيرة جدا تكاد ان لا
تدخل تحت حصر ولكن نذكر اشهرها وانفعها فنقول من
انفعها العُشْر وهو شجر قصير متعدد الفروع جذعه مكسو
بشي ابيض كالشم اذا ضغط بين الاصابع يتفتت ورقه كبير واذا
كسر يخرج منه عصارة بيضا كاللبن وله ثمر الكرة باطنه متلي
بشي كالزغب او الوبر يتطاير في الهوا الحفنة ولهذا الشجر منافع

ان عصارته اذا وضعت على جلد حيوان ازلت شعرة ويحون
لحاءه فتوجد فيه خيوط رفيعة كالحرير فتجمع ويفتل منها خيوط
تنفع لحرز القرب ويفتل من اللحاء جبال فتتفع للربط والحمل
والوبر الذي في الثر تسد به خروق القرب ومن عادتهم اذا سرقوا
حمارا و فرسا وارادوا تغير شعر موضع منه يدهنون المحل الذي
يريدون تغيره بهذه العصاره فيذهب الشعر ويخلفه شعر
ابيض فيشتبه على اربابه لكن منهم من يعرف ذلك للاعتياده
وخشبه خفيف كخشب القفل ورايتهم يسودون البارود بلحمة
وفي اسبانية ابي زعبل شجرة منه وفي الصعيد كثير منه ايضاً ومنها
شجر يسمى الحشباب وهو شجر ذو شوك ومنه يؤخذ الصمغ
العرد ولقد رايتاه واجتنتيت منه الصمغ لينا يمتد كالعلك
وينبت في الاماكن العطشة الرملية ومنها السنط
وهو شجر القرظ وهو شايك ضخم ومنها الطلح وهو من فصيلة
السنط والطلح شجر يعلو اكثر من قامه ولحاءه احمر وله شوك
طويلة كالابر وورقه مركب من وريقات صغيرة والسيمال شجر
طويل يعلو اكثر من قامه لكن اصغر من الطلح ولون قشره اخضر
يضرب الى البياض وله شوك ابيض واوراقه مركبة كل ورقة من

وربقات صغيرة ومنها الكبر وهو شجر ذو شوك وفروع كثيرة
وشوكه كالسنارة وله صمغ يجتنى منه لكن صمغ الخشب
اغلا واحسن منه ومنها اللؤوت وهو شجر صغير ذو شوك
صغير وفروع كثيرة فيه اخضرار لا يفارقه وان جف اذا قشر
لحاءه وتشتم منه رائحة كريهة خاصة ومنها القفل وهو
شجر ليس بالكبير ولا بالصغير لكن اكثره ينبت في الجبال ومنها
الحراز وهو شجر هائل الضخم والكبر ذو شوك يعظم جذعه حتى
لا يعتنقه الرجلان اذا مدا باعيهما ظله ظليل حتى ان منه
ما يجلس في ظله مائة رجل واكثر وبالجملة فالاشجار التي لا يركل
لها ثم تنفع في امور اخر فانهم يقطعون منها الاخشاب
لبيوتهم اما السنط فقرطه للذباغ وشعبه الطويلة عمد لبيوتهم
واما اللؤوت فلحاءه يربطون به سقف البيوت وفروعه يجعلونها
في السقوف وفي الصريخ والصريخ عندهم عوض عن الحايط عندنا
واما الكبر والخشب فياخذون منها الصمغ وحيانا يقطعون
شوكهما يجعلون منه الزرابي لمواشيهم ولبيوتهم لان لكل بيت
زريبة غالبا وهي كناية عن السنور وصريفا وهو كناية عن الحايط
والبيوت في الوسط اشبه شئ بالخيم والطور لك المضروب حولها

والبيوت إما من قصب الدخن أو من قصب رفيع يسمى
الحُرْبَيْبِ والتاني لا يعمل الا للاعنياً واکابر الدولة وقصب
ناعم قليل الكعوب رفيع كالسماز ابيض ميل الى الصفرة ذكى الرية خصوصاً
بعد مرور المطر واعلم ان النبات في بلاد السودان كثير لا يحصى
اقراة العذ ولا يوقو له على نهاية ولا حد ولا فرق منه الا ما
اشتهر ودفع وملاک شتهره البقاع لاني كنت اذ ذلك في بيت
الشباب والجهل سابل على جلباب كثر لكثرة مخالطتي بهم
واسفاري معهم عرفت ما عرفته بالاسم ولا اقدر ان اميزه تيزاً
كليا فله شجر الشناو وهو شجر كبير وصغير وصغيرة اكثر من كبيرة
وهذا الصغير اطول من القامة وقشورة خضر بالنسبة للكبير
لان قشوره كبيرة معتبرة اعني ان لونها اغبر وهو اللون الذي يقرب
للبياض وليس ابيض ناصعاً وحمل في ابان حمله عناقيد تاكل منها
اهل السودان وهذه العناقيد فيها حب كاضغر العنب ما
نضج منه يكون اسود وما قرب للنضج يكون احمر وما لم يقرب
منه يكون اخضر وطعمه حلوه فيه بعض حرافة وورقه يغلب
على طيبه انه بيض او يقرب من ان يكون بيضياً اخضر الظاهر
والباطن والبطور شجر كبير هائل المنظر اغبر اللون غليظ

الساق صلب الخشب اوراقه صغيرة بيضية في حوافها تستر
 وترى قشرة الساق من اسفل مشقة تشقوقا غير منتظمة
 وثمره كثر الشاو وعناقيده ايضا الان هذا الحبه اذ نابه طويلة
 ولا يوكل ثمره وهو اصغر من ثمر الشاو وتعلو ساقه اكثر من
 قامتين ويتفرع فروعا كثيرة واما الابنوس فهو شجر متوسط
 وقشرته خضراء اكنة والابنوس قلبه فاذا لمحت القشرة
 انكشفت عن عود اسود الا انه يكون سوادا خفيفا وهو
 اخضر فكما يبس ازداد سوادا واحسن الابنوس ما اخذ من
 الجذور وهذا النبات لا يوجد في دار الفور وانما يجلب من دار
 الفريت اليها والجوخان والجوخان كذلك الا ان الجوخان
 له ثمر كالبنديق في الحجم حلو الطعم فيه بعض يبوسة كالغضروف
 واما الجعج فهو شجر متوسط ايضا ولون ساقه يميل الى
 الحرة وفروعه ليست كثيرة التفرع وفيه شوك طويل واذ ناب
 اوراقه قصيرة فربما ظن انها ملتصقة بالفروع لقصر اذناها
 وهذه الاوراق مستديرة مسننة تسننا غائرا وثمره كثر
 الزمور وفيه مساكن الا انه غضروف في اوفيه خشبية واغلب
 ظني ان في كل ثمره اربعة مساكن بينها حواجز واما دار فريت وهم

مجموع السودان المحاذون لجنوب دار فور ينبت فيها القنا
ومنها يصنعون أعواد حراهم وأكثر أعواد حرا ب اهل الدولة ف
دار فور من القنا وهو جميل جدا ويحب من دار فريت واما النباتات
التي فيها الخواص فمنها شجرة كيلي وهي شجرة متوسطة الاشوك
فيها ثمر ثمر كالزعرور الا انه خشبي يوخذ الثمر وينقع في الماء ويسقى
المتهم مولون هذا الثمر يكون الرمان الحامض اذا جرد الشغل
وهو شجر نصنوخشبي كثير الفروع لينهاور فيعها تمتد فروعها
وتشتبك ببعضها مترامة حتى تصير الشجرة وحدها كالأكلة
وله ثمر كالبخ الكبير الاخضر ولا عجم ولا نوى فيه وفيه عصارة
لبنية تبعض لزوجة لطعمه بعض حلاوة ابتداء وحرارة انتهائه
اخضر لا يفارقه لون الخضرة ولو جف اذا مضغه يشارب
للخرازال ريحتها وقد تقدم ذلك ومنها دقرة وهو نبات
خشيشي ينبت في الاراضي الصلبة اوراقه رقيقة فيها نوع
استدارة اذا دق الورق في هاون وعصر ماؤه في العين الرمد
المتورمه بالتهاب حاد ثلاثة ايام صباحا ومساء ابراه اولقد
كنت في سنوق ثلثه في غير روية الجبل ومسكت بيدي الفلفل
وصرت اعبت به ثم هبت ريح فقذيت عيناى فدعكتها

بيدي ونسيت امر الفلفل فتالت الماعظيما والتهبا في الحال
وورما فركبت وسافرت فلم اقدر على الركوب من شدة الالم
فدخلت في بلدة وبت عند امراة عجوز فيها فلم اكنل ينوم
وانقلب الجفنان وغلظا حتى خشيت على عيني من العما وصرت
لا اعرف ما ينقذني من ذلك فلما اصبح الصبح جاتي عجوز ونصرت
عيني وتوجعت لي ثم قالت هذا امر سهل ثم دعيت ابنة لها
صغيرة تكاد ان تكون ابنة سبع سنين او ثمانية وقالت لها
بلغة الفور اذهبي واسفل الجبل واتيني باوراق من النبات المسمى
دقرة فذهبت الصبية وغابت قليلا ثم جاءت ومعها اوراق
كثيرة فاخذتها العجوز ودقت بعضها بين حجرين حتى صار
كالعجين وامرت بفتح عيني ومسك يدي ثم عصرت في عيني من
عصارة النبات المذكور فنزل في عيني باردا ثم ابتدا ياكل بغير الم
حتى كانا في عيني دود واريد ادعكها بيدي فلا استطيع للضبط
على فعانيت من ذلك منشفة حتى اضحل الاكلان وجاني النوم
فميت واستفرقت في نومي مدة عظيمة فلم افق الا قرب
العصر فاحسست في عيني خفة وذهب الالم ولما كان من
الليل جاءت وعصرت لي من تلك العصارة وبت بانعم ليلة وفي

الصباح عصرت لي منها أيضا فانقمت عيناى وكانى لمرامد
بها فذبحت اذك كبتنا سميئا وليمة لشفائى واعطيت
العجوز جديا سميئا وغالب النبات و الشجر يثمر فى اخر زمن الخريف
وهو الصيوان عندنا الانهم يسمون صيفنا خريفا وخريفنا درتا
وفى عرفهم يعنون به الربيع ويربعا صيفا ولم يوافقونا الا فى
الشتاء فان الشتاء عندهم هو الشتاء عندنا وفى الصيف
الحقيقى تمطر السماء عندهم ويزرعون لان اول سقوط المطر
عندهم فى الجوزاء ويسمونه الرثاش وفى السرطانات تنفتح
عزالي السحاب ويكثر المطر وتتلأ الاودية وبذلك تعلم سبب
زيادة النيل المبارك ومما يوكد ان كثرة الامطار عند اهل السودان
هى السبب فى كثرة نيل مصر ما وقع من الاتفاق ان سنة ١٢٥٣
هجرية وقع فى مصر غلاء عظيم حتى ابيع الارب من القمح بمائة
وخمسين غرشا بل اكثر وسببه عدم فيضان النيل كعادته
وح كنت متشككا هل وقع ذلك بارض السودان ام لا وبقيت
على الشك الى سنة ١٢٥٧ فجا القاضى الدليل قاضى القضاة
بمملكة الوادى فاخبرنى انه فى تلك السنة قل القطر حتى اجذبت
الارض وعلت الاقوات واكلت الناس الجيئ والكلاب وهو

اتفاق عجيب ادل دليل على ان زيادة بحر النيل من امطار تلك البلاد
ولله في ذلك حكمة لا يعلمها الا هو وفي وقت الرشاش يكثر
هبوب الرياح والموتفكات واكثر مجيئها في اوقات العصر واذ هبت
ثرى من بعد كالسحاب فتارة تكون حرا وقد سدت الافق من
الجهة التي تاتي منها وغالب الموتفكات تاتي من قبل المشرق ونادرا
ان تاتي من الجنوب وفي مجيئها من الشرق تحمل ملا كثيرا من القوز
الذي تر عليه وكل موتفكة تاتي بمعية مطران قبل ذهابها يرعد
الرعد وبعد الرشاش ينزل المطر برعد قوي حتى انه ربما نزلت منه
صواعق فضرت ولقد رايت صاعقة نزلت على شجرة هلمسج
فكسرت منها فرعا عظيما وساخت في الارض واخرى نزلت
على بيت فدخلت نار من خلال البيت واصابت رجلا فارق
ذراعه وساخت في الارض وسمعت من ههنا من كان معه
حديد لا تقربه الصاعقة وهذا خلافا لراي الافرنج وفي فصل صيفهم
الذي تسميه ربعا تكثر الزوابع والسراب في الارض ولا اعلم ارضا
يكثر فيها الزوابع والسراب كارض السودان واحسن المطر عندهم
واهناء ما يقع بالليل والناس نيام وهو وان كان يحصل في رعد
الانه لا يضر كما يضر الرعد الذي ياتي بالنهار ويكثر قوس قزح

عندهم في وقت نزول المطر حتى انه يكون في الساعة الواحدة
واربعة محال او خمسة منها ما يكون كالقوس ومنها ما يكون
على خط مستقيم وهو قليل واكثره يكون على خط منحني والرشاش
عندهم نحو خمسة عشر يوما وفيه يزرعون الدخن والذرة بانواعه
واموال خريف عندهم ستون يوما غير ايام الرشاش واوسطه
ستون يوما بايام الرشاش واقله لاحد له واغلبه ان يكون
خمسة واربعين او خمسين يوما واقل من ذلك قحط وجذب فليس
كالعدم الا ان جاءت في تلك المدة امطار غزيرة روت الارض بها
عظيما خصوصا عند آخر الفصل وختام الزرع واذا طالت مدة
الخريف وكثرت امطاره سموه خريف التيمان واسماء الشهور
في بلاد الفور والواداي بالعربية فلا يعرفون الا شهر الرومية
ولا القبطية ولا الانجبية فاهل العلم منهم يسمونها كما سمتها
العرب قديما بالاسماء المشهورة الآن كحرم وصفر وربيع الحرام
عوام الناس فيسمون الشهور باسما آخر وهذه الاسماء وان
كان معناها عربيا لكنها مستلهجنة ويبدون في حساب
السنة بشئوا لكن باسم اخر فيسمون شئوا بالقطر وذي
القعدة فظرين وذي الحجة بالضحية ومحرم بالضحيتين

وكيفية ذلك ان يوخذ الجذر الذي فيه خاصية القتل ويغرز في
ظفر راس المراد قتله ففي الحال يتأثر ويلتهب المخ ويبقى الشخص
لا يعي بشيئا فان لم يتدارك سريعا بضد ما فعل له مات واذا
اريد ابطال عضومنه يغرز الجذر في ظل العضو المراد ابطاله كاليد
او الرجل ففي الحال يتالم العضو ويلتهب وينتفخ وربما حدثت فيه
غدة كغدة الطامعون وان لم يتدارك سريعا ينفخ وينتهي
بفقد احساس العصب وبطلان الوظائف كلها واذا اريد ان
يصاب بالدوار وبالقئ هناك جذور توضع على البحر ويتلقى
دخانها ولو في كم الثوب ويطبوق عليه طبقا جيدا ويتوجه
للشخص المقصود فيفتح كم الثوب ونحوه بقرب انفه فتسرع
رايحة دخان الجذر في انفه فيقع في الحال حتى تبقى رجلا اعلان
راسه فان لم يتدارك في الحال بقو كذلك اياما ومنها جذور
خاصيتها جلب النوم وهذه الجذور تستعملها السارقون
وتجعلها في قرون فيدخل السارق بالليل على المحل واهله
مستيقظون فيشعرون اليهم بالقرن الذي فيه الجذر ثلاث
مرات فيضرب الله على اذانهم فلا يعون شيئا فيدخل السارق
وياخذ ما يريد اخذه وربما ذبح الشاة وسألها وشوامت

لحماها واكرو ووضع في يد كل من ارباب المحل قطعة من الكبد ثم اخذ
ما اراد وخرج وبعد خروجه من الدار يفتقون ويسئال بعضهم
بعضا عن الرجل الذي كانوا اروه فكل منهم يقول رايته ولا ادرى ما
فعل فاذا بحثوا في محلهم يرون انه ما ترك لهم شيئا وقد فاز بما
اخذ فيعضون اناملهم تلهفاً وقد امتنع عليهم وبالجملة فهذا
الامر في دار فور مشهور لا ينكر وكنت سمالت عن تلك الخواص
استاذي الفقيه مذي الفوتاوي اخا الفقيه مالك الذي تقدم ذكره
فاخبرني ان الكتب المنزلة على ادم وشيث و ابراهيم وغيره من
الانبياء دُفنت في الارض وابنت الله هذه النباتات في المحل
الذي دُفنت فيه وانتشر بزرها بهبوب الرياح في الارض فعم
نباتها وانتشر واستفيدت منها هذه الخواص بالتجربة
اقول وهذا نوع من انواع السموم وضرب من ضروبه ومنها نوع
يعمل بالكتابة والتعزيم على الاملاك العلوية والسفلية ومن
هذا النوع تظهر امور كثيرة خارقة للعادة لقد اخبرني الثقة بدار
فوران في محاربة الخليفة للسلطان عبد الرحمن كان الخليفة عدداً
رجال يقوتسون بالبندق فسمروهم جماعة السلطان حتى ان البارود
كان يخرج من البندق كالمبلول لا يسمع له صوت ورضاصه كان لا

يضرو بند قجاعة السلطان بعكسه في الصوت والضرر
وما وقع من هذا القبيل ان لما توفي السلطان عبد الرحمن
وولي ابنه السلطان محمد فضل مكانه ابي عليه اولاد السلطان
كاولاد السلطان تيراب واولاد السلطان ابي القاسم واولاد
الخليفة واولاد السلطان محمد وخرجوا عن الطاعة وركبوا خيولهم
وخرجوا الى القرى وجيشوا جيشنا عظيمًا فحشني الشيخ محمد
كرا من خلل يقع في البلاد فدعي بالفقيه مالك الفوتاي واعلمه
بما يخشاه من عائلة هذا الامر فضمن له ان ياتي بهم الى بين
يديه اذلاء فاخرج الشيخ محمد كرا جيشنا لنظر الملك محمد دلدن
ابن عم السلطان محمد فضل وذهب الفقيه مالك فعلم من
سيرة ما عمل وكانت اولاد السلاطين في محل بينه وبين الفاشر
مسيرة يومين فلما عمل فيهم السرركبوا خيولهم عند الساخوفا
من الملك محمد دلدن ان يلجم عليهم جيشه وارادوا البعد
فعموا عن الطريق وباتوا ليلتهم تلك سارين الى جهة الفاشر
والملك دلدن في اثرهم فاصبحوا الا وهم تحت الفاشر ولما اصبح
الصباح وراوا انفسهم بقرب الفاشر ندوا على سريانهم
وسمع بهم الشيخ محمد كرا فارسل لهم جيشنا وحينما وصل الجيش

اليهم اطبق عليهم جيش الملك محمد دلدن لانه في اثرهم ولما صاروا
بين العسكرين انهزمت الناس الذين كانوا التفوا عليهم بقيت
اولاد السلاطين في نفر قليل فقبض عليهم الملك محمد دلدن وتوجه
بهم الى الشيخ محمد كرافامر بهم الى السجن واكتفى شرهم وكان ذلك
من السحر ولولة لجا سواخلال دارفور وعاتوا فيها واتسع الخرق
على الراقع والمخصوص بالاعمال السحرية في دارفورهم قبيلة الفلان
ولقد رايت منهم رجلا يسمى الفقيه تَمْرُو بفتح المثناة الفوقية
وضم الميم واخره راء مشددة مضمومة يذكر عن امور
عجبية ويفيضون ذكرها مع التصديق لها حتى بلغت هناك
مبلغ التواتر الذي يمنع تكذيبه فمنها ما اخبرني به الثقة من
فقهاء دارفور انه سافر مع الفقيه تَمْرُو المذكور من جديد كريبو
الى الفاشر ورجع معه الى جديد كريبو فقال لما كنا في اثناء الطريق
استند علينا حر الشمس وكان الفقيه تَمْرُو راكبا على جمل فاخذ
ملحفته وغردها ثم رجع وضمها بين يديه وقرأ عليها بعض اسماء
ثم قذفها الى اعلا فانفرد على راسه كأنها ظلة وظللته هو وصاحبه
من حر الشمس كأنها مسوكة من اطرافها بين رجلين تتبعهما
ايما توجهها كالمظلة وهذا الامر من اعرب ما يسمع واعمجه

ومنها بيناها سائر ان في سفرها ذلك اذ نزل عليها المطر
فقال الفقيه ترو لحادم كان معها اتني بقبضة من التراب
فناوله اياها فاخذها بيده وقرأ عليها بعض كلمات ثم نثر التراب
حول راسه فانقشع السحاب وصار المطر ينزل عن يمينها
ويسارها وهما يمشيان في اليبس لا تنزل عليهما قطرة ومسا
بلغني ان المساليط اقتتلوا مع الفلّان في بعض الاحيان وهزموهم
واقفوا اترهم ليستاصلوهم فعمل الفلّان شيئا من سحرهم
فسمروا عين المساليط حتى اترهم كانوا يرون اثر الذهاب معكوسا
كانه اثر المجيء ولقد بلغني من تشيخنا الفقيه مدني القوتاي
عليه سبحانه الرحمة ان ملك البرنو كان له كاتب جليل الذر على
غاية من التقوى والصلاح فجاء اليه الوزير الاعظم وقال له ان الملك
يامرك ان تكتب كتابا لفلان مضمونه كذا وكذا فابى الكاتب عليه
وقال لا اكتب الا ان يقول لي السلطان بنفسه او يرسل لي
علامة تدل على صدق رسوله فذهب الوزير الى السلطان واخبره
بما قاله الكاتب فدعاه السلطان وقال له قد اذنتك ان كلما
قال لك وزيرى هذا اكتب لكذا وكذا على لساني ان تكتب له
وكان الخاتم الذي تختم به الاوامر السلطانية مع الكاتب المذكور

فامتثل امره وصار يكتب له كلما اراد حتى انه جاء اليه يوم من الايام
وقال له ان الملك يامرك ان تكتب الى فلان الملك ان يتوجه الى
العامل فلان ويقتله ويستصفي امواله ويرسلها صحبة راسه
فكتب له ذلك والسلطان لا يعلم بشئ من ذلك فإراعه الا
وقد امتلأت البطحاء بالاموال والرقيق والبقر والابل والغنم
وراس شخص موضوعة على سن ربح فسال السلطان عن الخبر
فاخبر ان هذا راس فلان وهذا ماله وقد قتل حسبما امرت
فانكر السلطان ودعا بالكاتب وقال من امر يقتل فلان ويستصفي
امواله فقال له انت فقال له في اي وقت امرتك بذلك قال في
الوقت الفلاني جاءني ويريك فلان وقال لي اكتب الى فلان العامل
بالجهة الفلانية ان يتوجه الى فلان العامل بالجهة الفلانية
ويقطع راسه ويرسلها علي ربح ويرسل امواله كلها فقال
لم امره بذلك وكنو مع عقلك وحسن تدبيرك انك كتبت
له بغير استئذان مني فقال ايدك الله مولانا انك قد دعوتني
في اليوم الفلاني وقلت لي كلما قال لك وزيرى هذا اكتب لكذا
او كذا على لساني فاكتب له فامتثلت امرك من ذلك الوقت
وصرت اكتب له كلما امرني به فغضب السلطان وقال اني

لم أترك ان تكتب له في مثل هذا الامر المهم بل امرتك ان تكتب
له في الامور التي لا ضرر فيها على الدولة أو مثل هذا الامر يكون بغير
استئذان فقال الكاتب ان مولانا لم يستثن امر من الامور حين
امر في بطاعته فزاد غضب السلطان و امر بالقبض على الكاتب
فلم يقدر احد على القبض عليه وما ذلك الا انه كل من مد اليه يدا
ليقبض عليه تبيس فلا يقدر ان يثنيها وتصير كأنها قطعة خشب
فما رأى السلطان ذلك قال له اعوز عن هولاء فقال لا اعوز عنهم
الا ان اعفاني السلطان من الخدمة فاعفاه من الخدمة وعفاه عنهم
هو ايضا فلانت ايديهم ورجعت كما كانت وهذا مصداق قوله
صلى الله عليه وسلم من خاف من الله خاف منه كل شيء
ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء مما ينخرط في سلك
هذه الاعجاب ما شاع على السنة اهل دار فور من ان هناك
قبيلتين من رعايا الفور احدهما تسمى مسلاط والثانية تيموركة
يتشكلاف باشكل الحيوانات لكن المشهور ان مسلاط تشكلك
بشكل الضبع والهر والكلب واما تيموركة فتتشكلك بشكل السبع
لا غير و اعجب من ذا ان هذه القبيلة يقولون عنها ان الميت
منها يقوم بعد ثلاثة ايام من قبره ويتوجه الى بلد اخر ويتزوج بها

ويصير زمنا ولقد اشيع على السنة اهل دار فوران للسلطان
طائفة من هذه القبيلة يرسلها في مهمات اموره وانزلها ملكا
حاكما عليها ويبالغون في هذه الطائفة حتى انهم يقولون انها
تتشكل بجميع انواع التشكلات حتى الرجل منهم اذا ضاوع عليه
المجال وخاف من الضبط عليه يبقى رجحا ولقد ادركت حاكم هذه
الطائفة وكان يسمى علي كرتب وكان رجلا مسنا ضعيف الحركة
من فقراء الهند لا يظهر عليه اثر الثروة ثم انه مات واولاها مكانه
وكان شابا جسيما وحش الخلقه لكن يظهر عليه اثر الثروة
وكان يركب العتاق من الخيل وله خدم وابهة فاتفقت بيني
وبينه صحبة وذهبت الودارة عدة مرار وكان يسمى عبد الله كرتب
فاتفقوا وخلوت به في بعض المرار وسالته عما تقول فيه الناس
من التشكل وانه يسافر مسيرة عشرة ايام في برهة فنشالني
بكلام اخر ولم يفدني بشي فتركته في ذلك الوقت وسالته ثانيا
في وقت اخر فتبسم وقال سبحان الله ما كنت اطن انك تصدق
هذا القول ثم شاغلني بغير ذلك حتى خرجت من عنده ثم انكر
معرفتي بعد ذلك وصار يمر على ولا يلتفت لجهتي وتركته انا ايضا
لما رايت من تنكراه ولا اعلم لذلك سببا سوى تكرار سواله في

هذا الشان ولقد سافرت للغزو مع ملك من الملوك اسمه
عبد الكريم بن خميس عثمان وكان ابوه من اعظم وزراء السلطان
ونقم عليه وابد سجنه حتى مات وصار ولده خادما للدولة حتى
ارسل للغزو في الفريت وكان له عليه دين فذهبت معه
لاستوفاه منه فتوغلنا في بلاد الفريت مدة ثلاثة اشهر وكنا
في محل لا يوجد فيه شيء من البقول ولا الخضروات فدعاني ذات
يوم من الايام فلما دخلت عنده وجدت بصلا اخضر وفتوسا
وكل منهما كانما اخذن مقتاته الآن فسالته عنهما ومن اين وصلتا
له فقال من دار فور فسالته عن اذله بهما وكيو بقيا طريتين مع
بعد المسافة سيما الفتوس فانه كان غضا بالكلية فقال قد
جئ بهما في اقل زمن وانظر الى تاريخ هذا المكتوب فاخذت
المكتوب منه ونظرت اليه فاذا هو من بعض احبايه بدار فور وتارة
صبيحة ذلك اليوم فبهت وصرت متعجبا من ذلك فلما راى
عجباي قال ولا تعجب فان معنا جماعة من التيموركة وفيهم قوة
التشكيل يذهبون الى ابعد محل في اقرب زمن فقلت اريد ان تربني
اناسا منهم فقال لك ذلك ثم لما قفلنا زيدا دار فور ووصلنا اليها
بتنا بظاهر بلد من بلاد التيموركة نسيت اسمها ولما كان عند

الصبلح جاءنا اناس كثيرون يسلمون على الملك وانا جالس معه
فرحب بهم وكرمهم وكسا رؤسناهم ثيابا حسنة ففرحوا بذلك
ولما اردنا الرحيل قال رئيسهم انا نوصيكم ان رايتم فطريقكم
سبعا فلا تمسوها بسوء لان جميع ما ترونه من السباع وهذه
الجهة منا فقال الملك اذالك نحن نريد ان نسمع من بعض اصحابك
الآن فقال سبعا وطاعة ثم ندب ثلاثة افكار منهم سمام فقاموا
وتوجهوا الى الخلاء فغابوا قليلا ثم سمعنا رثيرا سدا عظيم ازعج
القلوب وافرغ الدواب فقالوا هذا صوت فلان سموة ثم
سكت وزر اسد اخر يقرب منه ثلاث زرات فقالوا هذا فلان
ثم سكت وسمع بعد ذلك زئير اعظم من الزئيرين السابقين
حتى كادت ان تتخلع القلوب لسماعه فقالوا هذا صوت فلان
سموة واعظمو المرة ثم بعد قليل جاءوا على هيتهم الادمية وقبلوا
يد الملك ففرح بهم وكرمهم ورح كسام ثيابا فاخرة وودعناهم
وارتحلنا ورح قال الملك هولاء الطائفة هم الذين اتونا بالبصل
والفقوس ونحن في اخر دار فرتيت م وما يلحق بهذه العجائب
ما يقوله الزمالمون حين يضربون تحت الرمل لانهم يقولون
كلما وقع للانسان لا يعلم به احد الا الله تعالى ويقولون على امس

تقع كأنه يراها بعينه فما دعاني إلى صدق أقوالهم إذ حيث
أردت الانتقال من دارفور والسفر إلى دار وادي كان في البلدة التي
كنت فيها رجلا يقال له سالم له صهر في بلدة أخرى يقال له اسحاق
ماهر في علم الرمل وكنت ضيق الصدر لتفسير أمور السفر على
فقال لي سالم المذكور هل لك في أن تتوجه معي إلى صهري اسحاق يضرب
لك الرمل ويقول لك ما يظهره فاجبته لذلك وتوجهت معي لبلدة
صهري المذكور فدخلنا هاضمي فرأينا غايبا في زرع فصرنا حتى
قدم فرحب بنا وأكرمنا وأتينا بقضاء حسن ثم قال له صهري سالم
إن الشربون قد جاء يلتمس منك أن تضرب له رملا فقال السمع
والطاعة وضرب الرمل وقال لي كلما كنت أكذبه فيه فوالله
لقد وقع جميع ما قاله وكأنه تكلمت من اللوح المحفوظ لم يخطئ
في كلمة فمن ذلك أنه قال لي أنك ستذهب إلى دار وادي عن
قريب يجيئ أهل بيتك ما عدا امرأة أهلك فانها لا تذهب
معدك وكنت أكذبه وأقول كيف لا تذهب مع انها أحوج الناس
للذهب فصدق الله قوله فلم تذهب معنا وعلمت علينا
حيلة وهي أنها بقيت معنا حتى كانت ليلة الرحيل ففرت
وتركت ابنتها بنت سبع سنين فلما أصبحنا طلبناها فلم

نجدها اثر اوسا فرنا ولم نستقر لها على خبر ومن ذلك انه قال
وليلة قدومك على بيت ابيك ياتونك بحارية صفتها كذا وكذا
فوق كما قال ومنها انه قال لا يجمع بابيك في دار وداى فكانت
كذلك لم اجتمع معه الا في تونس ومنها انه قال ان بيت ابيك
حيطانه حر كانها طليت بمغرة فرايتها كذلك والمغرة نوع حجر لونه
احمر هشن يسحقونه ناعما فيطلى به البيوت ويصنعون به
ايضا الحبر الاحمر يخلط مع الصمغ في الماء ومنها انه قال انك تركب
هناك جوادا اخضر فكان كذلك وقال لمان السلطان ينعم عليك
بجوار وغيرها فكان كما ذكر ومن اعجب ما وقع حين كنا عند جائله
نسوة يتخاصمن مع بعضهن ويريدن ان يضرب لهن رملا يظهر
به ملا ضاعا لتعلم كل منهن من اخذة فضرب الرمل وقال قد
ضاع لكن خرز احمر منظوم في خيط وهو مختبأ في رتاج البيت الفلاني
فقامت امرأة وانت به من الرتاج المذكور كما قال لكن لم يقار من
الاخذة له منهن وله في خط الرمل باع طويل ومن هذا القبيل
ما حدثني به عمي السيد احمد زروق ان والدي عليه سبحانه
الرحمة والرضوان لما كان صحبة الرجوم السلطان محمد صابون
في محاربة جبل تامه ضاع له حمل بازل وارسل العبيد والمخدم ليقتشوا

عليه فذهبوا وغابوا طويلا ثم رجعوا بالخبية فيئس الرحوم والذي
منه وكان ممن صحبه رجل يعرف خط الرمل فقال له بعض الحاضرين
انك رجل مال فان كنت عارفا بين لنا الجمل يا قمرلا ف ضرب الخط
وقال ان الجراها هنا غير بعيد فقوموا وانظروا في ابل جيراننا
فذهبت العبيد الى ابل الجيران فوجدوا الجمل باركا في وسطها ورفوا
وجاؤا به الى محله وهذه غاية الاتقان في علم الرمل ومن هذا
القبيل ايضا ما حكى لي بعض الاشراف في دار وداى ان جماعة من
العلماء كانوا مجتمعين في محل وفيهم من يعرف علم الرمل معرفة
خبر وفيهم من يدعيه فتذكروا في علم الرمل والذي يدعيه
يقول انا ضربت الرمل لفلان الملك ولفلان القايد واخبرتها
بكذا وكذا فطلب منه احد الحاضرين ان يضرب له ف ضرب
وقال كلاما لا يعنى شيئا فالتفت العارف الى الخط المضروب
وتامله ثم قال اني مشترك انك في عهد تقبض من السلطان
ستين راس رقيق وكان الامر كما قال واذا اجر الكلام الى علم
الرمل فلنذكر منه نبذة يقو بها المتامل على ماهيته واشكاله
واسماؤه والاشكال السعيدة والخسنة والمتوسطة
فنقول اما اشكاله فهي ستة عشر شكلا اولها الطريق

وصورته هـ كذا

وهو جيدة لمن اراد السفر واجود منها لمن
يسال عن قدوم الغائب وردية لمن كان مريضا فانها تدل على

طريقه للقبر وثانيها الجماعه وصورتها هكذا

وهو شكل سعيد الا في المريض فانه

يدل على اجتماع الناس لجنائزته وثالثها اللحيان

وصورته هـ كذا

وهو شكل سعيد في جميع الاحوال ورابعها

العكيس وصورته هـ كذا

وهو شكل نحس في جميع الاحوال الا في

الحامل فانها تلد ذكرا وخامسها الاجتماع

وصورته هـ كذا

وهو شكل سعيد في جميع الاعمال الا في قبض

الدرهم وسادسها العقلة وصورته هكذا

وهو شكل نحس الا في السؤال عن الحامل

وسابعها العتبة الداخلة وصورته هكذا

وهو شكل سعيد في جميع الاحوال فمن

كان اول خطه هذا الشكل او ثانيه ان كان مغموما زال غمه
وان كان مترقبا لمجي غائب قدم عليه سريعا وان كان معسرا
زال عسره وثامنها العتبة الخارجة وصورته

هـ كذا

وهو شكل نحس يدل على موت المريض
وتعطيل الحاجة واضطراب الامور وطلاق الزوجة وتسعها
القبض الداخل وصورته هكذا

وهو شكل ممتزج يدل على قبض
الدرهم والظفر بالعدو ولكنه يدل على موت المريض
وجس المطلوب للحاكم وعاشرها القبض الخارج

وصورته هكذا

وهو شكل يدل على عدم رجوع ما
خرج من اليد وذهاب الابق وابق الرقيق لكنه يدل على
الخلاص من الحبس وعلى السفر والانتقال من مكان

لاخر وحادي عشرها البياض وصورته

هـ كذا

وهو شكل جيد في كل الاحوال الا في

المريض فانه يدل على الكفن وثاني عشرها الحمرة وصورتها

كذا

وهو شكل يدل على اهراق الدما وعلى

القبر للمريض لكنه سعيد للحامل فانها تلد ذكرا ويدل على

الثياب الحمراء ان البياض يدل على الثياب البيض وثالث عشرها

الجودة وصورتها هكذا

وهو شكل سعيد يدل على الفرح والسرور

وان الحامل تلد انثى وان الامر ياتي على احسن حال ورابع

عشرها نقي الخد وصورتها هكذا

وهو شكل نحس ويدل على الشباب

والعدو المجهول وطول المكث في الحبس وقبض روح المريض وخامس

عشرها النصرة الداخلة وصورتها هكذا

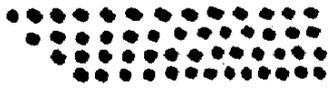
وهو شكل سعيد يدل على النصر والظفر

وقضا الحاجة ونجاة المريض والمسجون والحامل وستة عشرها

النصرة الخارجة وصورتها هكذا

وهو شكل يدل على امور حميدة الالف

محاربة العدو فانه يدل على انهزام الجيش وعدم الظفر به فاذا اراد

الانسان ان يضرب الرمل المذكور ياتي برمل نظيف نقي ويبسطه
على الارض ثم ينقط فيه بالاصبع الوسطى اربعة اسطر من غير عدد
بالاسطر من اليسار الى اليمين هكذا 

ثم يتتبعه زوجا فزوجا حتى ينتهي الى الآخر فان كان الاخر زوجا اثبتته
وان بقي فردا اثبتته فيثبت ما تحصل من السطر الاول اولاً وما تحصل من
الثاني تحتها وهكذا حتى تتم الاربعة اسطر فيتحصل منها شكل من الاشكال
الستة عشر المتقدمة ومن لم يجد رولا ضرب الخط بقول او حمص وهو انه
ياخذ قبضة من غير عدد ويسقطها زوجا زوجا ويثبت الاخير ان كان
زوجا او فردا واما تولدات اشكاله واتصالاتها وما يتعلق بها من
الاسماء والحروف والكواكب والعاقبة وعاقبة العاقبة فذلك كله منوط
بمؤلفات علم الرمل فلا نطيل الكلام عليها وانما ذكرنا هذه النبذة اليسيرة
ليكون للناظر في رحلتنا هذه المام بما هية الرمل في الجملة ولئلا تخلو
هذه الرحلة عن مثل هذه الفائدة والله اعلم
وقد طبع بالجر هذه النسخة الجميلة المنمقة الجميلة بدار طباعة
السيد كينلين الفاخرة الكائنة بمدينة ياريز الباهرة وذلك برسم وخط
السيد يترون بنعمة الله وعون وكل طبعه على ذمته ونظره وهته وسليخ
شهر نونبر سنة خمسين وثمانمائة بعد الالف المسيحية والحمد لله والبدء
والنهاية ونسأله من الخير بلوغ الغاية آمين

« Chose dont la magnificence est admirable, est sublimée,
chose à laquelle nous croyons, sur la parole vive l'écrit
le Koran le livre de la toute sagesse :

« Chose dont le nom est tracé par quatre lettres, en
poésie : rappelle-toi le dunt son emploi prosodique
et métrique .

« Je m'arrête ici ; j'attends de toi une réponse précise,
belle comme le sens du mot de mon énigme . Que Dieu
te maintienne dans tes hautes pensées de bien . »

— Page 423, ligne 2. « conjuguable dans toute les temps »
c'est-à-dire qui a son emploi régulier dans les cas ma-
scul, au réfé et au naab .

— Page 37, ligne 25, lisez Adnân, au lieu de Adouân .

— Page 67. Dans la lettre de Hoohammed Kourou
deux ou trois membres de phrases sont passés, mais
ici, de même que dans plusieurs autres endroits du
livre, le texte arabe est facile à comprendre, et, pour
cette raison, je me dispense, comme je m'en dispense
ailleurs, de donner la traduction des passages ou mem-
bres de phrases omis, ou éliminés à dessein .

— Page 112, ligne 9, au lieu de « Dieu ne t'écouterait
pas... » lisez : « Dieu ne te écouterait pas... »

— Page 119, à la ligne 18, le renvoi à la note F, de la
page 425, est omis. Cette note est la traduction du passage
ومن عامته الى وكات في شهر رمضان الح

— Page 168, ligne 5, après le mot « résistent ! » mettez :
« O toi qui disperses les montagnes (et leurs habitants), sans
avoir besoin pour cela, du secours de l'or ! » (Dyouân, ad-
ministration ; — état ou registre où sont inscrites les
troupes stipendiées, &c.)

— Page 176, ligne 9, au lieu de « singulier de doum-
londj, » lisez : dont le singulier est doumlondj .

— Page 231 ; les neuf premières lignes ne sont pas
en accord avec le texte arabe .

Peirony

27 novembre 1830

appartiennent les grandes choses comme choses qui le sont
naturelles (et faciles).

« Doune, donne sans cesse les productions de ta pensée, ce
sont autant de perles précieuses que nul ne peut revendiquer.

— Le logographe suivant commence, dans le texte arabe, par
« Allont! Dis à qui est riche de science, à qui (saint y voir
et) devine facilement le logographe, et en découvre le mystère:

« Voyons! je t'en prie: Quel est le mot de trois lettres... etc.

« Par la transposition de ses lettres, tu peux, regarde bien,
composer trois mots; c'est chose vraiment remarquable!

« Savoir: un qui a deux sens etc.»

— Page 422, ligne 3:

« Allont! Dis à qui a la perfection et l'intelligence du
langage, et à qui le Seigneur des cieux a fait don de la
science:

« Quel est, je te prie, toi homme d'un esprit supérieur, etc...

« Elle devient malade, mon cher ami, à mesure que etc...

« ... Synonyme de ghada (le matin); saine intelligent et
pénétrant. (Certainement tu me comprends, tu m'as deviné.)

« Il suffit (j'en ai dit assez), je me suis assez expliqué; donne
moi la solution. De reste, le mot est dans notre sainte révé-
lation (le Koran). Réfléchis un moment. J'ai fini.»

— Voici encore un de mes logogrophes; il est sur le mot
Jemâ, le ciel:

« O toi qui t'es élevé au ciel de la science et de la sagesse,
toi dont la générosité descend sur les hommes comme
la pluie des nuages,

« Devine nous quel est le nom de la chose dont l'appétit
est pur et clair, dont la beauté est passée en proverbe chez
les arabes et chez les barbares,

« Chose immensément élevée, on n'auroit osé que ceux
qui aiment celui dont la puissance a créé les zéphirs,

« Chose à laquelle appartiennent le flambeau
étincelant qui nous guide dans les ténèbres de la nuit;

ler, j'étais inquiet de mon dénuement absolu. »

— Note C, se rapportant à la page 28, et placée à la page 420
... réviseur des traductions, à l'école vétérinaire fondée sur les
de l'école de médecine par le Soudanais, prince du bonheur
(Mohammed Oly). Voici le logogriphe :

« Dis-moi, mon cher Kessab, maître (occupateur, Kessab)
en science et en piété, toi qui es un océan des connaissances qui
sont si douces et si agréables aux hommes,

« Voici un mot de... — Au quatrième vers :... fl a un synonyme
de... — Au 7.^e vers :... le bien entendu, mon cher ami, tous
ces mots de... — Au 8.^e vers :... j'en suis sûr, toi intelligence
remarquable de notre époque ; je te demande donc quel est
le mot (de mon logogriphe). »

— Page 421, ligne 6 :... Maintenant donne-moi le
mot de l'énigme ; ne te laisse pas demander, mon vertueux
ami, la solution (car je suis sûr que tu la tiens). »

Dans la réputation du cheykh Abou Mustafa Kessab, les
cinq premiers vers et les deux derniers ont été retran-
chés presque en entier :

« Toi, homme de science et d'esprit, aimé de tous pour
tes vertus, tes qualités, tes talents,

« Toi qui par ton profond savoir es connu à l'Orient et
à l'Occident, tu nous surprends par l'aide de tes vers,

« Et pourquoi n'en serait-il pas ainsi ? Mon ami, en ef-
fet, surtout l'art des poètes ; il n'a à ses ordres ce qui s'échappe
et manque à tous.

« Certes ! ni Kouss, ni Imrou-l-Kays n'auraient pu jadis
mesurer un langage qui, à l'égal du sien, est ému et ex-
plamé les desirs des amants.

« Ces vers me sont venus comme un doux zéphyr. Qui
prétendrait en pouvoir composer de pareils, serait certai-
nement un menteur. »

Les deux derniers vers sont :

« Voici le mot de ton logogriphe, mon cher Mohammed
El-Couady, toi le guide et le modèle des hommes, toi à qui

Observations.

J'étais encore en Egypte lorsque M. Jomard publia la traduction de ce voyage, que je lui avais envoyée. Il parut à propos de retrancher quelques longueurs, deux ou trois passages trop lestés, des répétitions, des expressions synonymiques, qui gênaient aux arabes, et que le lecteur français reproche. Je rétablis ici les plus importants, afin d'être utile aux arabisants encore peu versés dans les études arabes. Certaines imperfections de concordance entre le texte et la traduction qui d'ailleurs n'ont été imprimées ni si souvent ni si en vue du public, seront facilement appréciées par les arabisants spéciaux.

Dans ma traduction, j'ai relégué à la fin du volume, sous le titre de notes, les digressions qui interrompent trop longuement le récit. Dans le texte arabe, j'en ai laissés à leur place, afin de présenter la relation originale telle qu'elle est.

— Que note et éclaircissement, page 408, ligne 19, avant les mots « En Egypte etc. » doit être restitué le passage suivant: « Abou-l-Câsem El-Haryry a raison de condamner les pièces d'or comme chose inutile si celui qui les possède ne les fait pas circuler :

« C'est un mal attaché à la nature même des pièces d'or,
« Qui elles ne servent, tant les moments de nécessité et de péril,
« Que quand elles fuient de ta main comme un esclave
qui s'échappe.

« Honneur à toi qui sais (les dépenser et) les jeter par-dessus les monts!

« Honneur à toi si, tes dinars te chuchotent leurs cajoleries à l'oreille,

« Tu leur dis résolument et sans détour :

« Ne venez pas de votre intimité, filez.

« Ce vers est en usage ce diston populaire: « Motta de l'or à la queue du malheur, tu le fais taire. » En Egypte etc.

— Page 23 du texte français, ligne 18, au lieu de: « J'étais réduit etc. » il faut: « Je ne savais où trouver de quoi subsister

Voyage
ou
Dâzfour
ou

l'aiguinement de l'esprit,
par le voyage au Soudan et parmi
les arabes du centre de l'Afrique,

par
le cheykh Mohammed
ibn-Omar el-toursy,
autographe et public

par
M. Perron

Paris

chez Benjamin Duprat
libraire de l'Institut de France, de la Bibliothèque
nationale, de la Société asiatique de Paris, &c.
Rue du cloître Saint-Benoît, N^o 7.

1850.

Imprimerie lithographique de Kaëppelin,
17, quai Voltaire.

بيت الغلظ الذي وجد في هذا الكتاب

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢	١٠	سروا	سيروا
٣	٤	الادبية	الادبية حتى
٣	٥	عشيرة	عشيرته التي ترويه
٣	١٢	وصفرت	ولما صفرت
٤	١٢	ونقد	وفقد
٥	٢	واعانه	واحسانه
٥	٩	من حبوت	من عيون
٦	١٧	كما	كما يعلم
٨	١٧	حدث	يحدث
١٠	٩	لما	لما له
١٠	١٤	نباها	انباها
١٠	١٧	الضن	الظن
١٣	١٣	سقط البيت الرابع وهو	
		كانما من القلوب نقرته	به يقول من حوته صرته
١٣	١٥	نصرته	نصرته
١٣	١٥	استنبتت	استنبتت
٢٢	٦	المجلود	المجلود وكيف
٢٣	٨	والحيلة	والحيلة ان
٢٦	٢	جعل	جعل
٢٧	٧	واين	واين هذا
٢٩	٥	الانام من	الانام عن

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٤	٩	وضعها	وضعها على
٤٠	١٦	تعرب	تعرب
٤٣	٢	جاز	جاز
٤٨	٣	رلت	رلت
٤٦	٢	خرجنا	ضربنا
٥١	١٧	فرس	فارس
٥٢	٩	كثيرون	كثيرون
٥٢	٩	الخارجين	الخارجين
٥٤	١٥	تجابوا	تجابوا
٥٩	١	عليه	على
٦٥	١٤	بعيد	بعيدا
٦٩	١٠	معنى	معنى
٦٩	١٤	مجونا	مجون
٧٣	١٧	صنعنا	صنعنا
٧٦	٩	ترتيب	ترتيب
٧٧	٩	قلوا	قلوا
٧٧	١٢	في	وفي
٧٧	١٤	النتياس	النتياس
٧٨	٩	من	من
٧٩	٩	مجد	احد
٨٠	١٣	فلما سمع	فلما سمع
٩٦	١	فلامرة	فلاموه

صفحة	سطر	خطا	صواب
٩٦	١٥	اميبا	امينا
١٠٦	١٣	حله	تحله
١٠٩	١٧	يذب عنهم	يذب عنهم عند السلطان كما وقع منهم امر مع اعدائهم القبايل الاخرى
١٢٠	٢	اقوى	اقوى
١٣٠	١٣	و دار اباديما	و دار اباديما انما كانت مساحتها نحو عشرة ايام لان اباديما يحكم على اثني عشر ملكا كل ملك له ايلة مستقلة بها
١٣٧	١	يتعرض	يتعرض
١٤٣	١٦	التفتن	التفتن
١٤٤ و ١٤٥	١٤	اعجب	اعجب
١٤٥	٥	كال	كال
١٤٥	٩	شجتي	شجتي
١٥٣	١٠	لفظوا	لفظوا
١٥٧	١٠	مريض	مريض
١٥٨	١	الناس	الناس
١٦١	١٢	خوجه	خوجه
١٦٣ و ١٧٢	١١ و ٣	بعض	بعض
١٧٩	٢	عاليا	عاليا
١٨٧	٥	يما فظون	يما فظون
١٩٢	٨	الصفر	الصفر
١٩٦	١	نوايح	نوايح

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٩٧	٤	يهان	يهان
٢٠٨	٧	من النساء	من النساء مترين والشباب من الرجال في اكل زينة يقدرون عليها وتصطف النساء
٢١١	١٢	في الدائرة	في الدائرة على نظم نقرات الطبل ويكونون ايضا كدائرة
٢١٦	١٠	عنه	عنه
٢٢١	١٥	دجاجا	دجاجا
٢٥٦	٨	فيستضئون	فيستضيئون
٢٨١	١	والكسيرة	صغير والكسيرة
٢٨٩	١١	كبيرة	كبيرة
٢٩٢	٣	بنوم	بنوم وبت باقم ليلة
٢٩٤	١٤	والسراب	ويرى السراب
٣١٤	١٥	العاخرة	العاخرة
٣١٤	١٦	وساخ	في سائح